أجاثا كريستي

أعمال هرقل

اثنتا عشرة قضية

مكتبة على بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

أعمال هرقل

اثنتا عشرة قضية

مجموعة قصصية بوليسية

1947

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

تمهيد

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات انتشاراً، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات, ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابيْ سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار, هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى القضية الغامضة في مدينة ستايلز. وفي رواية جريمة قتل في المعبد التي تم نشرها في عام 1930، قدمت محققة محبوبة هي الآنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوبنس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي إسكوتلانديارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية The Mous التي كانت بداية عرضها في عام 1952, وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في قطار الشرق السريع (1974) وجريمة قتل على ضفاف النيل (1978)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان "ألبرت فيني" و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبداً، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الآنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكإيوان" و"جوليا ماكنزي".

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام 1971، تسلمت كريستي واحداً من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام 1976 عن عمر يناهز الخامسة والثمانين...

إهداء

هذا الكتاب مهدى بكل الحب

إلى إدموند كورك الذي أقدر بشدة متاعبه وجهوده بالنيابة عن هيركيول بوارو.

مقدمة

كانت شقة هيركيول بوارو تتميز بأثاثها العصري، وتومض بمادة الكروم، وكانت كراسيها البسيطة، برغم حشوها المريح، مربعة الشكل، ولم يكن في شكلها ما يدل على أنها مريحة.

وكان هيركيول بوارو يجلس على أحد هذه الكراسي، في منتصفه بالضبط. وفي مقابله، كان الدكتور بورتون، زميل كلية أول سولس، يجلس على كرسي آخر ويرتشف باستمتاع كأسًا من الشراب الذي قدمه له بوارو. ولم يكن الدكتور بورتون حسن المظهر على الإطلاق؛ فلقد كان بدينًا وغير مهندم، وتظهر ملامحه المتوردة الرقيقة أسفل شعره الأشعث الأبيض. وكانت له ضحكة خافتة ذات أزيز، ولديه عادة ترك رماد سجائره على كل ما حوله، رغم أن بوارو كان يضع حوله طفايات السجائر ولكن بلا جدوى.

ثم ألقى الدكتور بورتون سؤالًا.

فقال: "أخبرني، لماذا اسم هيركيول؟".

فأجابه بوارو: "أتقصد لماذا تمت تسميتي بهذا الاسم الأوروبي؟".

فاعترض الدكتور بورتون قائلًا: "إنه بالكاد اسم أوروبي، بل إنه يعود لعصر ما قبل انتشار الحضارة في أوروبا، ولكن لماذا؟ هذا ما أريد أن أعرفه. هل هو خيال أبيك؟ أم رغبة أمك؟ أم أنها أسباب عائلية؟ إن لم تخني ذاكرتي - رغم أن ذاكرتي لم تعد كما كانت من قبل - فقد كان لديك أخ اسمه أكيليس، أليس كذلك؟

فعاد بوارو بذاكرته إلى الوراء سريعًا ليستعرض مسار حياة أكيليس بوارو, وتساءل في نفسه: هل حدث كل ذلك بالفعل؟

أجاب بوارو: "أجل, لبعض الوقت فقط".

تحول الدكتور بورتون بلباقة لينهي الحديث في موضوع أكيليس بوارو.

وقال متأملًا: "يجب على الناس أن يختاروا أسماء أبنائهم بعناية. إن لديّ قريبات من البنات، وأعرف ما أتحدث عنه؛ فإحداهن تدعى بلانشيه (الشاحبة) رغم أنها سوداء كالغجر! وأخرى تدعى ديردري تيمنًا ببطلة الأسطورة الأيرلندية ديردري الأحزان ولكنها بشوشة ومبهجة. أما فيما يتعلق بالصغيرة التي تدعى صابرة، فقد كان من الأولى أن يطلق عليها اسم ملولة وسيتناسب معها هذا الاسم كثيرًا! وديانا - حسنًا..."-

ارتجف الباحث في التاريخ اليوناني والإغريقي القديم, وأردف: "لقد وصل وزن ديانا حتى الآن 76 كيلو جراماً وهي لا تزال بعمر الخامسة عشرة! يقولون إنها مجرد بدانة في مرحلة الطفولة - ولكني لا أظن ذلك. ديانا! كانوا يريدون تسميتها هيلين، ولكنني صممت على رأيي، ولأنني أعرف كيف كان يبدو أبوها وأمها! كما كنت أعرف كيف كانت تبدو جدتها! فقد حاولت جاهداً أن أطلق عليها اسم مارثا أو دوركاس أو أي اسم آخر مناسب - ولكن كان الأمر بلا جدوى ومضيعة للوقت. إن الآباء أناس غرباء ...".

ثم بدأ في إصدار صوت أزيز طفيف في أثناء تنفسه - وانكمش وجهه البدين الصغير.

نظر إليه بوارو نظرة متسائلة.

فأردف بورتون قائلًا: "تخيل حواراً بين والدتك والسيدة الراحلة هولمز، حيث كانتا جالستين وتقومان بحياكة أو غزل بعض الملابس الصغيرة، وتناديان أبناءهما: "أكيليس، هيركيول، شيرلوك، مايكروفت...".

فشل بوارو في فهم الدعابة التي ألقاها صديقه.

وسأله بوارو: "ما فهمته من حديثك أن مظهري الجسدي لا يتناسب مع اسم هيركيول؟".

تفحصت عينا الدكتور بورتون هيركيول بوارو؛ فحصتا هذا الشخص المهندم الذي يرتدي بنطلوناً مخططاً وسترة سوداء ورابطة عنق أنيقة، وفحصتاه من أسفل إلى أعلى بدءاً من حذائه الجلدي حتى رأسه بيضاوي الشكل وشاربه الضخم الذي يزين شفته العليا.

وأجاب الدكتور بورتون: "الحقيقة يا بوارو أنه لا يتناسب!"، ثم أضاف: "إنني أستنتج أنه لم يكن لديك الوقت الكافي على الإطلاق لتدرس الكلاسيكيات، أليس كذلك؟".

فقال بوارو: "بلى، بالفعل".

ثم قال بورتون: "يا لك من مسكين! لقد فاتك الكثير. لو كان الأمر بيدي لجعلت كل شخص يدرس الكلاسيكيات".

فهز بوارو كتفيه.

ورد قائلًا: "حسناً، ولكنني مضيت في حياتي جيداً دون الحاجة لدراستها".

فقال الدكتور بورتون: "مضيت في حياتك! إن المسألة لا تتعلق بالمضي في الحياة. إن هذه نظرة غير صحيحة بالمرة، فالكلاسيكيات ليست سُلماً يؤدي إلى النجاح السريع مثلما تفعل دورة دراسية حديثة عن طريق المراسلة! إنها ليست ساعات عمل

الفرد - رغم أهميتها - بل إنها ساعات متعته. وذلك هو الخطأ الذي نرتكبه جميعًا. تأمل في حالك الآن؛ أنت تمضي في حياتك وسترغب في أن تتخلص من أعبائك لتسير الأمور بشكل أسهل - فماذا ستفعل في وقت فراغك؟".

كان بوارو مستعدًا للرد على هذا السؤال.

فقال: "سوف أبدأ - جديًا - في زراعة الكوسة".

تفاجأ الدكتور بورتون.

وسأله: "الكوسة؟ ماذا تقصد؟ تلك الأشياء الخضراء المنتفخة التي لها طعم يشبه طعم الماء؟".

أجاب بوارو بحماس: "أجل, ولكن ذلك هو بيت القصيد؛ فليس بالضرورة أن يكون طعمها يشبه طعم الماء".

قال الدكتور بورتون: "حسنًا! أعلم ذلك - فقط أخلط معها الجبنة أو البصل المفروم أو الصلصة البيضاء".

فقال بوارو: "لا، لا - لقد أخطأت مقصدي. فكرتي أنه يمكن تحسين الطعم الأصلي للكوسة نفسها. ويمكن أن نعطيها"، ثم دارت عيناه في تفكير واستكمل قائلًا: "مذاقًا مغايرًا".

رد الدكتور بورتون: "يا إلهي! إنها ليست مشروبًا". إن كلمة مذاق جعلت الدكتور بورتون يتذكر زجاجة الشراب القريبة منه، فأخذ رشفة وراح يتلذذ بطعمها قائلًا: "يا له من مشروب رائع! طعمه طيب جدًا"، وأومأ برأسه في استحسان ثم قال: "ولكن فيما يتعلق بأمر الكوسة هذا - هل أنت جاد حقًا بهذا الشأن؟ ألا تقصد" - وازدادت نبرة الفزع في صوته واستكمل قائلًا: "إنك سوف تنحني"، وهنا نزلت يداه في استجداء على بطنه البدين واستطرد: "تنحني وتضيف السماد للأرض وترويها بخيوط الصوف المغموسة في الماء وكل ما يلزم؟".

قال بوارو: "يبدو أنك على علم جيد بزراعة الكوسة؟".

فأجاب الدكتور بورتون: "كنت أرى الفلاحين يفعلون ذلك عندما كنت أعيش في الريف. ولكن حقًا يا بوارو أي هواية هذه! قارنها مع" - ثم هدأ صوته وتحدث بنبرة امتنان قائلًا: "الجلوس على كرسي مريح في غرفة طويلة ذات سقف منخفض جدرانها مصفوفة بالكتب - لا بد أن تكون حجرة طويلة, وليست مربعة؛ فكل الكتب تلتف حول شخص واحد، وبجوارك مشروب وكتاب مفتوح بين يديك. يعود الزمن إلى الوراء وأنت تقرأ:" ثم اقتبس نصًا باللغة اللاتينية بصوت رنان ثم ترجمه:

"بمهارته مرة أخرى، استطاع قائد السفينة ضبط مسارها وسط البحر الهائج المظلم، والرياح كانت تضرب السفينة السريعة".

واستطرد الدكتور بورتون قائلًا: "بالتأكيد لن يتملكك نفس شعور قراءتها بلغتها الأصلية".

لدقيقة، وفي غمرة حماسه، نسي أنه يتحدث إلى بوارو. وبينما بوارو يشاهده، شعر بشك مفاجئ وتأنيب ضمير. هل فاته أمر ما؟ ثراء ما في المعنى؟ دب الحزن بداخله. نعم؛ فكان يجب عليه أن يكون على معرفة بالكلاسيكيات... منذ وقت طويل... أما الآن، ويا للحسرة، لقد فات الأوان...".

قاطع الدكتور بورتون أفكار هيركيول الحزينة قائلًا:

"هل تعني أنك تفكر جديًا في التقاعد؟".

أجابه هيركيول: "نعم".

فابتسم الآخر ضاحكًا وقال: "إنك لن تفعل حقًا!".

فقال هيركيول: "ولكني أؤكد لك أنني...".

فقاطعه الدكتور بورتون: "لن تستطيع ذلك يا رجل؛ فأنت تحب عملك جدًا".

فأجابه هيركيول: "كلا - بالتأكيد - إنني أقوم بكل الترتيبات. سأعمل على بعض القضايا, خاصة القضايا المنتقاة؛ وليس كل ما يطرأ من قضايا... فقط القضايا التي أشعر تجاهها باهتمام شخصي".

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الدكتور بورتون وقال:

"هكذا إذن! فقط قضية أو اثنتان، ثم قضية أخرى فقط - وهكذا دواليك. إن رقصة الوداع لا تليق بك يا بوارو!".

ثم ضحك ووقف بهدوء, كأنه قزم لطيف أبيض الشعر.

وقال: "إن قضاياك لا تشبه أعمال هرقل، بل هي أعمال دافعها هو الحب، وستعرف صدق ما أقول. إنني أكاد أجزم أنك خلال فترة اثني عشر شهرًا ستكون لا تزال هنا، والكوسة ستظل..." , وهز كتفيه مردفًا: "مجرد كوسة".

استأذن الدكتور بورتون من مضيفه وغادر الغرفة شديدة الاستطالة.

وهذه هي آخر مرة سيظهر فيها الدكتور بورتون خلال صفحات هذه الرواية.

ما يهمنا فقط هو ما تركه خلفه، ألا وهي الفكرة.

فبعد مغادرته، جلس هيركيول بوارو مرة أخرى بهدوء كما لو كان رجلًا غارقًا في الأحلام وتمتم قائلًا:

"أعمال هرقل ... أجل، يا لها من فكرة، إنها ...".

في اليوم التالي, شوهد هيركيول بوارو يطالع مجلداً مغلفاً بجلد العجول وكتباً أخرى أقل سمكاً، ويلقي نظرات سريعة في العديد من الأوراق المكتوبة بالآلة الكاتبة.

وقد تم تكليف سكرتيرته، الآنسة ليمون، بجمع معلومات عن موضوع هرقل.

وبغير اهتمام (فهي ليست من ذلك النوع الذي يتساءل عن السبب!)، ولكن بكفاءة مثالية، استطاعت الآنسة ليمون أن تنجز مهمتها.

خاض هيركيول بوارو في البداية في غمار بحر من المعارف الكلاسيكية فيما يتعلق بموضوع محدد وهو: "هرقل، البطل الشهير الذي، بعد موته، تم تصنيفه بين أبطال الأساطير واكتسب مجداً كبيراً".

إلى هنا كل شيء على ما يرام - بعد ذلك, لم يعد الأمر مجرد إبحار بين المعارف. لقد ظل بوارو يقرأ لمدة ساعتين بكل جدية، ويكتب الملاحظات متجهماً ويرجع إلى أوراقه ومراجعه الأخرى. وفي النهاية, أسند ظهره إلى كرسيه وهز رأسه. وتبدلت حالته المزاجية التي كان عليها في الليلة السابقة. وأخذ يقول في نفسه: ماذا أصاب هؤلاء القوم؟!

خذ مثلاً هذا الهرقل - هذا البطل! أي بطل! إنه لم يكن سوى مخلوق ضخم العضلات, وذي ذكاء منخفض, وميول إجرامية! تذكر بوارو رجلاً يدعى أدولف ديوراند، كان يعمل جزاراً، وقُدّم للمحاكمة في مدينة ليون عام 1895 - بتهمة أنه شخص له قوة الثور وقام بقتل العديد من الأطفال. واستند الدفاع إلى مرض الصرع - الذي كان بلا شك يعانيه - رغم أن الجدل استمر عدة أيام حول كونه صرعاً كبيراً أم صرعاً صغيراً؛ فهرقل القديم هذا ربما كان يعاني الصرع الكبير. لا، هز هيركيول رأسه رفضاً لهذه الفكرة. فإذا كانت هذه هي فكرة اليونانيين عن البطل، فقياساً على المعايير الحديثة لن يكون هرقل بطلاً. إن النموذج الكلاسيكي الكلي قد أصابه بصدمة. يبدو أن هؤلاء الأبطال الأسطوريين لديهم الكثير من الألقاب والأسماء المستعارة، مثل التي يمتلكها المجرمون حالياً. بالفعل يبدو أنهم قطعاً من النوع الإجرامي؛ فهم يشربون الكحوليات ويمارسون الفسوق ويغتصبون وينهبون ويقتلون ويحتالون - إلى الحد الذي قد يشغل قاعات المحاكم بشكل مستمر. وليست لديهم حياة عائلية لائقة، ولا نظام ولا منهجية!

نهض هيركيول بوارو بعد أن تحرر من أوهام هذه الكلاسيكيات قائلاً: "يا له من هرقل!".

نظر حوله في قبول؛ غرفة مربعة الشكل بها أثاث عصري مربع الشكل - بل وقطعة عصرية منحوتة عبارة عن مكعب فوق مكعب آخر وفوقهما شكل هندسي من أسلاك النحاس. وفي وسط تلك الغرفة المرتبة البراقة، يقف هو. فنظر إلى صورته المنعكسة في الزجاج، ها هو ذا هرقل على الطراز الحديث- مختلف تماماً عن صورة ذلك الكائن

العاري ذي العضلات المفتولة الملوح بعصاه. أما هو؛ فشخص مكتنز, صغير الحجم, يرتدي ملابس متحضرة أنيقة, وله شارب لم يحلم هرقل بأن يكون لديه مثله، ذلك الشارب الرائع الأنيق.

إلا أنه يظل هناك تشابه واحد بين هيركيول بوارو وهرقل المذكور في الكلاسيكيات؛ فكلاهما له دور فعال، بلا شك، في تخليص العالم من شرور محققة ... يمكن وصف كل منهما بأنه فاعل خير في المجتمع الذي يعيش فيه ...

قال الدكتور بورتون وهو يغادر الليلة الماضية: "إن أعمالك لا تشبه أعمال هرقل ...".

ولكنه كان مخطئًا في ذلك، ذلك الرجل عتيق الطراز. يجب أن تكون هناك أعمال تحاكي هرقل مرة أخرى... ولكنه هرقل الجديد. يا له من تصور بارع وممتع! ففي الفترة التي تسبق تقاعده نهائيًا من العمل، يمكنه أن يقبل اثنتي عشرة قضية، لا أكثر ولا أقل. وتلك القضايا الاثنتا عشرة يجب أن يتم اختيارها بالاستناد إلى المهام الاثنتي عشرة التي قام بها هرقل المذكور في الكلاسيكيات. نعم، لن يكون هذا ممتعًا فقط، سيكون عملًا إبداعيًا بل وروحيًا.

تناول بوارو القاموس الكلاسيكي وانهمك مرة أخرى في المعارف الكلاسيكية، ولم يعتزم أن يتبع نموذج هرقل بشكل تام؛ فلا توجد امرأة في حياته, وليس هناك قميص نيسوس كما في الكلاسيكيات التي تتحدث عن هرقل ... الأعمال، الأعمال فقط.

العمل الأول وهو المتعلق بأسد نيميا.

"أسد نيميا"، ظل هيركيول يرددها كما لو كان يجرب نطقها على لسانه.

بالطبع لم يتوقع أن يقابل قضية تدور حول أسد من لحم ودم. وستكون مصادفة غريبة إذا ما تواصلت معه إدارة حدائق الحيوان ليحل لهم مشكلة تتعلق بأسد حقيقي.

كلا, يجب استخدام الرمزية في تفسير ذلك؛ فالقضية الأولى لا بد أن تتعلق بشخصية عامة، لا بد أن تكون قضية مثيرة وذات أهمية من الدرجة الأولى. كقضية عن مجرم قدير - أو عن شخص كان كالأسد في أعين العامة؛ ككاتب شهير أو سياسي أو رسام - أو حتى من الأسرة الملكية؟

لقد أحب فكرة أن تكون القضية تتعلق بشخص من الأسرة الملكية ...

لن يكون في عجلة من أمره، بل سينتظر - سينتظر القضية ذات الأهمية الكبيرة التي لا بد أن تكون الأولى بين أعماله التي فرضها على نفسه.

الفصل الأول

أسد نيميا

1

"هل حدث شيء مهم في هذا الصباح يا آنسة ليمون؟" - هكذا سألها بوارو وهو يدخل الحجرة في الصباح التالي.

كان بوارو يثق بالآنسة ليمون؛ فرغم أنها كانت فتاة تفتقر إلى الخيال, فتاة كانت تتمتع بالحدس...فأي شيء تقول إنه يستحق الأخذ في الاعتبار, عادة ما يكون كذلك بالفعل. لقد وُلدت سكرتيرة بالفطرة.

أجابت: "لم يحدث الكثير يا مسيو بوراو، فهناك خطاب واحد أظن أنه قد يثير اهتمامك. لقد وضعته فوق تلك الكومة".

قال بوارو وهو يتخذ خطوة إلى الأمام تنم عن الاهتمام: "وما هذا؟".

"إنه خطاب من رجل يريد منك أن تحقق في اختفاء كلب من سلالة البيكيني يخص زوجته ".

توقف بوارو تاركًا قدمه في الهواء وألقى على الآنسة ليمون نظرة توبيخ عميقة، ولكنها لم تلاحظها؛ فقد بدأت في الكتابة على الآلة الكاتبة... وكانت تكتب بسرعة ودقة مدفع سريع الطلقات.

لقد انزعج بوارو, بل وغضب أيضًا؛ فالآنسة الكفء ليمون قد خيبت ظنه! كلب بيكيني... كلب بيكيني! بعد الحلم الذي رآه بالأمس! فقد حلم بأنه يغادر قصر باكنجهام بعد أن تلقى الشكر بشكل شخصي، عندما دخل عليه مساعده حاملًا الشيكولاتة التي يتناولها في الصباح!

ارتعشت الكلمات بين شفتيه - كلمات لاذعة السخرية، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة؛ وذلك لأنه نظرًا للسرعة التي تكتب بها على الآلة الكاتبة ودقتها، فإنها لن تسمعه.

مصدراً صوتًا ينم عن الاستياء، تناول بوارو الخطاب من فوق قمة الكومة الموجودة على جانب مكتبه.

بالفعل كان الأمر كما قالت الآنسة ليمون. وكان مكتوبًا على الخطاب عنوان في المدينة - وطلب تعامل صيغ بطريقة جافة وتفتقر إلى الدقة. الموضوع: اختطاف كلب بيكيني، واحد من تلك الكلاب الأليفة المدللة ذات العيون الجاحظة تقتنيه سيدة ثرية. ثم التوت شفة هيركيول بوارو عند قراءته لذلك.

لا يوجد شيء غير عادي في هذا الأمر، لا يوجد شيء غير مألوف - لكن، نعم، لقد كانت الآنسة ليمون محقة بشأن تفصيلة صغيرة. لقد كان هناك أمر غريب في بعض التفاصيل الصغيرة.

جلس هيركيول بوارو وقرأ الخطاب ببطء وتأنّ. ولم تكن واحدة من القضايا التي كان يرغب فيها، كما لم تكن واحدة من القضايا التيً تعهد أمام نفسه بقبولها. ولم تكن قضية مهمة على أية حال، كانت غير مهمة على الإطلاق. وكان هذا هو جوهر رفضه لها، إذ لم تكن تشبه أي عمل من أعمال هرقل.

إلا أنها للأسف أثارت فضوله ...

لقد أثارت فضوله بالفعل ...

رفع صوته بحيث يعلو فوق صوت الآلة الكاتبة حتى تستطيع الآنسة ليمون سماعه.

وقال لها: "اتصلي بالسير جوزيف هوجين، ورتبي موعداً لمقابلته في مكتبه في الوقت الذي يحدده".

وكالعادة, كانت الآنسة ليمون على حق.

"أنا رجل بسيط يا مسيو بوارو"، هكذا قال السير جوزيف هوجين.

عندئذ لوح هيركيول بوارو بيده اليمنى في حركة غير واضحة؛ حركة تعبر (إن أردت أن تراها من هذا الجانب) عن إعجابه بأهمية مهنة السير جوزيف وتقديره لتواضعه في الحديث عن نفسه، وقد يقصد بها استنكاراً لطيفًا للعبارة التي قالها السيد هوجين. وعلى أية حال، فتلك الحركة لم توضح أي شيء عن الفكرة التي تعتمل في عقل هيركيول بوارو عن أن السير جوزيف كان بلا شك (إن أردنا استخدام أكثر لفظ مباشر) رجلًا بسيطًا حقًا، ثم استقرت عينا هيركيول بوارو بنظرة ناقدة على اللغد البارز والأعين الصغيرة التي تشبه أعين الماعز والأنف المنتفخ والفم قليل الكلام؛ فالشكل العام ذكره بشخص أو شيء لكنه لم يستطع في تلك اللحظة أن يتذكر من ذلك الشخص أو ما ذلك الشيء؛ ربما كان ذلك منذ وقت طويل ... في بلجيكا... إنه شيء ما له علاقة بالصابون ...

استكمل السير جوزيف حديثه قائلًا.

"أحدثك بوضوح وأصدقك القول. إن أغلب الناس، يا مسيو بوارو، قد لا يأبهون بهذا الأمر ويتركونه على أعنته، ويتعاملون معه كدَين عليهم سداده ثم ينسونه، ولكن تلك ليست طريقتي في تناول الأمور. إنني رجل ثري - والحديث عن دفع مائتي جنيه أمر لا يمثل أهمية بالنسبة لي ...".

قاطعه بوارو سريعًا:

"أهنئك".

"ماذا؟".

توقف السير جوزيف عن الحديث لدقيقة، وضاقت عيناه الصغيرتان أكثر, وقال بحدة:

"هذا لا يعني أنه من عادتي أن أنفق أموالي يمينًا ويسارًا دون فائدة. إنني أنفق أموالي على ما أريده، ولكنني أدفع مقابل السعر السوقي - لا أكثر من ذلك".

قال هيركيول بوارو:

"أتقصد أن أتعابي مرتفعة؟".

قال السير جوزيف وهو ينظر إليه بمكر: "نعم، نعم. لكن هذا أمر بسيط".

هز هيركيول بوارو كتفيه وقال:

"أنا لا أتفاوض في السعر، فأنا خبير. وأنت تدفع مقابل خدمات يقدمها لك خبير".

قال السير جوزيف بلهجة صريحة:

"أعلم أنك أفضل شخص في هذه الأمور. لقد أجريت اتصالاتي وعرفت أنك أفضل شخص في هذا المجال. إنني أسعى إلى الوصول لحل هذا الأمر ولا يضايقني أمر النفقات. ولهذا جعلتك تحضر إلى هنا".

قال هيركيول بوارو: "لقد كنت سعيد الحظ".

"ماذا؟"، قالها السيد جوزيف مرة أخرى.

قال هيركيول بوارو بحسم: "لقد كنت سعيد الحظ. إنني في أوج مسيرتي المهنية. باختصار، أنوي أن أتقاعد - لأعيش في الريف وأسافر من حين لآخر لأشاهد العالم - وربما أزرع حديقتي - مع الاهتمام بصفة خاصة بتطوير سلالة نبات الكوسة. إنها من الخضراوات الرائعة لكنها تفتقر إلى النكهة. لكن ليس هذا هو الموضوع، فأنا أود فقط أن أوضح أنني تعهدت بإنجاز مهمة محددة قبل التقاعد. لقد قررت أن أقبل العمل على اثنتي عشرة قضية - لا أكثر ولا أقل. ويمكنني إن شئت أن أسميها "أعمال هرقل" التي تعهدت أمام نفسي بإنجازها. وقضيتك يا سيد جوزيف هي أول واحدة من

بين الاثنتي عشرة قضية. لقد جذبتني"، وتنهد قائلًا: "بعدم أهميتها المدهشة".

قال السيد جوزيف: "أهميتها؟".

"بل قلت عدم أهميتها. لقد تمت الاستعانة بي للعديد من الأسباب - للتحقيق في جرائم وفي وفيات مجهولة الأسباب وسرقات ونهب مجوهرات. وهذه هي المرة الأولى التي يُطلب مني أن أستغل قدراتي في تفسير لغز اختطاف كلب بيكيني".

تأفف السيد جوزيف وقال:

"إنك تفاجئني! كان ينبغي أن أقول إنه لا بد أن هناك عشرات القضايا التي كلفتك بها سيدات بخصوص كلابهن".

"هذا صحيح قطعًا. ولكن تلك هي المرة الأولى التي يستدعيني فيها زوج صاحبة القضية".

ضاقت عينا السير جوزيف الصغيرتان في نظرة امتنان.

وقال:

"لقد بدأت أدرك لماذا نصحوني بطلب مساعدتك. إنك رجل داهية يا مسيو بوارو".

قال بوارو بصوت خفيض:

"إن شئت فلتخبرني بمعلومات القضية. متى اختفى الكلب؟".

"منذ أسبوع بالضبط".

"أظن أن زوجتك الآن مضطربة جدًا، أليس كذلك؟".

حدق السير جوزيف وقال:

"إنك لا تفهم ما حدث. لقد تمت إعادة الكلب".

"أعادوه؟ إذن فلتسمح لي بالسؤال، ماذا تريد مني أن أفعل بخصوص هذه المسألة؟".

احمر وجه السير جوزيف.

"ستكون كارثة إذا ما تم الاحتيال عليّ! والآن يا مسيو بوارو سوف أروي لك كل ما حدث. لقد سُرق الكلب منذ أسبوع - تم اختطافه من حدائق كنسينجتون، حيث كان بصحبة زوجتي. وفي اليوم التالي تلقت زوجتي طلبًا بفدية قدرها مائتا جنيه مقابل عودة الكلب. أتصدق هذا - مائتا جنيه! مقابل حيوان صغير لعين كثير النباح وتجده ملتصقًا طوال الوقت بقدميك؟!".

قال بوارو بصوت خفيض:

"أنت لم توافق على دفع هذا المبلغ بالطبع، أليس كذلك؟".

"نعم، بالطبع لم أوافق - أو بالأحرى لم أكن لأوافق لو كنت علمت بالأمر! فزوجتي ميلي تعرف هذا الأمر جيداً، ولهذا لم تخبرني بأي شيء، فقط أرسلت النقود - عبارة عن عملات ورقية من فئة جنيه واحد كما هو متفق عليه - إلى العنوان المحدد".

"وتمت إعادة الكلب؟".

"نعم. رن جرس الباب في تلك الليلة لنجد الكلب الصغير جالساً عند عتبة الباب، ولا أحد بجواره".

"ممتاز... أكمِل".

"ثم اعترفت ميلي بالطبع بما فعلته وفقدت أعصابي قليلاً. إلا أنني هدأت بعد قليل. فعلى أية حال, قد حدث, ما حدث كما أنك لا تنتظر من امرأة أن تتصرف بشكل منطقي. وأعتقد أني كنت سأنسى الأمر برمته فقط لو لم أقابل ساموبلسون العجوز بالمصادفة في النادي".

"وماذا بشأنه؟".

"تباً، إنها عملية احتيال متكاملة الأركان! لقد حدث له الشيء نفسه. لقد احتالوا على زوجته وحصلوا منها على ثلاثمائة جنيه! هذا مبلغ كبير جداً، وقررت أنه يجب أن أفعل شيئاً لأوقف الأمر عند هذا الحد، فأرسلت في طلبك".

"ولكن من المؤكد يا سير جوزيف أن الحل الأمثل (بل والأقل تكلفة) هو الإرسال في طلب الشرطة".

حك السير جوزيف أنفه.

وقال:

"هل أنت متزوج يا مسيو بوارو؟".

"للأسف، لم أنل هذه النعمة".

قال السير جوزيف: "حسناً، لا أعلم إن كانت نعمة، ولكنك لو تزوجت لعرفت أن النساء مخلوقات غريبة. لقد انتابت زوجتي نوبات هلع لمجرد أني أتيت على ذكر الشرطة؛ لأنها مقتنعة بأن مكروهاً قد يصيب كلبها العزيز شان تونج إذا ما ذهبت لأبلغ الشرطة. ولم تكن لتتقبل الفكرة، بل وأظن أنها لا تتقبل فكرة الإرسال في طلبك. ولكني صممت على رأيي واستسلمت هي في النهاية. ولكن أريد منك أن تعلم أن هذا الأمر لا يروقها".

قال هيركيول بوارو بصوت هادئ:

"أرى أن الأمر شائك. وأظن أنه لا بأس بأن ألتقي السيدة زوجتك لأعرف منها المزيد من التفاصيل، وأؤكد لها في الوقت ذاته أن هذا من أجل سلامة الكلب في المستقبل؟".

أومأ السير جوزيف برأسه ووقف ثم قال:

"سأصحبك بسيارتي إلى المنزل على الفور".

2

في غرفة استقبال كبيرة دافئة وذات أثاث مزخرف، كانت هناك امرأتان تجلسان.

ومع دخول السير جوزيف وهيركيول بوارو إلى الغرفة، اندفع تجاههما كلب بيكيني صغير نابحًا بقوة وظل يدور حول كاحلي بوارو على نحو مخيف.

"شان... شان، تعال إلى هنا، تعال إلى أمك يا صغيري - هاته يا آنسة كارنابي".

لقد أسرعت السيدة الأخرى على الفور، وقال هيركيول بوارو متمتمًا:

"أسد حقيقي بالفعل".

وافقته السيدة التي التقطت شان تونج وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة قائلة:

"نعم بالفعل، إنه كلب حراسة جيد. فهو لا يخشى أي شيء أو أي شخص، كما أنه فاتن".

وحيث إنه قد أعطى بوارو الخلفية اللازمة عن الموضوع، قال السير جوزيف:

"حسنًا يا مسيو بوارو، سأتركك الآن لتهتم بهذا الأمر"، وأومأ إيماءة خفيفة برأسه ثم غادر الغرفة.

كانت السيدة هوجين امرأة بدينة, وذات شعر أحمر مصبوغ بالحناء وتبدو حادة الطباع. أما من تجلس برفقتها، الآنسة كارنابي سريعة الكلام، فكانت امرأة ممتلئة الجسم ذات مظهر يوحي بالود ويبدو أن عمرها يتراوح ما بين الأربعين والخمسين. وكانت تعامل السيدة هوجين بخضوع شديد، وكان من الواضح أنها تخشاها إلى حد الموت.

قال بوارو: "والآن أخبريني يا سيدة هوجين عن كل ملابسات هذه الجريمة البشعة".

تهللت أسارير السيدة هوجين.

وقالت: "إنني غاية في السعادة لسماعي قولك ذلك يا مسيو بوارو. لقد كانت جريمة حقًا. الكلاب من سلالة البيكيني غاية في الحساسية - بقدر حساسية الأطفال نفسه. كاد شان تونج المسكين يموت جراء الخوف أكثر من أي سبب آخر".

قاطعت الآنسة كارنابي الحديث بطريقة متلهفة قائلة:

"أجل، لقد كانت فعلة دنيئة جدًا!".

"أخبريني عن الوقائع من فضلك".

"حسنًا، إليك ما حدث. لقد ذهب شان تونج للتنزه مع الآنسة كارنابي ...".

قاطعت السيدة الأخرى الحديث قائلة: "يا لي من بائسة! أجل لقد كان ذلك خطئي. كيف لي أن أكون بهذا الغباء وهذا الإهمال ...".

علقت السيدة هوجين بطريقة لاذعة قائلة:

"لا أود أن أؤنبك يا آنسة كارنابي، ولكني أظن أنه كان ينبغي عليكِ أن تكوني أكثر حذرًا".

تحول بوارو بنظرته الثابتة إلى الآنسة كارنابي وسألها:

"ماذا حدث؟".

انطلقت الآنسة كارنابي تنطق بالكثير من الكلمات المرتبكة.

"لقد كان أمرًا غاية في الغرابة! كنا نسير في ممر الزهور - كان شان تونج يسير في المقدمة بالطبع - وكان قد انتهى للتو من الجري على العشب - وكنت على وشك العودة إلى المنزل عندما جذب انتباهي طفل رضيع في عربة أطفال. وهذا الطفل كان جميلًا, وابتسم لي - ويا لوجنتيه الورديتين الجميلتين وتجعيدات شعره. ولم أستطع أن أقاوم الحديث إلى المربية المسئولة عنه وأن أسألها عن عمره، فقالت لي إنه يبلغ سبعة عشر شهرًا، وإنني متأكدة من أني تحدثت إليها لدقيقة أو دقيقتين فقط، ونظرت فجأة فلم أجد شان, ووجدت أنه قد تم قطع السلسلة ...".

فقالت السيدة هوجين:

"لو كنت تولين انتباهًا كافيًا لواجباتك، لم يكن أحد ليتسلل ويخطفه بدون أن يترك أي أثر".

كان يبدو على الآنسة كارنابي أنها على وشك الانفجار في البكاء, فقال بوارو على الفور:

"وماذا حدث بعد ذلك؟".

"بالطبع نظرت في كل مكان وأخذت أناديه! وسألت حارس المتنزه إن كان قد رأى رجلًا يحمل كلبًا بيكينيًا، ولكنه لم يلاحظ أي شيء من هذا القبيل, ولم أعرف ماذا أفعل, وأخذت أبحث ولكن في النهاية كان عليّ أن أعود إلى المنزل ...".

ثم سكتت الآنسة كارنابي تمامًا، واستطاع بوارو أن يتخيل جيدًا ما حدث فيما بعد. وسأل:

"ثم تلقيتِ خطابًا؟".

التقطت السيدة خيط الحديث، قائلة:

"في بريد صباح اليوم التالي مباشرة، تلقيت خطابًا يخبرني بأنني إذا ما كنت أريد أن أرى شان تونج حيًا فينبغي عليّ إرسال مائتي جنيه إسترليني في عملات ورقية من فئة الجنيه الواحد، في طرد غير مسجل إلى هذا العنوان: كابتن كرتس، 38 ميدان طريق بلومسبري. كما أخبرني بأنه إذا تم ترك أية علامات تميز النقود أو تم إبلاغ الشرطة، فسوف يتم قطع أذني شان تونج وذيله!".

بدأت الآنسة كارنابي استنشاق الهواء.

وقالت بصوت خفيض: "يا له من أمر مريع، كيف يمكن للناس أن يكونوا بهذا القدر من الشر!".

استكملت السيدة هوجين حديثها قائلة:

"وأخبروني في الخطاب أيضًا بأنني إذا أرسلت المال على الفور، فسيعود شان تونج في الليلة نفسها حيًا وسليمًا، ولكن إن ذهبت فيما بعد إلى الشرطة، فشان تونج هو من سيتحمل عاقبة ذلك ...".

تمتمت الآنسة كارنابي باكية:

"يا إلهي، إنني أخشى هذا الآن - بالطبع المسيو بوارو ليس شرطيًا...".

قالت السيدة هوجين بخوف:

"وكما ترى يا مسيو بوارو، عليك أن تكون غاية في الحرص".

وسرعان ما هدأ هيركيول بوارو من روعها قائلًا:

"ولكنني لا أعمل بالشرطة. وتحقيقاتي سأجريها بحكمة وهدوء، وتأكدي يا سيدة هوجين أن شان تونج سيكون بأمان تام؛ فأنا أضمن لكِ ذلك".

ظهر الارتياح على وجهي السيدتين بفعل تلك الكلمة السحرية؛ ثم سألهما بوارو: "هل الخطاب معكِ هنا؟".

هزت السيدة هوجين رأسها قائلة:

"لا، لقد أمروني أن أرفقه مع المال".

"وهل نفّذتِ ذلك؟".

"نعم".

"يا للأسف!".

قالت الآنسة كارنابي متهللة:

"ولكن لا تزال السلسلة موجودة. هل تريد أن أحضرها لك؟".

غادرت الحجرة، واستغل هيركيول بوارو غيابها في إلقاء بعض الأسئلة المتعلقة بها.

فقالت السيدة هوجين:"آمي كارنابي؟ أوه! لا بأس بها. إن لها شخصية جيدة برغم أنها حمقاء بالطبع. لقد عملت لديّ العديد من الجليسات وكن جميعًا حمقاوات تمامًا. ولكن آمي كانت متفرغة لشان تونج وكان هذا الأمر يزعجها جدًا، فتنبهر بعربات الأطفال وتهمل حبيبي الصغير! تلك الخادمات المسنات متشابهات تمامًا، يفقدن عقولهن أمام الأطفال! ولكني متأكدة تمامًا أنها ليست لها أية علاقة بهذا الأمر".

وافقها بوارو قائلًا: "لا يبدو أن لها علاقة بالأمر، ولكن طالما أن الكلب قد اختفى وهو تحت مسئوليتها، إذن يجب علينا التأكد من أمانتها. ما المدة التي قضتها في العمل لديكِ؟".

"عام تقريبًا. إن لديها شهادات توصية ممتازة؛ فقد عملت لدى السيدة هارتينجفيلد المسنة حتى توفيت - أي لمدة عشرة أعوام حسبما أعتقد. وبعد ذلك، قامت بالاعتناء بسيدة قعيدة لفترة من الوقت. إنها إنسانة ممتازة حقًا - ولكنها، كما قلت من قبل، حمقاء تمامًا ".

وعادت آمي كارنابي في تلك اللحظة وهي تحاول التقاط أنفاسها، وأخرجت سلسلة الكلب المقطوعة وسلمتها إلى بوارو باحترام كبير، ناظرةً إليه نظرة أمل في إيجاد أي خيط يصل بهم إلى الحقيقة.

فحص بوارو السلسلة بدقة.

قال بوارو: "نعم, لقد تم قطعها بلا شك".

انتظرت السيدتان بترقب؛ فقال:

"سأحتفظ بها".

وضع بوارو السلسلة بجدية في جيبه. وتنفست السيدتان الصعداء، لقد فعل ما هو متوقع منه.

3

كان من عادة هيركيول بوارو ألا يترك أمرًا إلا ويفحص جوانبه.

برغم أن الآنسة كارنابي لا تبدو أكثر من امرأة حمقاء ومشوشة، فإن بوارو نجح في مقابلة امرأة بغيضة وهي ابنة أخت السيدة هارتينجفيلد الراحلة.

قالت الآنسة مالترافرز: "آمي كارنابي؟ بالطبع أتذكرها جيدًا. لقد كانت إنسانة جيدة وكانت مناسبة تمامًا للعمل لدى خالتي جوليا. إنها كانت متفرغة للكلاب وتتقن القراءة بصوت مرتفع. كما كانت مهذبة ولم تخيب رجاء مريض. ماذا حدث لها؟ أتمنى ألا تكون في مأزق. لقد أعطيتها شهادة توصية منذ عام تقريبًا إلى امرأة يبدأ اسمها بحرف الهاء ".

أوضح لها بوارو بشكل سريع أن الآنسة كارنابي لا تزال في عملها، وقال إنه قد حدثت مشكلة بسيطة تتعلق بكلب ضائع.

"آمي كارنابي متفرغة للكلاب. وكان لدى خالتي كلب بيكيني وتركته بعد وفاتها للآنسة كارنابي التي عكفت على العناية به. أظن أنها حزنت كثيرًا عندما مات. أوه، حقًا، إنها إنسانة طيبة. إلا أنها غير عقلانية تمامًا".

وافق هيركيول بوارو على قولها إن الآنسة كارنابي ربما لا يمكن وصفها بأنها عقلانية.

الخطوة التالية كانت التعرف على حارس المتنزه الذي تحدثت إليه الآنسة كارنابي في ذلك المساء المشئوم، وكان هذا أمرًا سهلًا بالنسبة له. وقد تذكر الرجل تلك الحادثة.

"امرأة في منتصف العمر وبدينة إلى حدّ ما, وعادية المظهر, فقدت كلبها البيكيني. إنني أعرف شكلها جيدًا، فهي تحضر كلبها في أغلب الأيام، وقد رأيتها تدخل المتنزه مع الكلب، وكانت في حالة غريبة عندما فقدته، ثم جاءت تجري نحوي لتسألني عما إذا كنت قد رأيت شخصًا يحمل كلبًا بيكينيًا! يا إلهي! كيف أخبرك بأن الحدائق مليئة بالكلاب من كل نوع، كلاب من سلالات الترير والبيكيني والجيرمان سوسادج، وحتى سلالة بورزوي، يأتي لدينا كل أنواع الكلاب. ولا أتذكر أني رأيت كلبًا من سلالة البيكيني أكثر من رؤيتي لأي نوع آخر".

أومأ هيركيول بوارو برأسه ممعنًا في التفكير.

ثم ذهب إلى 38 ميدان طريق بلومسبري.

كانت بنايات رقم 38 و39 و40 مندمجة مكونة فندق بالاكلافا الخاص، فصعد

بوارو السلالم ودفع الباب، ليجد الظلام بانتظاره ورائحة كرنب مطبوخ, فثارت في نفسه ذكريات سمك الرنجة الذي تناوله في الإفطار. وكانت على يساره طاولة من خشب الماهوجني عليها نبات أقحوان حزين. فوق الطاولة يوجد رف كبير مغطى بقماش أخضر ملتصق به بعض الخطابات. وقد حدّق بوارو إلى اللوح بتمعن لبضع دقائق، ثم دفع الباب الموجود إلى يمينه، والذي كان يؤدي إلى ردهة بها طاولات صغيرة وما يسمى بالمقاعد المريحة مغطاة بقماش قطني لونه كئيب، فهناك ثلاث نساء مسنات ورجل كبير ذو مظهر قاسٍ رفعوا رءوسهم ونظروا إلى ذلك المتطفل بغضب مميت، فخجل هيركيول بوارو وانسحب من المكان.

سار في الممر ووصل إلى الدّرَج، وكان على يمينه ممر متفرع يمينًا إلى ما يبدو أنه غرفة الطعام.

توجد في هذا الممر حجرة مكتب معلق على بابها لافتة مكتوب فوقها "المكتب".

طرق بوارو ذلك الباب ولم يتلقّ أي رد، ففتح الباب ونظر بالداخل، فوجد بالغرفة مكتبًا كبيرًا مغطى بالأوراق، ولا يوجد أحد، فأغلق الباب مرة أخرى، ثم تسلل إلى غرفة الطعام.

كانت هناك فتاة ذات مظهر حزين ترتدي مريلة متسخة وتنتقل حاملة سلة بها سكاكين وشوك تضعها على الطاولة.

قال هيركيول بوارو معتذرًا:

"اسمحي لي، هل يمكنني مقابلة المديرة؟".

نظرت إليه الفتاة بعينين باهتتين:

وقالت:

"لا أعلم، أنا متأكدة".

قال هيركيول بوارو:

"لا يوجد أحد بالمكتب".

"حسنًا، لا أعلم أين يمكن أن تكون، أنا متأكدة".

قال هيركيول بوارو بصبر وإلحاح: "ربما يمكنك أن تعرفي مكانها".

زفرت الفتاة, كأن يومها بكآبته كان ينقصه هذا العبء الإضافي حتى يزداد كآبة، وقالت بنبرة حزينة:

"حسنًا، سأرى ما يمكنني فعله".

شكرها بوارو وعاد مرة أخرى إلى البهو، يواجه نظرة الغل التي كانت موجودة في

عيون الموجودين في الردهة. وكان يحملق إلى رف الخطابات المغطى بقماش أخضر، فسمع صوتًا خفيفًا وشم رائحة قوية من زهور بنفسج مقاطعة ديفونشاير تعلن عن قدوم المديرة.

كانت السيدة هارت لطيفة جدًا. إنها صاحت قائلة: "أعتذر بشدة لأني لم أكن موجودة بالمكتب. هل كنت تسأل عن غرفة شاغرة؟".

قال هيركيول بوارو بصوت خفيض:

"ليس تمامًا. كنت أتساءل حول ما إذا كان صديق لي قد نزل هنا مؤخرًا. الكابتن كرتس".

"كرتس"، صاحت السيدة هارت: "الكابتن كرتس؟ أين سمعت هذا الاسم؟".

لم يساعدها بوارو على التذكر؛ فهزت رأسها بانزعاج.

قال:

"إذن لم يكن الكابتن كرتس نزيلًا هنا؟".

"ليس مؤخرًا بالتأكيد. إلا أن اسمه مألوف بالنسبة لي. على أية حال، هل يمكنك أن تصف صديقك؟".

قال هيركيول بوارو: "سيكون هذا صعبًا"، واستطرد قائلًا: "أظن أنه أحيانًا قد تصل بعض الخطابات لأشخاص لا يكون اسمهم مدرجًا ضمن النزلاء هنا في الواقع؟".

"بالطبع, قد يحدث هذا".

"ما الذي تفعلينه بتلك الخطابات؟".

"نحتفظ بها فترة من الوقت. وكما ترى، قد يعني ذلك أن الشخص المعني بالخطاب سيصل إلى الفندق قريبًا. وبالطبع إذا بقيت خطابات أو طرود هنا لفترة طويلة بدون أن يتسلمها أصحابها، يتم إرجاعها إلى مكتب البريد".

أومأ هيركيول بوارو ممعنًا في التفكير.

وقال:

"لقد فهمت، هذا ما حدث، كما ترين، لقد أرسلت خطابًا إلى صديقي هنا".

بدا على وجه السيدة هارت أنها أدركت الأمر.

وقالت: "هذا يفسر الأمر؛ فلا بد أنني قد رأيت الاسم على أحد الأظرف. ولكن لدينا حقًا العديد من رجال الجيش السابقين، بعضهم يقيم هنا وبعضهم يمكث لفترة ويغادر - دعني أر".

ونظرت إلى اللوحة.

قال هيركيول بوارو:

"إنه ليس موجوداً هنا الآن".

"لا بد أنه تمت إعادته إلى مكتب البريد حسبما أظن... أنا آسفة جداً. وآمل ألا يكون هناك أمر مهم".

"كلا، على الإطلاق، كان أمراً غير ذي أهمية".

وبينما توجه بوارو نحو الباب، تبعته السيدة هارت بعبير أزهار البنفسج الحاد الذي تضعه.

"إن كان صديقك سيحضر...".

"هذا أمر مستبعد. ولا بد أنني أخطأت ...".

قالت السيدة هارت: "أسعارنا معتدلة جداً، تشمل القهوة بعد وجبة العشاء. أتود أن ترى جناحاً أو جناحين في فندقنا...".

لقد استطاع هيركيول بوارو الهروب بصعوبة.

4

كانت غرفة الاستقبال في منزل السيدة ساموبلسون أكبر حجماً وذات أثاث أكثر بذخاً، بل وتتميز بقدر من الحميمية أكثر مما في غرفة استقبال السيدة هوجين. وتلمّس هيركيول بوارو طريقه برعونة بين الطاولات ذات الزخارف الذهبية ومجموعات كبيرة من التماثيل.

إن السيدة ساموبلسون كانت أطول من السيدة هوجين، وكان شعرها مصبوغاً بمادة البيروكسيد. وكان كلبها البيكيني يدعى نانكي بو، وقد تفحصت عيناه المنتفختان هيركيول بوارو بنظرة مليئة بالغرور. وكانت الآنسة كيبل، جليسة السيدة ساموبلسون، امرأة نحيفة وهزيلة على العكس من الآنسة كارنابي البدينة، ولكنها أيضاً كانت كثيرة الكلام وتلتقط أنفاسها ببعض الصعوبة. وكان يوجه لها اللوم هي الأخرى بسبب اختفاء نانكي بو.

"ولكن حقاً يا مسيو بوارو، كان الأمر غاية في الغرابة. لم يستغرق الأمر كله أكثر من ثانية. لقد حدث الأمر أمام متجر هارودز؛ سألتني مربية عن الوقت ...".

قاطعها بوارو قائلًا.

"مربية؟ مربية كلاب؟".

"لا، بل مربية أطفال. وكان معها طفل غاية في الجمال! يا لوجنتيه الجميلتين! يقولون إن أطفال لندن يبدون غير أصحاء، ولكنني على يقين من أن ...".

قاطعتها السيدة ساموبلسون قائلة: "إلين".

احمرت وجنتا الآنسة كيبل خجلًا وتلعثمت ثم لاذت بالصمت.

وقالت السيدة ساموبلسون بطريقة لاذعة:

"وبينما كانت الآنسة كيبل منحنية نحو عربة أطفال ليس لها شأن بها، قطع ذلك الحقير سلسلة نانكي بو وهرب به".

قالت الآنسة كيبل بصوت خفيض باكية:

"حدث كل هذا خلال ثانية، ثم نظرت حولي فلم أجد أثرًا لنانكي بو العزيز - فقط وجدت السلسلة تتدلى من يدي. أتود أن ترى السلسلة يا مسيو بوارو؟".

رد بوارو على الفور: "على الإطلاق"؛ فهو لم يكن يرغب في جمع سلاسل الكلاب المقطوعة. ثم استكمل حديثه قائلًا: "ثم بعد فترة قصيرة تلقيتِ خطابًا، أليس كذلك؟".

سارت القصة على منوال سابقتها نفسه - الخطاب والتهديدات بإيذاء أُذُنيْ نانكي بو وذيله. لقد كان هناك اختلاف في أمرين فحسب - المبلغ المطلوب والذي كان ثلاثمائة جنيه، والعنوان المطلوب إرسال المبلغ إليه: كان العنوان هذه المرة هو: الكوماندر بلاكلي، فندق هارينجتون، 76 حدائق كلونميل، حي كينسينجتون.

استدركت السيدة ساموبلسون قائلة:

"عندما عاد نانكي بو سالمًا، ذهبت إلى العنوان بنفسي يا مسيو بوارو؛ فثلاثمائة جنيه مبلغ كبير على أية حال".

"بالتأكيد".

"أول ما رأيته هناك كان خطابي مرفقًا به المال فوق ما يشبه الرف في الردهة. وبينما كنت في انتظار مالكة الفندق, دسسته في حقيبتي. ولكن للأسف ...".

قاطعها بوارو: "ولكن عندما قمتِ بفتحه لم تجدي به سوى وريقات بيضاء".

سألته السيدة ساموبلسون في ذهول: "كيف عرفت؟".

هز بوارو كتفيه.

وقال: "من الواضح، يا سيدتي العزيزة، أن اللص كان حريصًا على أخذ المال قبل إعادة الكلب، ثم استبدل العملات الورقية ووضع أوراق بيضاء مكانها وأعاد الخطاب إلى الرف حتى لا يلاحظ أحد عدم وجوده".

"ولم يكن هناك نزيل في هذا الفندق يحمل اسم الكوماندر بلاكلي".

ابتسم بوارو ولاذ بالصمت.

فأردفت السيدة ساموبلسون: "وبالطبع كان زوجي غاية في الضيق تجاه الأمر برمته، ففي الواقع كان في قمة الغضب".

تمتم بوارو بحذر:

"أنتِ لم... لم تستشيريه قبل إرسال المال، أليس كذلك؟".

قالت السيدة ساموبلسون بصرامة: "بالطبع لم أفعل".

تساءل بوارو عن سبب ذلك، فأوضحت السيدة الأمر قائلة:

"لم أكن لأخاطر بهذا الأمر؛ فالرجال يختلفون تمامًا عندما يتعلق الأمر بالمال. كان جيكوب سيصر على إبلاغ الشرطة، ولم أستطع أن أُقدم على هذه المخاطرة. عزيزي نانكي بو المسكين. لو كنت فعلت ذلك، كان يمكن أن يصيبه مكروه! بالطبع كان يجب أن أخبر زوجي فيما بعد، حيث كان يجب عليّ أن أوضح له سبب نفاد رصيدي في البنك.

تمتم بوارو:

"تمامًا".

قالت: "ولم أره غاضبًا إلى هذا الحد من قبل. إن الرجال..."، ثم أعادت تسوية سوارها الماسي الرائع وأدارت الخواتم في أصابعها، وأردفت السيدة ساموبلسون قائلة: "لا يفكرون إلا في المال".

5

استقل هيركيول بوارو المصعد إلى مكتب السير جوزيف هوجين، وأدخل السكرتير البطاقة المهنية الخاصة بهيركيول بوارو إلى السير هوجين، وأخبر هيركيول بأن السير جوزيف كان مشغولًا في حينها، ولكنه سيقابله على الفور. في النهاية, خرجت فتاة شقراء متبخترة من مكتب السير جوزيف، ويداها تحملان الكثير من الأوراق،

ونظرت للرجل الغريب ضئيل الحجم نظرة متكبرة في إشارة للسماح له بالدخول.

بينما كان السير جوزيف يجلس خلف مكتبه المصنوع من خشب الماهوجني، كان هناك أثر لأحمر شفاه على ذقنه.

"تفضل يا مسيو بوارو، تفضل بالجلوس. هل تريد إبلاغي بأخبار جديدة؟".

قال هيركيول بوارو:

"إن الأمر بسيط جداً، ففي كل قضية كان يتم إرسال المال إلى أحد النزل أو الفنادق الخاصة، حيث لا وجود لحارس ولا موظف استقبال، والكثير من النزلاء يجيئون ويرحلون طوال الوقت، بمن فيهم عدد كبير من رجال الجيش السابقين، فلا أسهل من أن يدخل أي شخص ويتناول خطاباً من الرف ثم يأخذه معه أو يأخذ المال ويضع بدلاً منه ورقاً أبيض قبل أن يعيد الخطاب إلى مكانه؛ ولهذا ينتهي الأمر، في كل قضية، إلى طريق مسدود".

"تقصد أنك لا تعلم هوية الشخص المسئول عن هذا الأمر؟".

"ليست لديّ أدنى فكرة، نعم. إن الأمر سيستغرق عدة أيام حتى نقتفي أثره".

نظر إليه السير جوزيف بفضول. وقال: "أحسنت عملاً. حسناً، حينما تصل إلى ما يجب إخباري به...".

"سآتي إليك في المنزل لأخبرك بما يجدّ".

قال السير جوزيف:

"إذا وصلت إلى حقيقة هذا الأمر، فسيكون عملاً رائعاً".

قال هيركيول بوارو:

"لا مجال للفشل؛ فهيركيول بوارو لا يفشل".

نظر السير جوزيف إلى هذا الرجل صغير الجسم وابتسم باستهزاء .

وسأله: "أنت واثق كثيراً بنفسك، ألست كذلك؟".

"واثق تماماً، ثقة وراءها سبب".

قال السير جوزيف: "حسناً"، ثم استند إلى ظهر كرسيه وأردف: "الغرور بداية الفشل، كما تعلم".

6

بينما كان هيركيول بوارو يجلس أمام المدفأة الكهربية (ويشعر ببعض الرضا عن تصميمها الهندسي الدقيق)، كان يعطي تعليمات إلى خادمه الخاص وكبير خدمه.

"أتفهَم يا جورجيس؟".

"تمامًا يا سيدي".

"على الأرجح شقة أو منزل صغير، وقطعًا ستكون ضمن حدود معينة. جنوب المتنزه، أو شرق دار عبادة كنسينجتون أو غرب ثكنات نايتسبريدج وشمال طريق فولهام".

"أفهمك تمامًا يا سيدي".

تمتم بوارو قائلًا:

"قضية صغيرة غامضة. وهناك دليل على وجود قدرة فائقة على التنظيم. وبالطبع هناك غموض مذهل بخصوص محرك هذه الأحداث - أو أسد نيميا إن جاز التعبير. إنها قضية مثيرة حقًا. لقد كنت أتمنى أن أكون أكثر انجذابًا لعميلي - ولكنه يشبه كثيرًا صاحب مصنع صابون مدينة ليبج الذي قتل زوجته بالسم حتى يتزوج سكرتيرته الشقراء. وتلك القضية كانت أحد نجاحاتي الأولى".

هز جورجيس رأسه, وقال بجدية:

"هؤلاء الشقراوات، يا سيدي، إنهن السبب في الكثير من المشكلات".

7

بعد مرور ثلاثة أيام، قال جورجيس البارع:

"ها هو ذا العنوان يا سيدي".

أخذ هيركيول بوارو الورقة التي سلّمها له جورجيس.

"عظيم، يا عزيزي جورجيس. في أي أيام الأسبوع؟".

"كل خميس يا سيدي".

"كل خميس. ولحسن الحظ أن اليوم يوافق الخميس، فلا داعي للتأجيل".

بعد عشرين دقيقة، كان هيركيول بوارو يصعد درَج عمارة سكنية بعيدة في شارع صغير يقود إلى شارع أوسع؛ فقد كان نُزُل روشولم في الشقة رقم 10 في الطابق الثالث والأخير ولم يكن هناك مصعد؛ ولذا ثابر بوارو ليصعد الدَّرَج اللولبي الضيق.

بينما توقف بوارو ليلتقط أنفاسه أعلى الدَّرَج، ظهر صوت من خلف باب شقة رقم 10 ليكسر الصمت الذي يلُف المكان - صوت نباح عنيف.

هز هيركيول بوارو رأسه واعتلت وجهه ابتسامة خفيفة. ضغط على جرس الشقة رقم 10.

زاد صوت النباح - اقترب من الباب صوت خطوات أقدام، ثم انفتح الباب...

تقهقرت الآنسة آمي كارنابي ووضعت يدها على صدرها.

قال بوارو: "أتسمحين لي بالدخول؟" ثم دخل الشقة بدون أن ينتظر ردها.

إلى اليمين، كان هناك باب مفتوح على غرفة جلوس فدخلها بوارو. وكانت خلفه الآنسة كارنابي تتبعه كما لو كانت في حلم.

وكانت الغرفة صغيرة ومزدحمة جدًا، ويمكن أن يختفي شخص وسط كل هذا الأثاث، وكانت هناك امرأة مسنة مستلقية على أريكة قريبة من المدفأة. وفور أن دخل بوارو الغرفة، قفز كلب بيكيني من فوق الأريكة واقترب منه مصدرًا نباحًا عنيفًا ومريبًا.

قال بوارو: "أها، اللاعب الرئيسي! أحييك يا صديقي الصغير".

انحنى إلى الأمام مادًا يده، فاشتمه الكلب، وتعلقت عيناه الذكيتان بوجه بوارو.

تمتمت الآنسة كارنابي بصوت خفيض:

"إذن فأنت تعلم؟".

هز هيركيول بوارو بالموافقة.

وقال: "نعم, أعلم", ثم نظر إلى السيدة الجالسة على الأريكة، وسأل: "أختك، كما أظن؟".

قالت الآنسة كارنابي بشكل تلقائي: "نعم. يا إميلي، إنه... إنه المسيو بوارو".

أطلقت إميلي كارنابي زفيرًا، وقالت: "أوه!".

قالت آمي كارنابي:

"أوجسطس...".

نظر الكلب البيكيني إليها وحرك ذيله, ثم عاد لتأمل يد بوارو. وتحرّك ذيله مرة أخرى ببطء.

بعد ذلك التقط بوارو الكلب الصغير برفق، وجلس بعد أن وضع أوجسطس على ركبته، وقال:

"إذن، فقد ألقيت القبض على أسد نيميا، وبذلك قد أنهيت مهمتي".

قالت آمي كارنابي بصوت غليظ جاف:

"أتعرف كل شيء حقًا؟".

هز بوارو رأسه.

وقال: "أظن ذلك. أنت مَن رتبت هذا الأمر - بمساعدة أوجسطس. أخذت كلب صاحبة عملك من نزهته المَعتادة، وأحضرته إلى هنا وذهبت بأوجسطس إلى المَتنزه، فرآك حارس المتنزه ومعك كلب بيكيني كالمعتاد. والمربيَة، إذا ما وجدناها، كانت ستتفق أيضًا أنه كان معك كلب بيكيني عندما تحدثت إليها. وبينما كنتما تتحدثان، قطعت السلسلة وتسلل أوجسطس، مثلما درّبته، وسلَك طَريقه للعودة إلى المنزل. وبعد مرور بضع دقائق, قمتِ بالإبلاغ عن سرقة الكَلب".

مرت دقائق من الصمت، ثم اعتدلت الآنسة كارنابي وهي تحاول الحفاظ على ما تبقى من ماء وجهها. وقالت:

"نعم, كل هذا حقيقي إلى حدٍّ كبير. إنني ... ليس لديّ ما أقوله".

بدأت السيدة العاجزة المستلقية على الأريكة في البكاء بصوت خفيض.

فقال بوارو:

"أليس لديك ما تقولينه يا آنسة؟".

قالت الآنسة كارنابي:

"لا شيء. لقد كنت لِصة... وها قد انكشف أمري".

قال بوارو بصوت خفيض:

"أليس لديكِ ما تقولينه - دفاعًا عن نفسك؟".

احمرت وجنتا آمي كارنابي البيضاوان فجأة. وقالت:

"أنا... أنا لست نادمة على ما فعلته. وأظن أنك رجل طيب يا مسيو بوارو، وأنك ربما تتفهم الأمر. كما ترى، لقد كنت خائفة بشدة".

"خائفة؟".

"نعم، إنه أمر صعب على رجل نبيل أن يتفهم الأمر، كما أتوقع. ولكن كما ترى، فأنا لست امرأة ماهرة على الإطلاق، ولم أتلق أي تدريب, كما أنني أتقدم في السن, وخائفة من المستقبل. ولم أكن قادرة على ادخار أي شيء - فمن الذي سيرعاني أنا وإميلي؟ وكلما تقدمت في السن, زاد ضعفي، لن يصبح هناك من يريدني؛ فالجميع يريدون فتاة شابة مفعمة بالحيوية. لقد عرفت أناساً لهم مثل حالي - لك أن تتخيل أنه لا أحد يريدك وتعيش في غرفة واحدة, وليست لديك نار تدفئك, وليس لديك ما يكفي من الطعام، بل ولا تستطيع أن تدفع إيجار غرفتك ... بالطبع هناك مؤسسات تساعد من هم في مثل حالي، ولكن ليس من السهل الحصول على مساعدتها إلا إذا كان لديك أصدقاء ذوو نفوذ، وأنا ليس لديّ أصدقاء بتلك المواصفات. هناك الكثير ممن هن في مثل حالتي المادية - يا للمسكينات - نساء غير مدرّبات وعاطلات وليس لديهن ما يتطلعن إليه، ليس لديهن سوى شعور مدمر بالخوف...".

ارتجف صوتها وقالت:

"وهكذا اجتمع بعض منا معاً وفكرت في هذا الأمر. امتلاكي لأوجسطس هو ما أوحى لي بتلك الفكرة. كما ترى، معظم الناس لا يستطيعون التفريق بين كلب بيكيني وآخر (تماماً مثلما لا نستطيع التمييز بين شخص صيني وآخر). بالطبع هذا أمر غاية في السخافة. ولكن لا يمكن لمن يعرفون أوجسطس أن يخلطوا بينه وبين نانكي بو أو شان تونج أو أي كلب بيكيني آخر؛ فأحد أسباب ذلك أنه أكثر ذكاءً بنسبة كبيرة، كما أنه أجمل كثيراً، ولكن كما قلت لك، بالنسبة لمعظم الناس هو مجرد كلب بيكيني. أوحى لي أوجسطس بتلك الفكرة، بالإضافة لحقيقة أن الكثير من النساء الثريات يمتلكن كلاباً من فصيلة البيكيني".

قال بوارو وقد اعتلت وجهه ابتسامة خفيفة:

"لا بد أنها كانت حيلة مربحة! كم عدد أفراد... العصابة؟ أو ربما من الأفضل أن أسألك عن عدد عمليات النصب التي تمت بنجاح؟".

قالت الآنسة كارنابي بكل بساطة:

"سرقة شان تونج كانت العملية السادسة عشرة".

رفع هيركيول بوارو حاجبيه.

وقال: "أهنئك. لا بد أن تشكيلك العصابي بارع بالتأكيد".

قالت إميلي كارنابي:

"لقد كانت آمي بارعة في التنظيم، وكان والدي - الذي كان رجل دين في بلدة كلينجتون في مقاطعة إسكس - يقول دائماً إن آمي عبقرية في التخطيط. وكانت تقوم دائماً بترتيبات المناسبات الاجتماعية والأسواق الخيرية وما إلى ذلك".

قال بوارو، بانحناءة بسيطة برأسه:

"أتفق معك. وكمجرمة، فأنتِ تحتلين المرتبة الأولى".

بكت آمي كارنابي

وقالت: "مجرمة! يا إلهي! أعتقد أنني مجرمة. ولكنني... ولكنني لم أشعر بهذا مطلقًا".

"كيف كان شعورك؟".

"بالطبع أنت محق تمامًا؛ فهذا عمل مخالف للقانون. ولكن كما ترى - كيف يمكنني شرح ذلك لك؟ فتقريبًا كل أولئك النساء اللائي نعمل لديهن يتسمن بغلظة وبغض كبيرين. فعلى سبيل المثال، السيدة هوجين لا تأبه لما تقوله لي. وذات يوم قالت إن مشروبها المنعش كان طعمه كريهًا، واتهمتني بالفعل بإفساده، وما إلى ذلك من أفعال". احمر وجه الآنسة كارنابي وأردفت: "إنه أمر كريه حقًا. وعدم قدرتي على قول أي شيء أو الرد عليها، يجعل الغضب يعتمل في صدري بشكل أكبر، إن كنت تفهم ما أعنيه".

قال هيركيول بوارو: "أعلم ما تقصدينه".

"كما كنت أرى المال ينفَق سدى - إنه أمر يثير الغضب. والسير جوزيف الذي كان كثيرًا ما يتحدث عن نجاح مدوٍّ حققه في المدينة - وكنت أرى بعض تلك النجاحات أحيانًا (بالطبع أعلم أنني مجرد امرأة لا علاقة لها بالشئون المالية) عملًا غير شريف. أتعرف يا مسيو بوارو، لقد أزعجني كل هذا، فشعرت بأنني يجب أن آخذ بعض المال من هؤلاء الناس؛ فهم لن يشعروا بخسارته, كما أنهم لم يُعمِلوا ضمائرهم عند الحصول عليه - حسنًا، لم يكن ما فعلته يبدو إجراميًا على الإطلاق".

تمتم بوارو:

"نسخة حديثة من روبن هود! أخبريني يا آنسة كارنابي، هل اضطررتِ إلى تنفيذ تهديداتك التي ذكرتِها في خطاباتك؟".

"تهديدات؟".

"هل لجأتِ إلى تمزيق الحيوانات بالطريقة التي حددتِها في الخطابات؟".

نظرت إليه الآنسة كارنابي في رعب.

وقالت: "بالطبع لم أكن لأجرؤ على الإقدام على فعل كهذا! كان هذا مجرد - مجرد لمسة فنية".

"لمسة فنية جدًا. لقد نجح الأمر".

"بالطبع كنت أعلم أن الأمر سينجح. وأعلم كيف كان سيكون شعوري تجاه أوجسطس إذا ما تم خطفه، وبالطبع كان عليّ أن أتأكد أن أولئك السيدات لن يخبرن أزواجهن بالأمر حتى ينتهي. وكانت الخطة تسير بسلاسة في كل مرة. ففي 9 قضايا من أصل 10 كان يتم إعطاء الخطاب والمال لأحد شركائنا لإرساله, وعادة ما نفتح الخطاب بالبخار ونأخذ النقود ونضع مكانها بعض الأوراق. فمرة أو مرتين كانت السيدة هي من ترسل الخطاب والنقود بنفسها، ثم يذهب أحد شركائنا إلى الفندق ويأخذ الخطاب من الرف. ولكن حتى ذلك كان سهلًا أيضًا، بدرجة كبيرة".

"وماذا عن أمر المربية؟ هل كانت مربية في كل مرة؟".

"الحقيقة يا مسيو بوارو، كما ترى، فالمربيات المسنات معروفات بعاطفتهن الحمقاء تجاه الأطفال؛ لذلك لا بد أنه أمر فطري أنهن ينشغلن بالطفل ولا يلاحظن أي شيء آخر".

تنهّد هيركيول بوارو وقال:

"لديك قدرة بارعة على التحليل النفسي، وعملك التنظيمي يقع في المرتبة الأولى, كما أنك ممثلة بارعة. لقد كان أداؤك متميزًا في اليوم الذي التقيت فيه السيدة هوجين. فلا تستهيني بقدراتك يا آنسة كارنابي، ربما تكونين امرأة عديمة الخبرة، ولكن لا بأس بذكائك أو بجرأتك".

قالت الآنسة كارنابي وقد اعتلت وجهها ابتسامة خفيفة:

"وقد انكشف أمري في النهاية يا مسيو بوارو".

"انكشف أمرك لي فقط. وكان هذا أمرًا حتميًا! عندما التقيت السيدة ساموبلسون، أدركت أن خطف شان تونج كان حلقة في سلسلة. لقد كنت أعرف من قبل أن لديك كلبًا بيكينيًا وأختًا عاجزة. وكل ما كان عليّ فعله هو أن أطلب من خادمي العزيز أن يبحث عن شقة صغيرة في محيط محدد تقطنها امرأة عاجزة لديها كلب بيكيني تحت رعايتها، ولها أخت تزورها مرة واحدة في الأسبوع في يوم إجازتها. وكان الأمر بهذه البساطة".

اعتدلت آمي كارنابي، ثم قالت:

"لقد كنت لطيفًا جدًا. وهذا يشجعني على أن أطلب منك معروفًا. وأعلم أنه لا يمكنني الهروب من عقوبة ما فعلته. فمن المفترض أن يتم إرسالي إلى السجن. ولكن أتُمانع يا مسيو بوارو في أن نتجنب إعلان هذا الأمر. إنه أمر مفجع بالنسبة لـ إميلي - وبالنسبة للأشخاص الذين كانوا يعرفوننا في الماضي. ألا يمكنني أن أُسجن تحت اسم مستعار؟ أم أنه خطأ فادح أن أطلب مثل هذا الأمر؟".

قال هيركيول بوارو:

"أظن أن بإمكاني فعل ما هو أكثر من ذلك. ولكن، أولًا دعيني أوضح أمرًا واحدًا. وهذا الأمر يجب أن يتوقف، ويجب ألا يتم اختطاف أي كلب مرة أخرى. وكل هذا يجب أن ينتهي!".

"نعم! أوه, نعم!".

"والمال الذي استوليتِ عليه من السيدة هوجين يجب أن يعود إليها".

تحركت آمي كارنابي عبر الغرفة وفتحت درج المكتب وعادت برزمة من الأوراق النقدية ثم سلمتها إلى بوارو.

"كنت سأعيد إليها الأموال عن طريق خطاب مسجل اليوم".

أخذ بوارو الأموال وقام بعدّها، ثم نهض وقال: "أظن أنه من الممكن، يا آنسة كارنابي، أن أستطيع إقناع السير جوزيف بألا يرفع دعوى قضائية".

"أوه، حقًا يا مسيو بوارو؟!".

شبّكت آمي كارنابي يديها فرحًا, وأصدرت إميلي صيحة ابتهاج, ونبح أوجسطس وهزّ ذيله.

"أما بالنسبة لك يا صديقي"، قالها بوارو موجهًا كلامه لأوجسطس: "فهناك أمر واحد أود منك أن تعطيني إياه. وكل ما أريده منك قدرتك على التخفي. وفي كل تلك القضايا لم يشُك أحد للحظة أن هناك كلبًا ثانيًا متورطًا في الجريمة. إن أوجسطس يمتلك قدرات أسد".

"بالطبع يا مسيو بوارو، فوفقًا للأسطورة، كانت الكلاب البيكيني أسودًا في الماضي. ولا تزال تحتفظ بقلوب أسود!".

"أظن أن أوجسطس هو الكلب الذي تركته لك السيدة هارتنجفيلد التي توفيت؟ ألم تخافي عليه من العودة وحده خلال حركة المرور؟".

"أوه، لا يا سيد بوارو. أوجسطس ماهر جدًا في السير في الطرق المرورية. لقد قمت بتدريبه بعناية فائقة. بل وقد تعلم مبادئ السير في الطرق ذات الاتجاه الواحد".

قال هيركيول بوارو: "في هذه الحالة، فإنه يتفوق على معظم البشر!".

استقبل السير جوزيف هيركيول بوارو في مكتبه قائلًا:

"إذن، يا مسيو بوارو؟ هل نجحت في القيام بما تفخر به؟".

"دعني أطرِح عليك سؤالًا أولًا"، قالها بوارو بينما كان يجلس، ثم أردف قائلًا: "إنني أعرف مَن المجرم وأعتقد أنه من الممكن الحصول على دليل يثبت اتهام هذا الشخص, ولكن في هذه الحالة أشك أنك ستستعيد أموالك".

"لن أستعيد أموالي؟".

اشتعل السير جوزيف غضبًا.

وأكمل هيركيول بوارو كلامه قائلًا:

"ولكنني لست ضابط شرطة. إنني أعمل بشكل منفرد في هذه القضية لصالحك. وأظن أن بإمكاني استعادة أموالك كاملة، إن لم نتخذ أية إجراءات أخرى ضد المجرم".

فقال السير جوزيف: "ماذا؟ هذا الأمر بحاجة إلى بعض التفكير".

"القرار يعود لك تمامًا. بالأحرى، أفترض أنه ينبغي عليك رفع دعوى قضائية ضده لأجل الصالح العام. إن معظم الناس كانوا سينصحونك بذلك".

قال السير جوزيف بحدة: "أظن أنهم كانوا سيقولون ذلك، فهم لم يخسروا أموالًا. إن أكثر ما أكرهه أن أتعرض للنصب. ولم ينصب أحد عليّ من قبل ثم أفلت من العقوبة".

"إذن ما قرارك؟".

ضرب السيد جوزيف الطاولة بقبضة يده.

وقال: "لديّ الجرأة للإقدام على ذلك! لن أدع شخصًا يقول إنه قد أفلت من جريمة سرقة مائتي جنيه إسترليني من أموالي".

ثم نهض هيركيول بوارو من مقعده وتوجه إلى الطاولة وكتب شيكًا بمائتي جنيه وسلّمه إلى الرجل.

قال السير جوزيف بنبرة واهنة:

"يا إلهي! إذن، مَن هذا المجرم؟".

هز بوارو رأسه نفيًا وقال:

"إذا قبلت النقود، فلن يكون هناك مجال للأسئلة".

طوى السير جوزيف الشيك ووضعه في جيبه.

"إن هذا أمر مؤسف، ولكن النقود هي كل ما يهم. إذن بماذا أدين لك يا مسيو بوارو؟".

"أتعابي لن تكون باهظة. كما قلت، إنه أمر غير مهم على الإطلاق". توقف قليلًا ثم أضاف: "تقريبًا كل القضايا التي أعمل عليها حاليًا هي قضايا قتل ...".

انتابت السير جوزيف بعض الدهشة.

وقال: "لا بد أنه أمر مثير للاهتمام؟".

"أحيانًا ما يكون الأمر مثيراً للاهتمام. الأمر الغريب، أنك ذكرتني بواحدة من أولى القضايا التي عملت عليها في بلجيكا منذ عدة سنوات - وكان الشخص الرئيسي في القضية يشبهك كثيراً. كان صاحب مصنع صابون ثريًا، قتل زوجته بالسّم حتى يصبح حراً ليتزوج من سكرتيرته. حقًا، التشابه ملحوظ جدًا ...".

خرج من بين شفتي السير جوزيف صوت خافت وتحول لونهما للون أزرق غريب، وشحبت وجنتاه، وحدّق إلى بوارو، بعينيه الجاحظتين بشدة، وانزلق داخل كرسيه قليلًا.

ثم تحسس جيبه بيد مرتعشة، وأخرج الشيك ومزقه إربًا.

وقال "انتهى الأمر... أترى؟ اعتبر تلك الأموال هي أتعابك؟".

"أوه، ولكن يا سير جوزيف أتعابي لن تكون كبيرة كهذا المبلغ".

"لا بأس... يمكنك الاحتفاظ بها".

"سأرسله إلى إحدى الجمعيات الخيرية".

"أرسله إلى أي مكان تحبه".

انحنى بوارو إلى الأمام، وقال:

"أعتقد أنه ليس من الضروري أن أوضح أنه في حالتك، يا سير جوزيف، يجب أن تكون حذِراً لأقصى حدٍّ".

قال السير جوزيف بصوت مسموع بالكاد:

"لا داعي للقلق. حسنًا سأكون حذراً".

غادر هيركيول بوارو المنزل، وقال لنفسه بينما يهبط السلالم:

"إذن، لقد كنت محِقًا".

9

قالت السيدة هوجين لزوجها:

"أمر غريب، هذا المشروب طعمه مختلف إلى حدٍّ ما. ولم يعد طعمه لاذعًا. تُرى ما السبب؟".

تذمر السير جوزيف وقال:

"الكيميائيون، هؤلاء المهملون. يصنعون الأشياء بشكل مختلف في كل مرة".

قالت السيدة هوجين بارتياب:

"أظن أن الأمر كذلك".

"بالطبع. ماذا قد يكون السبب غير ذلك؟".

"هل توصّل الرجل إلى أي أخبار عن قضية خطف شان تونج؟".

"نعم. لقد أعاد لي أموالي".

"مَن كان المجرم؟".

"لم يخبرني به. إن هيركيول بوارو صديق عزيز، ولكن لا داعي للقلق".

"إنه رجل غريب صغير الجسم, أليس كذلك؟".

أصيب السير جوزيف برجفة طفيفة وألقى نظرة سريعة من حوله، إذ كان لديه شعور خفي بوجود هيركيول بوارو خلف كتفه اليمنى. وشعر السير جوزيف بأنه سيظل لديه هذا الشعور الخفي طوال الوقت.

فقال:

"إنه رجل داهية".

وقال في نفسه:

"فلتذهب جريتا إلى الجحيم! إنني لن أخاطر بحياتي من أجل امرأة شقراء لعينة".

10

"أوه!".

قالتها آمي كارنابي وهي تحملق بارتياب إلى الشيك الذي قيمته مائتا جنيه إسترليني, ثم صاحت:

"إميلي! إميلي! استمعي إلى هذا".

"عزيزتي الآنسة كارنابي،

اسمحي لي بأن أقدم مساهمة إلى جمعيتك المهمة قبل أن تُفلس.

المخلص بحق،

هيركيول بوارو".

قالت إميلي كارنابي: "آمي، إنك محظوظة جداً. في اعتقادك أين كان يجب أن تكوني الآن؟!".

قالت آمي كارنابي "إما في سجن وورمود سكرابس أو سجن هولواي؟" ثم أردفت: "ولكن لقد انتهى كل هذا الآن، أليس كذلك يا أوجسطس؟ لن تذهب مرة أخرى إلى المتنزه معي أو مع صديقاتي ولن نقطع السلسلة مرة أخرى".

ظهر في عينيها شيء من الأسى، وتنهّدت.

"عزيزي أوجسطس! يا للخسارة! إنه غاية في المهارة ... ويمكننا تعليمه أي شيء ...".

الفصل الثاني

الحية العُدار

1

نظر هيركيول بوارو نظرة تشجيع إلى الرجل الجالس أمامه.

لقد كان الدكتور تشارلز أولدفيلد رجلًا في الأربعين من عمره تقريبًا، له شعر أشقر يميل إلى اللون الرمادي قليلًا عند صدغيه، وعينان زرقاوان لهما نظرة قلقة. انحنى قليلًا واتسم سلوكه ببعض التردد. وعلاوة على ذلك، بدا كأنه يواجه صعوبة في الدخول إلى صلب الموضوع.

قال وهو يتلعثم بعض الشيء:

"لقد جئت إليك يا مسيو بوارو لأطلب منك طلبًا غريبًا. وبعد أن جئت إلى هنا، أجدني أميل إلى التخلي عن الأمر برمته. حيث أدركت للتو أنه أمر لا يمكن لأحد أن يفعل شيئًا حياله".

قال هيركيول بوارو بصوت خفيض:

"إذا كان الأمر كذلك، فدعني أحسم هذا الأمر".

تمتم أولدفيلد:

"لا أعلم سبب تفكيري في أنه ربما...".

وتوقف عن الكلام.

واستكمل هيركيول بوارو الجملة قائلًا:

"ربما أستطيع مساعدتك؟ حسنًا، ربما يمكنني ذلك. فأخبرني بمشكلتك".

اعتدل أولدفيلد، ولاحظ بوارو مرة أخرى أن الرجل منهك.

قال أولدفيلد، وقد بدا في صوته بعض اليأس:

"كما ترى، ليست هناك أية فائدة من اللجوء إلى الشرطة... ليس هناك ما يمكنهم فعله. بل ويزداد الأمر سوءًا يومًا بعد يوم. إنني... إنني لا أعلم ما يجب عليّ فعله ...".

"ما الذي يزداد سوءًا؟".

"الشائعات ... أوه، الأمر بسيط إلى حدّ ما يا مسيو بوارو. منذ بضع سنوات، توفيت زوجتي. لقد ظلت عاجزة لعدة سنوات. والآن يقول الجميع إنني قتلتها... إنني قتلتها بالسّم!".

قال بوارو: "أها، وهل قتلتها بالسّم؟".

قفز الدكتور أولدفيلد واقفًا.

فقال هيركيول بوارو: "اهدأ واجلس مرة أخرى. لنقل إنك لم تقتل زوجتك. وأعتقد أن نشاطك التجاري يقع في منطقة قروية...".

"نعم، متجر لوفبرا - في مقاطعة باركشير. إنني كنت أعرف طوال الوقت أنه مكان يثرثر فيه الناس كثيرًا ويتناقلون الشائعات، ولكني لم أتوقع مطلقًا أن يصل الأمر إلى هذا الحد". ثم مال بكرسيه إلى الأمام قليلًا، وأردف: "مسيو بوارو، ليست لديك أية فكرة عما مررت به. وفي البداية، لم تكن لديّ أية فكرة عما يجري، ولكني لاحظت بالفعل أن الناس أصبحوا أقل ودًا تجاهي، بل صاروا يتجنبونني - ولكني أرجعت ذلك إلى الفاجعة التي ألمت بي مؤخرًا، ثم أصبح الأمر ملحوظًا بشكل أكبر، لدرجة أن الناس في الشارع يعبرون الطريق حتى يتجنبوا الحديث إليّ. إن تجارتي تنهار.... وأينما ذهبت أسمع الهمهمات والنظرات العدائية المتوجهة نحوي بينما تنطق الألسنة الخبيثة بالكراهية. لا يسعني إلا أن أصفها بأنها أمور خسيسة".

توقف - ثم أردف قائلًا:

"و - وإنني لا أعرف ماذا أفعل حيال هذا الأمر. لا أعرف كيف أواجه هذه - هذه الشبكة من الأكاذيب والشكوك. وكيف ينفي شخص شيئًا لم يُقل له بشكل مباشر؟ إنني أشعر بالعجز وقلة الحيلة وأحس بأنني أتحطم تدريجيًا وبلا رحمة".

أومأ بوارو برأسه ممعنًا في التفكير، وقال:

"نعم. فالشائعات مثل حية العُدار ذات الرءوس التسعة التي لا يمكن الفتك بها؛ فما إن تقطع رأسًا من رءوسها، حتى ينمو لها رأسان جديدان في المكان نفسه".

قال الدكتور أولدفيلد: "تمامًا.. ليس هناك ما يمكنني فعله- على الإطلاق! لجأت إليك في محاولة أخيرة - ولكن ليس لديّ أي أمل في أن هناك ما يمكنك فعله".

صمت هيركيول بوارو لدقيقة أو اثنتين، ثم قال:

"أنا لست متأكداً. مشكلتك تثير اهتمامي يا دكتور فيلد. ينبغي أن أحاول مساعدتك على تدمير تلك الحية متعددة الرءوس. ففي البداية، أخبرني بالمزيد عن الملابسات التي أدت لانتشار تلك الشائعات المغرضة. إنك تقول إن زوجتك توفيت منذ أكثر من عام. ما سبب الوفاة؟".

"قرحة معدة".

"هل تم تشريح الجثة؟".

"لا. لقد كانت تعاني مشكلات في المعدة لفترة طويلة".

أومأ بوارو وقال:

"وأعراض التهاب المعدة مشابهة تماماً لأعراض التسمم بالزرنيخ - وهو ما يعرفه الجميع حالياً. وخلال السنوات العشر الماضية، حدثت على الأقل أربع جرائم قتل مثيرة؛ حيث تم دفن كل ضحية بشهادة تفيد الإصابة بمرض في المعدة، بدون الشك في الملابسات. هل كانت زوجتك أكبر منك أم أصغر؟".

"لقد كانت تكبرني بخمس سنوات".

"وكم مضى على زواجكما؟".

"خمس عشرة سنة".

"هل تركت أية ممتلكات؟".

"نعم. كانت امرأة ميسورة الحال. لقد تركت ما يقرب من ثلاثين ألف جنيه".

"حسناً.. هذا مبلغ ممتاز. تركته باسمك؟".

"نعم".

"هل كنت وزوجتك على وفاق؟".

"بالتأكيد".

"لم يحدث بينكما أية شجارات أو مشكلات؟".

ارتبك تشارلز أولدفيلد لقد قال: "حسناً... كانت زوجتي، كما يمكن وصفها، امرأة صعبة المراس، وكانت امرأة عاجزة وشديدة القلق بشأن صحتها، وتميل إلى أن تكون سيئة الطبع وصعبة الإرضاء. وغالباً لم تكن ترضى عن أي شيء أفعله".

أومأ بوارو، وقال:

"آه... نعم، أعرف هذا النوع من الأشخاص. وربما تشكو أن زوجها يتجاهلها ولا يقدرها - وأن زوجها قد سئم منها وسيبتهج إذا ماتت".

إن ملامح وجه أولدفيلد كانت تعكس تصديقًا لتخمينات بوارو، وقال بابتسامة باهتة:

"لقد أصبت كبد الحقيقة".

ثم استكمل بوارو أسئلته قائلًا:

"هل كانت تقيم معها ممرضة لرعايتها؟ أو مرافِقة؟ أو خادمة متفرغة للعناية بها؟".

"ممرضة مرافقة؛ امرأة حكيمة ومؤهلة جيدًا، أنا لا أعتقد أنها قد تتحدث".

"حتى الحكماء المؤهلون يتمتعون بنعمة الكلام - كما أنهم قد لا يُحسِنون استخدام ألسنتهم دائمًا. وليس لديّ أدنى شك في أن الممرضة المرافقة قد تحدثتَ، وأن الخدم قد تحدثوا، وأن الجميع تحدثوا! لديك كل ما يلزم لانتشار فضيحة مثيرة للاهتمام داخل البلدة؛ لذا دعني أطرح عليك سؤالًا آخر: من تكون السيدة؟".

احمر وجه الدكتور أولدفيلد غضبًا. وقال: "أنا لا أفهم ما تقصده".

قال بوارو بطريقة لطيفة:

"بل أظن أنك تفهم؛ إنني أسألك عن السيدة التي اقترن بها اسمك".

نهض أولدفيلد، وكان وجهه صلبًا وباردًا. وقال:

"ليس ثمة امرأة تتعلق بها هذه القضية. إنني أعتذر يا مسيو بوارو، لقد أخذت الكثير من وقتك".

وتوجه نحو الباب.

قال هيركيول بوارو:

"إنني آسف على هذا أيضًا، إن قضيتك تثير اهتمامي. وكنت أود مساعدتك، ولكن لا يمكنني فعل أي شيء ما لم تخبرني بالحقيقة كاملة".

"لقد أخبرتك بالحقيقة".

"كلا ...".

توقف أولدفيلد واستدار سائلًا بوارو:

"لماذا تصر على أن للأمر علاقة بامرأة؟".

"عزيزي الدكتور! أتظن أنني لا أعرف العقلية الأنثوية؟ إن النميمة في القرى تقوم دائمًا على العلاقات بين الجنسين. إذا قتل رجل زوجته بالسم حتى يستطيع أن يسافر ويعيش بعيدًا أو لكي ينعم بالراحة في حياة العزوبية - فهذا لا يثير اهتمام

جيرانه في القرية على الإطلاق! ولكن لو أنهم مقتنعون بأنه نفذ تلك الجريمة حتى يتزوج بامرأة أخرى، ما تلبث تلك الشائعات حتى تنتشر. وهذا هو جوهر علم النفس الإنساني".

قال أولدفيلد منفعلًا:

"أنا لست مسئولًا عما يفكر فيه حفنة من فارغي العقول!".

"بالتأكيد أنت لست مسئولًا".

وأكمل بوارو:

"إذن، ينبغي عليك أن تعود وتتفضل بالجلوس وتجيب عن سؤالي الذي طرحته عليك للتو".

فعاد أولدفيلد ببطء إلى مقعده مترددًا.

وقال وقد احتقن وجهه:

"أعتقد أنهم ربما قد تناقلوا كلامًا عن الآنسة مونكريف، جين، مونكريف هي موظفة لديّ، إنها فتاة رائعة بالفعل".

"منذ متى وهي تعمل لديك؟".

"منذ ثلاث سنوات".

"هل كانت زوجتك تحبها؟".

"حسنًا، لا، ليس تمامًا".

"هل كانت تغار منها؟".

"كان أمرًا سخيفًا!".

ابتسم بوارو، وقال:

"الزوجات لديهن غيرة يُضرب بها المثل، ولكنني سأخبرك بأمر ما؛ وفقًا لخبراتي، فبرغم أن الغيرة قد تبدو مبالغًا فيها ومفرطة، فإنها كثيرًا ما تقوم على وقائع. أليست هناك قاعدة تقول إن الزبون دائمًا على حق؟ حسنًا، فهذا ينطبق أيضًا على الزوج الغيور أو الزوجة الغيورة. فبرغم أنه قد يوجد سبب حقيقي ضعيف جدًا لمثل هذه الغيرة، فإنهن دائمًا ما يكن على حق".

قال الدكتور أولدفيلد بغلظة:

"هذا هراء.. أنا لم أقل لجين مونكريف أي شيء حتى تسمع به زوجتي مصادفة".

قال بوارو:

"ربما، إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة ما قلته"، ثم مال إلى الأمام، وأضاف بصوت متعجل ومقنِع: "دكتور أولدفيلد، سأبذل قصارى جهدي في هذه القضية، ولكني أريد منك صراحة تامة بغض النظر عن الصورة التقليدية أو عن مشاعرك الخاصة. ألم تتوقف عن رعاية زوجتك لفترة ما قبل وفاتها؟".

صمت أولدفيلد لدقيقة أو دقيقتين، ثم قال:

"هذا الأمر يؤلمني. لا بد أن أجد حلًا. فبطريقة أو بأخرى، أشعر بأنك ستستطيع مساعدتي. سأكون صريحاً معك يا مسيو بوارو. إنني لم أكن أهتم كثيراً بزوجتي، وأظن أنني كنت زوجًا جيداً لها ولكني لم أحبها قط".

"وهذه الفتاة، جين؟".

تصبب جبين الدكتور أولدفيلد عرقًا، وقال:

"كان ينبغي أن أطلب الزواج منها لولا كل تلك الفضائح والنميمة".

تراجع بوارو إلى الخلف في كرسيه، وقال:

"ها قد وصلنا إلى الحقائق أخيراً! حسنًا يا دكتور أولدفيلد، سأقبل العمل على قضيتك. ولكن تذكّر أن الحقيقة هي ما أبحث عنه".

قال أولدفيلد بمرارة:

"ليست الحقيقة هي ما سيؤذيني!".

ثم تردد وقال:

"أتعلم؟ لقد فكرت مليًا في القيام بشيء ما تجاه تشويه سمعتي! فإذا كان بإمكاني - أن أجعلهم يتهمونني صراحة وبشكل مباشر فقطعًا سوف تتم تبرئتي؟ فأحيانًا ما أظن ذلك ... وأحيانًا أخرى أرى أن هذا لن يزيد الأمر إلا سوءاً - سيزيد من انتشار الشائعات ويجعل الناس يقولون: "ربما لم يتم التحقق من إدانته ولكن لا دخان بغير نار".

نظر إلى بوارو وسأله:

"قل لي بصدق، هل هناك مَخرج من هذا الكابوس؟".

أجابه هيركيول بوارو: " دائمًا هناك مخرج".

قال هيركيول بوارو لخادمه: "سنذهب إلى الريف يا جورج".

قال جورج رابط الجأش: "حقًا يا سيدي؟".

"والغرض من رحلتنا هذه هو الفتك بوحش ذي تسعة رءوس".

"حقًا يا سيدي؟ شيء أكبر من وحش لوخ نيس؟".

"بل شيء ليس ماديًا. لم آتِ على ذكر حيوان من لحم ودم يا جورج".

"لقد أخطأت الفهم يا سيدي".

"كان الأمر سيصبح أكثر سهولة لو كان يتعلق بالفتك بحيوان من لحم ودم. وليس هناك شيء يصعب تحديده والوصول إليه أكثر من مصدر انتشار شائعة".

"نعم، بالفعل يا سيدي. فمن الصعب أن تعرف كيف يبدأ شيء ما".

"بالضبط".

لم يُقِم هيركيول بوارو في منزل الدكتور أولدفيلد، بل أقام في نُزل محلي. وفي الصباح التالي لوصوله إلى البلدة، أجرى أول مقابلة مع جين مونكريف.

كانت فتاة طويلة، ذات شعر مصبوغ باللون النحاسي، وعينين زرقاوين ثابتتين. وكانت لها نظرات حذرة كما لو كانت تخاف على نفسها من شيء ما.

قالت:

"إذن، فقد لجأ إليك الدكتور أولدفيلد ... كنت أعرف أنه يفكر في ذلك".

كانت نبرة صوتها تفتقر إلى الحماسة.

قال بوارو:

"ألم توافقيه على ذلك؟".

نظرت مباشرة إلى عينيه. وقالت بفتور:

"وما الذي يمكنك فعله؟".

أجابها بوارو بهدوء:

"لا بد أن هناك طريقة للتعامل مع هذا الموقف".

"أي طريقة؟"، - هكذا ألقت الكلمات في وجهه بتهكم، ثم أردفت: "هل تعني أن أَمُرّ على كل النساء المسنات اللائي يتهامسن وأقول لهن: " أرجو أن تتوقفن عن الحديث في هذا الأمر. إنه أمر يؤذي الدكتور أولدفيلد". وهن سوف يُجبِن قائلات: "بالطبع، إننا لم نصدق ما يقال إطلاقًا!". وهذا هو أسوأ ما في الأمر، فهن لن يقلن: "عزيزتي، ألم

يخطر على بالك أن موت السيدة أولدفيلد لم يحدث بالشكل الذي يبدو عليه الأمر؟"، وإنما سيقلن: "يا إلهي، بالطبع نحن لا نصدق ما يقال عن الدكتور أولدفيلد وزوجته. إننا متأكدات من أنه لم يكن ليفعل شيئًا كهذا، إلا أنه بالفعل كان يتجاهلها بعض الشيء، ولا أظن حقًا أنه من الحكمة أن يوظف لديه فتاة شابة كموظفة بالصيدلية الموجودة بمتجره - بالطبع نحن لا نقول على الإطلاق إن بينكما أي شيء مريب. يا إلهي، نحن على يقين من أن كل شيء كان على ما يرام ...""". وهنا توقفت، واحتقن وجهها وتسارعت أنفاسها.

فقال هيركيول بوارو:

"يبدو أنك تعرفين جيداً ما يقال".

كان فمها مغلقًا تمامًا، ثم فتحته لتقول بمرارة:

"أعلم تمامًا".

"وما الحل الذي ترينه؟".

قالت جين مونكريف:

"أفضل ما يفعله أن يبيع تجارته ويبدأ من جديد في مكان آخر".

"ألا تعتقدين أن هذه القصة قد تتبعه؟".

هزّت كتفيها بلا مبالاة وقالت:

"هذه مخاطرة لا بد منها".

صمت بوارو لدقيقة أو اثنتين، ثم قال:

"هل ستتزوجين الدكتور أولدفيلد يا آنسة مونكريف؟".

لم تتفاجأ بالسؤال، وقالت باقتضاب:

"لم يطلب مني الزواج".

"لِمَ لا؟".

تقابلت عيناها الزرقاوان مع عينيه، وظهرت بهما لمعة لثوانٍ، ثم قالت:

"لأنني صددته".

"آه، يا لها من نعمة أن تجد شخصًا يتحدث بصراحة!".

"سأكون صريحة بقدر ما تريد. فعندما لاحظت أن الناس يتحدثون عن أن تشارلز تخلص من زوجته حتى يتزوجني، بدا لي أننا إذا تزوجنا بالفعل فإن هذا سيؤكد تلك

الاتهامات. وكنت أظن أنه إذا لم نتزوج، فسوف تموت تلك الفضيحة السخيفة".

"لكن لم يحدث هذا؟".

"نعم، لم يحدث".

قال بوارو: "بالتأكيد، أليس الأمر غريبًا إلى حدٍّ ما؟".

قالت جين بمرارة:

"ليس لدى أهل البلدة أمور تلهيهم".

سألها بوارو:

" أتريدين الزواج من تشارلز أولدفيلد؟".

أجابت الفتاة بهدوء كبير:

"نعم. لقد أردت الزواج منه منذ أن التقيته".

"إذن فموت زوجته كان موائمًا بالنسبة لك؟".

قالت جين مونكريف:

"كانت السيدة أولدفيلد امرأة بغيضة جدًا. إنني حقًا ابتهجت بموتها".

قال بوارو: "نعم، أنتِ صادقة بالتأكيد".

ابتسمت بلا مبالاة مرة أخرى.

قال بوارو:

"لديّ اقتراح".

"تفضل؟".

"يجب اتخاذ إجراءات حاسمة. إنني أقترح أن يكتب شخص ما - ربما يكون أنتِ - طلبًا إلى وزارة الداخلية".

"ماذا تعني بالله عليك؟".

"أعني أن أفضل طريقة لإنهاء هذا الأمر بشكل حاسم تكمن في إخراج الجثة من مدفنها وتشريحها".

تراجعت خطوة للخلف، وفتحت شفتيها ثم أغلقتهما مرة أخرى، بينما كان بوارو يراقبها.

قال بوارو في النهاية: "إذن يا آنستي؟".

"لا أتفق معك".

"ولكن لماذا؟ وجود حكم قضائي يقضي بأن الوفاة أسبابها طبيعية بالتأكيد سيُخرس كل الألسنة".

"هذا إن حصلت على هذا الحكم".

"هل تدركين ما تلمحين إليه يا آنسة؟".

قالت جين مونكريف بنفاد صبر:

"إنني أعلم ما أتحدث عنه. إنك تفكر في احتمالية القتل بسم الزرنيخ - يمكنك أن تثبت أنها لم تُقتل بالزرنيخ. ولكنّ هناك سمومًا أخرى - كأشباه القلويات النباتية. وبعد مرور عام على موتها، أشك أنك قد تجد أية آثار للسم حتى لو كان قد تم قتلها بالسم بالفعل. وأعلم ما سيفعله مسئولو الطب الشرعي - سيرفعون تقريراً غير ملزم يقضي بعدم وجود ما يحدد أسباب الوفاة - وهنا ستتحدث الألسنة أكثر من ذي قبل".

صمت هيركيول بوارو لدقيقة أو اثنتين، ثم قال:

"برأيك، من أكثر شخص يروج الشائعات في القرية؟".

أخذت الفتاة تفكر، ثم قالت في النهاية:

"أعتقد حقًا أن السيدة ليثيرن المسنة هي الأحط بينهم".

"آه! هل من الممكن أن تعرفيني على السيدة ليثيرن - بطريقة ودية إن أمكن؟".

"إنه أمر غاية في السهولة؛ فهؤلاء المسنات كثيرات النميمة يتجولن للتسوق في هذا الوقت من النهار. وكل ما علينا فعله هو أن نسير في الشارع الرئيسي".

وكما قالت الآنسة جين، لم تكن هناك أية صعوبة في الأمر. خارج مكتب البريد، توقفت جين وتحدثت إلى امرأة طويلة ونحيفة في منتصف عمرها، لها أنف طويل وعينان حادتان ولهما نظرات فضولية.

"صباح الخير يا آنسة ليثيرن".

"صباح الخير، يا جين. يا له من يوم جميل، أليس كذلك؟".

عيناها الحادتان فحصتا مرافق جين مونكريف بفضول. قالت جين:

"اسمحي لي بأن أقدم لكِ المسيو بوارو، إنه يقيم هنا لبضعة أيام".

3

بينما كان بوارو يتناول كعكة بتمهل ويضع فنجانًا من الشاي على ركبتيه بعناية، سمح لنفسه بأن يكون ودوداً مع مضيفته. وقد تعاملت معه الآنسة ليثيرن بلطف فدعته لتناول الشاي، فجعلت مهمتها أن تعرف بالتحديد ما الذي يفعله هذا الرجل صغير الحجم الغريب في بلدتهم.

كان يراوغ أساليبها في البداية لبعض الوقت بمهارة كبيرة - وبذلك كان يثير فضولها، ثم في اللحظة المناسبة، مال إلى الأمام وقال:

"آنسة ليثيرن، أرى أنك شديدة الذكاء بالنسبة لي! لقد كشفتِ سري. إنني هنا بناء على طلب من وزارة الداخلية، ولكن أرجوك أن..."، وخفض صوتهَ مردفًا: " ... أن تحتفظي بتلك المعلومات سراً بيننا".

قالت: "بالتأكيد - بالتأكيد"، ثم اضطربت قليلًا وسألته بحماس: "وزارة الداخلية - تعني أن الأمر يتعلق بالسيدة أولدفيلد المسكينة، أليس كذلك؟".

أومأ بوارو برأسه عدة مرات ببطء.

تنفست الآنسة ليثيرن بارتياح وقالت: "حسنًا".

قال بوارو:

"إنها مسألة دقيقة كما تعرفين. لقد أمرني المسئولون في وزارة الداخلية بأن أقدم تقريراً يفيد إذا ما كانت القضية تستدعي استخراج الجثة من قبرها".

صاحت الآنسة ليثيرن قائلة:

"سوف تنبشون قبر هذه المسكينة. يا له من أمر مريع!".

لو أنها قالت: "يا له من أمر رائع!" بدلًا من "يا له من أمر مريع!"، كانت الكلمات ستتناسب بشكل أكثر مع نبرة صوتها.

"ما رأيك يا آنسة ليثيرن؟".

"بالطبع يا مسيو بوارو، لقد قيل الكثير من الكلام حول هذا الموضوع. ولكني لم أستمع لهذا الكلام مطلقًا. إن الكثير من أحاديث النميمة لا يمكن الوثوق بها. لا شك أن السيد أولدفيلد كان سلوكه غريبًا جداً منذ وفاة زوجته، ولكني قلت مراراً إننا قطعًا يجب ألا نعزو هذا إلى الإحساس بالذنب. فربما يكون ذلك بسبب الحزن. بالطبع لا أقصد أنه وزوجته كانا متحابين حقًا؛ فأنا أعلم ذلك بالفعل من مصدر مطلع. فالممرضة هاريسون، التي كانت ترعى السيدة أولدفيلد لمدة ثلاث أو أربع سنوات حتى

وفاتها، قد اعترفت بذلك مراراً. ولقد شعرت بأن الممرضة هاريسون لديها بعض الشكوك - هي لم تقل أي شيء من هذا قط، ولكن بإمكاني أن أشعر بهذا من سلوكها، أليس كذلك؟".

قال بوارو:

"هذا لا يُثبت أي شيء".

"أعلم ذلك، ولكن بالطبع يا مسيو بوارو، إذا تم استخراج الجثة سوف تعرفون الحقيقة".

قال بوارو: "نعم، سوف نعرف حينها".

قالت الآنسة ليثيرن وأنفها يرتعش من فرط الإثارة: "لا بد وقد حدثت قضايا مشابهة من قبل... أرمسترونج على سبيل المثال، وذلك الرجل الآخر - الذي لا أذكر اسمه - ثم كريبن، بالطبع. فقد تساءلت كثيراً إذا ما كانت إيثيل لو نيف متورطة معه في الجريمة أم لا. بالطبع جين مونكريف فتاة لطيفة كثيراً، إنني متأكدة ... لم أكن أود أن أقول إنها قادته إلى هذا المصير - إلا أن الرجال يصابون بالحماقة إذا ما تعلق الأمر بفتاة جميلة، أليس كذلك؟ وبالطبع لقد جمعهما القدر!".

لم ينبس بوارو ببنت شفة. ولكنه نظر إليها نظرات بريئة مفتعلة حتى يجعلها تستفيض في حديثها. وكان منشغلًا بحساب عدد المرات التي قالت فيها كلمة "بالطبع".

"وبالطبع، ستظهر الكثير من الحقائق بعد تشريح الجثة، أليس كذلك؟ واستجواب الخدم وما إلى ذلك؛ فالخدم دائمًا ما يعرفون الكثير، أليس كذلك؟ وبالطبع، من المستحيل أن تمنعهم من النميمة، أليس كذلك؟ تم طرد بياتريس خادمة عائلة أولدفيلد فور انتهاء الجنازة - لقد رأيت ذلك أمراً غريباً - خاصة أن هناك صعوبة حاليًا في إيجاد خادمات. يبدو كما لو أن الدكتور أولدفيلد كان خائفًا من أنها قد تكون على علم بشيء مما حدث".

قال بوارو بجدية: "يبدو أن هناك أسباباً منطقية لإجراء تحقيق".

ارتجفت الآنسة ليثيرن رجفة نفور.

وقالت: "إنني أنفُر من مجرد الفكرة، قريتنا العزيزة الصغيرة يتم ذكرها في الصحف - وتكون حديث الساعة!".

سألها بوارو: "هل يفزعك هذا الأمر؟".

"يفزعني قليلًا. إنني امرأة من الطراز القديم كما تعلم".

"وكما قلتِ، ربما تكون المسألة كلها مجرد شائعات".

"حسنًا - لم أكن أود أن أُفصح عن ذلك بشكل مباشر. وكما تعلم، أظن بالفعل أن مقولة لا دخان بغير نار، مقولة حقيقية".

قال بوارو: "أنا شخصيًا كان لديّ الاعتقاد نفسه بالضبط".

ونهض قائلًا:

"يمكنني الوثوق بقدرتك على كتمان الأمر يا آنستي؟".

"أوه، بالطبع! لن أنبس ببنت شفة لأي شخص".

ابتسم بوارو وهمّ بالمغادرة.

وعند الباب، قال للخادمة الصغيرة التي كانت تسلّمه قبعته ومعطفه:

"إنني هنا للتحقيق في ملابسات وفاة السيدة أولدفيلد، ولكن يتحتم عليّ أن أطلب منك أن تُبقي هذا الأمر سرًا".

كادت جلاديس، خادمة الآنسة ليثيرن، تسقط على حامل المظلات من هول المفاجأة، وقالت بحماسة:

"أوه، سيدي، إذن فالدكتور هو من قتلها بالفعل؟".

"لقد كنتِ تفكرين في ذلك لفترة من الوقت، أليس كذلك؟".

"حسنًا يا سيدي، لم يكن أنا من يظن ذلك. إنها بياتريس؛ لقد كانت تعمل هناك عندما ماتت السيدة أولدفيلد".

"وهل كانت تعتقد أنها كانت هناك" - كان بوارو ينتقي الكلمات الدرامية بعناية - "مؤامرة مدبرة؟".

أومأت جلاديس بحماسة.

"نعم، وكانت تعتقد ذلك. وقالت إن الممرضة التي كانت هناك في ذلك الوقت تعتقد ذلك أيضًا، الممرضة هاريسون. كانت الممرضة تحب السيدة أولدفيلد كثيرًا، وحزنت إلى حدّ بعيد عند وفاتها، وكثيرًا ما قالت بياتريس إن الممرضة هاريسون تعرف شيئًا يتعلق بهذا الأمر؛ إذ إنها تغيرت تمامًا تجاه الدكتور أولدفيلد فيما بعد، وما كانت لتتغير تجاهه لولا وجود شيء مريب في الأمر، أليس كذلك؟".

"أين ذهبت الممرضة هاريسون؟".

"إنها ترعى الآنسة بريستو العجوز - التي تسكن في آخر القرية. ولا يمكنك أن تخطئ المنزل، فهو يتميز بوجود أعمدة وسقيفة".

4

لم يمر وقت طويل حتى جاءت اللحظة التي جلس فيها هيركيول بوارو أمام السيدة التي لا بد أنها تعرف المزيد عن الملابسات التي أدت إلى انتشار الشائعات أكثر من الآخرين.

كانت الممرضة هاريسون امرأة لا تزال تحتفظ بجمالها مع اقترابها من سن الأربعين، وكانت تتمتع بسكينة وهدوء امرأة متدينة، ولها عينان داكنتان واسعتان مليئتان بالعطف. وقد استمعت إليه بصبر وإنصات، ثم قالت بهدوء:

"نعم، أعلم أن هناك الكثير من الشائعات الكريهة تدور بين الناس. وقد فعلت كل ما بوسعي لإيقافهم، ولكن بلا فائدة؟ فالناس يحبون الإثارة، كما تعلم".

قال بوارو:

"ولكن لا بد أن هناك ما جعل تلك الشائعات تنتشر؟".

ثم لاحظ بوارو أن الحزن البادي عليها قد ازداد، ولكنها هزت رأسها في حيرة فقط.

فقال بوارو: "ربما لأن الدكتور أولدفيلد وزوجته لم يكونا على وفاق، وهو ما أطلق تلك الشائعة؟".

هزت الممرضة هاريسون رأسها بحزم.

وقالت: "كلا، لقد كان الدكتور أولدفيلد يعامل زوجته برفق وصبر".

"هل كان مولعًا بها كثيرًا؟".

ترددت الممرضة هاريسون.

وأخيرًا قالت: "لا - لا يمكنني أن أقول هذا تمامًا؛ فالسيدة أولدفيلد كانت سيدة صعبة المراس، ليس من السهل إرضاؤها، وكانت باستمرار تطلب التعاطف معها والاهتمام بها وهو ما لم يكن له مبرر في كل مرة".

قال بوارو: "أتقصدين أنها كانت تبالغ في التعبير عن حالتها؟".

أومأت الممرضة بالإيجاب.

ثم قالت: "نعم - لقد كان مرضها نسجًا من خيالها بشكل كبير".

قال بوارو بجدية: "ومع ذلك، فقد ماتت ...".

"أوه، أعلم - أعلم ...".

راقب تصرفاتها لدقيقة أو اثنتين؛ ولاحظ ارتباكها واضطرابها - وحيرتها الواضحة.

قال: "أظن - بل إنني متأكد - أنكِ تعرفين تمام المعرفة ماذا كانت الشرارة الأولى لكل تلك الشائعات".

احمر وجه الممرضة هاريسون.

وقالت:

"حسنًا - ربما يمكنني أن أخمن. إنني أعتقد أن الخادمة بياتريس هي من أطلقت كل تلك الشائعات وأظن أنني أعرف السبب الذي جعلها تفكر في ذلك".

"ألا وهو؟".

قالت الممرضة هاريسون بشكل غير مترابط:

"حسنًا، لقد كان شيئًا سمعته بالمصادفة - سمعت جزءًا من حوار بين الدكتور أولدفيلد والآنسة مونكريف - وأنا متأكدة إلى حدٍّ كبير من أن بياتريس سمعته بالمصادفة أيضًا، إلا أنني لا أعتقد أنها أتت على ذكر هذا الأمر من قبل".

"ماذا كان يدور في هذا الحوار؟".

صمتت الممرضة هاريسون لدقيقة أو اثنتين كما لو كانت تراجع ذاكرتها وتتأكد من دقتها، ثم قالت:

"كان ذلك قبل ثلاثة أسابيع من النوبة الأخيرة التي أدت إلى وفاة السيدة أولدفيلد. لقد كانا في غرفة الطعام، وكنت أنزل على الدرج عندما سمعت جين مونكريف تقول:

"كم سيستغرق هذا الأمر؟ لا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك".

وأجابها الدكتور:

"ليس كثيرًا يا حبيبتي، أعدك بذلك"؛ فقالت مرة أخرى:

"أنا لا أطيق هذا الانتظار؛ أتظن أن الأمور ستكون على ما يرام، أليس كذلك؟"، فأجابها: "بالطبع. لا يمكن لأي شيء أن يسير بشكل خطأ. في هذا الوقت نفسه من العام القادم سنتزوج"".

توقفت الممرضة هاريسون عن الحديث، ثم قالت:

"كانت هذه هي الإشارة الأولى التي تلقيتها، يا مسيو بوارو، عن وجود أمر بين الدكتور والآنسة مونكريف. بالطبع كنت أعلم أنه معجبٌ بها وأنهما كانا صديقين مقرّبين، ولكن لا شيء أكثر من هذا. بعد ذلك صعدت الدّرج مرة أخرى - لقد أصابني

هذا الحوار بصدمة - ولكني لاحظت أن باب المطبخ كان مفتوحاً ولا بد أن بياتريس كانت تستمع لهما. ويمكنك أن ترى أن الطريقة التي كانا يتحدثان بها يمكن فهمها بطريقتين: ربما تعني فقط أن الدكتور كان يعلم أن زوجته مريضة جداً، وأنها لن تعيش طويلًا - ولا أشك في أنه كان يقصد ذلك - ولكن يمكن لأي شخص آخر مثل بياتريس أن يفهمه بطريقة أخرى - فقد يبدو الأمر كما لو كان الدكتور وجين مونكريف يخططان بالفعل للتخلص من السيدة أولدفيلد".

"ولكنكِ لا تظنين ذلك، من جانبك أنتِ؟".

"كلا على الإطلاق ...".

نظر إليها بوارو بتفحّص، وقال:

"أيتها الممرضة هاريسون، هل تعرفين المزيد؟ أقصد شيئًا لم تخبريني به؟".

احمرّ وجهها وقالت بنبرة عنيفة:

"لا. لا. على الإطلاق. ما الذى يمكن أن أعرفه؟".

"لا أعلم، ولكني ظننت أنه ربما كان هناك... شيء ما؟".

هزت رأسها، وعادت إليها النظرة المضطربة نفسها.

قال بوارو: "من المحتمل أن تأمر وزارة الداخلية بإخراج جثة السيدة أولدفيلد!".

ارتعبت الممرضة هاريسون: "أوه لا! يا له من أمر مروع!".

"أتظنين أنه أمر مؤسف؟".

"أظن أنه سيكون أمرًا مروّعًا! فكر فيما سيتسبب فيه هذا الأمر من انتشار القيل والقال! سيكون أمرًا مروعًا - مروعًا إلى حدٍّ كبير بالنسبة للدكتور أولدفيلد المسكين".

"ألا تظنين أنه سيكون أمرًا جيدًا بحق بالنسبة له؟".

"كيف ذلك؟".

قال بوارو: "إذا كان بريئًا - سيتم إثبات براءته".

صمت بوارو، وشاهد الممرضة هاريسون وهي تُمعن التفكير، ورأى وجهها المتجهم في حيرة، ثم ظهر على وجهها الارتياح.

ثم أخذت نفسًا عميقًا.

وقالت ببساطة: "لم أفكر في ذلك من قبل. بالطبع هذا هو الأمر الوحيد الذي يجب فعله".

ثم سمعا دقات متتالية في الطابق العلوي، فقفزت الممرضة هاريسون من مكانها.

"إنها السيدة المسنة، الآنسة بريستو. لقد استيقظت من نومها. لا بد أن أذهب إليها وأوفر لها بعض الراحة قبل أن يحضروا لها الشاي ثم أذهب للتمشية. نعم يا مسيو بوارو، أظن أنك على حق. إن إجراء تشريح للجثة سوف يحسم هذا الأمر نهائيًا، وسيضع حدًا للقيل والقال وستنتهي تمامًا الشائعات المغرضة المنتشرة عن الدكتور أولدفيلد المسكين".

صافحته وأسرعت خارجة من الغرفة.

5

بعد ذلك توجه هيركيول بوارو إلى مكتب البريد وطلب إجراء مكالمة إلى لندن.

كان الصوت في الطرف الآخر عنيفًا.

"هل كان لا بد أن تذهب لاستكشاف هذا الأمر يا عزيزي بوارو؟ هل أنت متأكد أنها قضية جدية؟ هل تعرف ما الذي تؤدي إليه عادةً تلك الشائعات القروية - لا تؤدي إلى أي شيء على الإطلاق".

قال هيركيول بوارو: "إنها قضية استثنائية".

"إذن فليكن لديك ذلك الطبع المرهق، حيث ترى أنك على صواب. ولكن إن اتضح أن المسألة لا تزيد على كونها مجرد شائعات فلن نكون راضين عنك كما تعلم".

ابتسم بوارو وتمتم قائلًا:

"لا، بل أنا من سوف يكون راضيًا".

"ماذا قلت؟ لم أسمعك".

"لا شيء، لا شيء على الإطلاق".

فأغلق الخط.

فور دخوله إلى مكتب البريد مال إلى مكتب الاستقبال الأمامي، وقال بصوت غاية في الرقة:

"سيدتي، هل بإمكانك أن تخبريني بالمكان الذي تقيم فيه الخادمة التي كانت تعمل في منزل الدكتور أولدفيلد - اسمها بياتريس؟".

"بياتريس كينج؟ لقد كانت تقيم في مكانين منذ تركت منزل الدكتور أولدفيلد. إنها تعمل حاليًا لدى السيدة مارلي التي تسكن أعلى البنك".

فشكرها بوارو، واشترى بطاقتين بريديتين وألبوم طوابع وقطعة خزفية محلية الصناعة. وفي أثناء الشراء حاول التطرق إلى الحديث عن موت السيدة الراحلة أولدفيلد، وسرعان ما لاحظ التعبير الغريب الذي تسلل إلى وجه مسئولة مكتب البريد. وقالت:

"كان أمرًا غير متوقع على الإطلاق، أليس كذلك؟ لقد تسبب في الكثير من القيل والقال، مثلما سمعت".

وقد ظهر في عينيها الاهتمام وهي تسأله:

"ربما تريد أن ترى بياتريس كينج لهذا السبب؟ كلنا رأينا أن طريقة مغادرتها للعمل هناك بشكل مفاجئ كانت غريبة. لقد ظن الناس أنها تعرف شيئًا ما عن هذا الأمر - وربما كانت تعرف بالفعل. لقد ألمحت إلى هذا بضع مرات".

كانت بياتريس كينج فتاة قصيرة ذات مظهر ماكر إلى حد ما وتعاني زائدة أنفية. تظهر بمظهر الحمقاء البلهاء ولكنّ عينيها كانتا تنطويان على ذكاء أكثر مما ينم عنه سلوكها. ومع ذلك، بدا أنه من المستحيل الحصول على أية معلومة منها؛ فقد ظلت تردد:

"لا أعلم شيئًا عن أي شيء ... ليس من حقي أن أتكلم عما حدث هناك ... لا أعلم ما تقصده بالاستماع بالمصادفة إلى حديث بين الدكتور والآنسة مونكريف. أنا لست ممن يسترقون السمع عند الأبواب، وليس من حقك أن تقول إنني قد فعلت ذلك. أنا لا أعلم شيئًا عن هذه الأمور".

قال بوارو:

"هل سمعتِ من قبل عن القتل بسُم الزرنيخ؟".

وهنا، ظهر على وجه الفتاة المتجهم اهتمام خفي.

وقالت:

"إذن فهذا هو ما كان في زجاجة الدواء؟".

"أي زجاجة دواء؟".

قالت بياتريس:

"إحدى زجاجات الدواء التي حضّرتها الآنسة مونكريف للسيدة أولدفيلد. لقد كانت الممرضة غاية في الضيق - كان باستطاعتي ملاحظة ذلك. فلقد تذوّقته وشمته ثم أفرغته في الحوض وملأت الزجاجة بماء عادي من الصنبور. وكان دواءً شفافًا كالماء

على أية حال. وذات مرة، عندما أخذت الآنسة مونكريف إبريقًا من الشاي إلى السيدة، أنزلته الممرضة مرة أخرى وصنعت لها إبريق شاي جديدًا - وقالت إنها فعلت ذلك؛ لأنه لم يكن محضّرًا من ماء مغلي، ولكن أعلم أن ذلك هراء! لقد ظننت أن هذا ليس سوى أحد الأفعال المزعجة التي تفعلها الممرضات أحيانًا - ولكني لا أعلم حقًا - ربما كان هناك سبب أكبر من ذلك".

أومأ بوارو، وقال:

"هل كنتِ تحبين الآنسة مونكريف يا بياتريس؟".

"لا أُلقي لها بالًا ... فقط هناك تحفّظ بسيط. بالطبع، لقد لاحظت أنها تلاطف الدكتور. ويمكنك أن تلاحظ ذلك فقط من الطريقة التي كانت تنظر بها إليه".

أومأ بوارو برأسه مجددًا، ثم عاد مرة أخرى إلى النُّزُل.

وهناك أعطى لـ جورج تعليمات محددة.

6

فرك الدكتور ألان جارسيا، إخصائي التحليل بوزارة الداخلية، يديه، ولمعت عيناه وهو ينظر لهيركيول بوارو، ثم قال:

"حسنًا، أعتقد أن هذا يليق بك يا مسيو بوارو؟ الرجل الذي يتصف بأنه على صواب دائمًا".

قال بوارو:

"هذا لطف منك".

"ما الذي دعاك للعمل على التحقيق في هذا الأمر؟ الشائعات؟".

"كما قلت - إن طريق انتشار الشائعات مفروش بالكثير من القيل والقال".

في اليوم التالي، استقل بوارو القطار مرة أخرى إلى متجر لوفبرا.

كان متجر لوفبرا يعج بالناس كما لو كان خلية نحل. لقد أصبح الإقبال عليه معتدلًا منذ استخراج الجثة.

ومنذ تسريب نتائج التشريح، بلغت الجلبة المثارة حول القضية أوجها.

كان بوارو في النُّزُل منذ ساعة تقريبًا وقد انتهى لتوه من تناول غداء شهي يتكون من بودينج شريحة لحم والكلى المغموسة في المرق، عندما أخبروه بأن هناك امرأة قد جاءت لمقابلته.

عندئذ، كانت الممرضة هاريسون بانتظاره، كان وجهها شاحبًا وهزيلًا.

وتوجهت مباشرة إلى بوارو.

ثم قالت: "هل هذا حقيقي؟ هل الأمر حقيقي بالفعل يا مسيو بوارو؟".

جذب لها كرسيًا بهدوء فجلسَت.

وقال: "نعم. لقد تم اكتشاف أكثر من دليل على وجود سم الزرنيخ بجسدها".

انتحبت الممرضة هاريسون:

"لم أفكر مطلقًا - أنا لم أفكر للحظة واحدة... "، ثم انفجرت في البكاء.

قال بوارو برفق:

"لا بد للحقيقة أن تظهر كما تعلمين".

نشجت الممرضة هاريسون بالبكاء وقالت:

"هل سيعدمونه؟".

قال بوارو:

"لا تزال هناك الكثير من الحقائق التي يجب التأكد منها؛ كطريقة حصول المجرم على السّم والأداة التي تم نقله بها إلى جسم السيدة أولدفيلد".

"لكن لنفترض، يا مسيو بوارو، أن الدكتور ليست له علاقة بذلك الأمر - ليست له أدنى علاقة".

هز بوارو كتفيه وقال: "في تلك الحالة، ستتم تبرئته".

قالت الممرضة هاريسون ببطء:

"هناك شيء... شيء كان عليّ أن أخبرك به من قبل - ولكني لم أكن أظن أنه قد يكون ذا أهمية، إنه أمر غاية في الغرابة".

قال بوارو: "كنت أعلم أن هناك أمرًا ما. إذن، عليكِ أن تخبريني به الآن".

"إنه ليس بالأمر المهم. إنني أريد أن أخبرك فقط بأنه ذات يوم عندما نزلت إلى الصيدلية لأجلب شيئًا ما، وجدت جين مونكريف تفعل شيئًا غريبًا... إلى حدٍّ ما".

"ألا وهو؟".

"يبدو أن الأمر سخيف. لقد كانت تملأ علبة بودرة الوجه الخاصة بها - علبة مطلية باللون الوردي...".

"ثم؟".

"ولكنها لم تكن تملؤها بالبودرة - أقصد بودرة الوجه. لقد كانت تملؤها بشيء من إحدى الزجاجات الموجودة في خزانة السموم. وعندما رأتني، فزعت وأغلقت علبة البودرة ووضعتها في حقيبتها، وأعادت الزجاجة إلى الخزانة حتى لا أعرف أي الزجاجات كانت. وأظن أن هذا لا يعني شيئًا - ولكن بما أني قد عرفت أن السيدة أولدفيلد قد ماتت بالسّم..."، وهنا صمتت.

قال بوارو: "معذرةً".

ثم خرج واتصل بالمحقق سيرجينت جراي الذي يعمل بشرطة باركشير.

بعد ذلك عاد هيركيول بوارو إلى الممرضة هاريسون وجلسا في صمت.

وقد كان بوارو يرى وجه فتاة ذات شعر أحمر، ويسمع صوتًا حادًا يقول بوضوح: "لا أوافق". جين مونكريف لم تكن ترغب في إجراء التشريح، وقدمت مبررًا منطقيًا بشكل كاف - ولكن تظل الحقيقة واضحة. إنها فتاة مؤهلة، وذات كفاءة وحازمة تحب رجلًا متزوجًا بامرأة عاجزة كثيرة الشكوى، والتي كانت من الممكن أن تعيش لسنوات أخرى - وفقًا لما قالته الممرضة هاريسون - حيث إن ما كانت تعانيه ليس بالأمر الكبير.

تنهد هيركيول بوارو.

وقالت الممرضة هاريسون:

"ما الذي تفكر فيه؟".

أجابها بوارو:

"المثير للشفقة حقًا ...".

قاطعته الممرضة هاريسون قائلة:

"لا أعتقد على الإطلاق أنه كان يعرف أي شيء عن هذا الأمر".

فقال بوارو:

"لا، إنني متأكد أنه لم يكن يعرف".

انفتح الباب فدخل منه المحقق سيرجينت جراي. وكان يحمل شيئًا في يده مغلفًا بمنديل حريري، ثم فتح الغلاف وأخرجه بعناية. وكانت علبة مطلية باللون الوردي الفاتح.

قالت الممرضة هاريسون:

"هذه هي العلبة التي رأيتها".

قال جراي:

"وجدتها محشورة في نهاية درج مكتب الآنسة مونكريف، وملفوفة داخل غلاف مناديل. ويمكنني أن أرى أنه لا وجود لأية بصمات أصابع عليها، ولكنني سأكون حريصاً".

باستخدام المنديل، ضغط على مفتاحها، فانفتحت العلبة. قال جراي:

"هذه ليست بودرة وجه".

غمس فيها إصبعه وتذوقها بحذر على طرف لسانه".

"ليس لها طعم محدد".

قال بوارو:

"الزرنيخ الأبيض ليس له طعم".

قال جراي:

"سيتم تحليل تلك المادة فوراً". نظر إلى الممرضة هاريسون وقال لها: "هل يمكن أن تُقسمي على أنها العلبة نفسها؟".

"نعم، إنني متأكدة. إنها العلبة التي رأيتها مع الآنسة مونكريف في الصيدلية قبل أسبوع من وفاة السيدة أولدفيلد".

تنهّد سيرجينت جراي، ونظر إلى بوارو وأومأ، فقام الأخير بدق الجرس.

وقال: "أدخل خادمي إلى هنا من فضلك".

دخل جورج، الخادم المثالي والكتوم والذي لا يلفت الأنظار، ونظر إلى سيده متسائلاً.

فقال هيركيول بوارو:

"لقد تعرّفت، يا آنسة هاريسون، على علبة البودرة هذه حيث رأيتها ضمن أغراض الآنسة مونكريفَ منذ عام مضى. هل ستتفاجئين إذا ما علمتِ أن هذه العلبة نفسها قد باعها متجر السادة وولورث منذ أسابيع فحسب، بل وهذه العلَبة بهذا النقش واللون لم يتم صنعها إلا منذ ثلاثة أشهر فقط؟".

شهقت الممرضة هاريسون، وحدّقت إلى بوراو وغارت عيناها؛ فقال بوارو:

"هل رأيت هذه العلبة من قبل يا جورج؟".

تراجع جورج خطوة إلى الوراء.

وقال "نعم يا سيدي. رأيت هذه السيدة، الممرضة هاريسون، تشتريها من متجر وولورث يوم الجمعة الموافق الثامن عشر من هذا الشهر. وبناءً على تعليماتك، تعقبت هذه السيدة أينما ذهبت. ورأيتها تستقل حافلة إلى بلدة دارنينجتون في اليوم الذي ذكرت أنها اشترت العلبة فيه، وأخَذَت العلبة إلى منزلها. وفي وقت لاحق من اليوم نفسه، أتت إلى المنزل الذي تقيم فيه الآنسة مونكريف، ووفقًا لتعليماتك، كنت في المنزل بالفعل. وقد رأيتها تدخل غرفة نوم الآنسة مونكريف وتخبئ هذه العلبة في نهاية درج المكتب. لديّ قدرة جيدة على النظر من خلال فتحة الباب، ثم غادرت الممرضة هاريسون المنزل معتقدة أنه لم يرها أحد. ويمكنني أن أقول إنه لا أحد في هذه البلدة يوصد باب منزله، وكان الظلام معتمًا".

قال بوارو للممرضة هاريسون بصوت غليظ وغاضب:

"هل يمكنك تفسير هذه الحقائق أيتها الممرضة هاريسون؟ لا أظن ذلك. إن مادة الزرنيخ لم تكن موجودة بداخل هذه العلبة عندما خرجت من متجر وولورث، ولكنها كانت موجودة داخل العلبة عندما غادرت منزل الآنسة مونكريف". وأضاف بهدوء: "لم يكن من الحكمة أن تتركي بعضًا من مادة الزرنيخ في أغراضك".

لذا أخفت الممرضة هاريسون وجهها داخل يديها، وقالت بصوت خفيض وضعيف:

"هذا حقيقي - حقيقي تمامًا ... لقد قتلتها. بلا سبب - بلا سبب ... لقد كنت غاضبة".

7

قالت جين مونكريف:

"لا بد أن أطلب منك المغفرة يا مسيو بوارو. لقد كنت غاضبة منك كثيرًا - غاضبة منك بشدة. وكنت أرى أنك تجعل الأمور تزداد سوءًا".

قال بوارو بابتسامة:

"كان يجب أن تكون البداية هكذا؛ فالأمر كان يشبه أسطورة حية العُدار القديمة. ففي كل مرة يتم قطع رأس من رءوسها، ينمو لها رأسان جديدان في المكان نفسه؛

لذلك، حتى أبدأ، كانت الشائعات تنمو وتتضاعف. ولكن، كما رأيت، فمهمتي، التي تشبه مهمة هرقل الأسطورية، كانت أن أصل إلى الرأس الأول الأصلي. من الذي أطلق تلك الشائعة؟ لم يستغرق الأمر مني وقتًا طويلًا حتى أعرف أن من صنع هذه القصة هي الممرضة هاريسون، وذهبت لمقابلتها. إنها كانت تبدو امرأة لطيفة جدًا - ذكية وعطوفة. ولكنها سرعان ما ارتكبت خطأً جسيمًا - لقد حكت لي حوارًا - كانت قد سمعته بالمصادفة - يدور بينك وبين الدكتور، وكان الحوار، كما تعرفين، مختلقًا تمامًا. كان الحوار مستبعد الحدوث تمامًا من الناحية النفسية. فإذا كنت والدكتور قد خططتما لقتل السيدة أولدفيلد، فأنتما أذكى كثيرًا من أن تجريا مثل هذا الحوار في غرفة بابها مفتوح، فيسمعه بالمصادفة شخص على الدرج أو في المطبخ. علاوةً على ذلك، فإن الكلمات المنسوبة إليك لا تتناسب على الإطلاق مع عقليتك؛ فهي كلمات تناسب امرأة أكبر سنًا وذات شخصية مختلفة. لقد كانت كلمات تشبه ما قد تقوله الممرضة هاريسون في موقف مشابه.

"حتى ذلك الحين، كنت أظن أن المسألة بهذه البساطة. ولكنني أدركت أن الممرضة هاريسون لا تزال امرأة شابة وجميلة - ظلت على مقربة من الدكتور أولدفيلد لمدة تقترب من ثلاث سنوات - كان الدكتور مهتمًا بها وممتنًا لها بسبب براعتها وعطفها. وكان لديها اعتقاد أنه إذا ماتت السيدة أولدفيلد، فقد يطلب الدكتور الزواج بها. إلا أنه بعد وفاة السيدة أولدفيلد، علمت أن الدكتور أولدفيلد مغرم بك. وعلى الفور، دفعها الغضب والغيرة إلى نشر شائعة تقول إن الدكتور أولدفيلد قتل زوجته بالسم".

واستكمل بوارو قائلًا: "هكذا، كما قلت، تخيلت الموقف في البداية؛ أنها مجرد قضية امرأة في حالة غيرة، ووجود شائعة كاذبة. ولكن المقولة القديمة: "لا دخان بغير نار" تكررت على سمعي مرارًا. تساءلت عما إذا كانت الممرضة هاريسون قد فعلت ما هو أكثر من مجرد نشر شائعة. بعض الأمور التي قالتها كانت متناقضة. لقد أخبرتني بأن مرض السيدة أولدفيلد كان من نسج خيالها بشكل كبير - وأنها لم تكن تعاني ألمًا بشكل حقيقي. ولكن الدكتور نفسه لم يكن لديه أدنى شك في معاناة زوجته، ولم يتفاجأ بموتها. وكان قد استدعى طبيبًا آخر قبل وفاتها بوقت قصير، وأدرك مدى خطورة حالتها. وقد عرضت عليها في البداية فكرة استخراج الجثة ... في البداية أصابتها الفكرة برعب كبير، ثم سرعان ما سيطرت عليها الغيرة والكراهية. كأنها قالت لنفسها: دعيهم يعثروا على سم الزرنيخ - فلن تطالك الشكوك. بل ستشير أصابع الاتهام إلى الدكتور وكذلك إلى جين مونكريف، وهما من سيعانيان".

وأضاف بوارو: "كان هناك أمل واحد، وهو أن أجعل الممرضة هاريسون تتجاوز حدود ما يمكن أن تفعله. فإذا كان هناك احتمال أن جين مونكريف قد تنجو من الاتهام، فتراءى لي أن الممرضة هاريسون ستبذل كل ما بوسعها لتوريطها في القضية؛ ولذلك أعطيت تعليماتي لخادمي المخلص جورج - الذي من المستحيل ملاحظته والذي لم تكن

الممرضة هاريسون تعرف شكله. وكانت مهمته أن يتعقبها عن كثب. وهكذا - نجحت جهودنا".

قالت جين مونكريف:

"لقد كنت مذهلًا".

قاطعها الدكتور أولدفيلد، قائلًا:

"نعم، بالفعل. لا أعرف كيف أشكرك. إلى أي مدى كنت أحمق وأعمى!".

فقال بوارو بفضول:

"هل كنتِ عمياء عن الحقيقة مثله يا آنستي؟".

قالت جين مونكريف بهدوء:

"لقد كنت غاية في القلق؛ فمقدار الزرنيخ في خزانة العقاقير لم يكن دقيقًا ...".

صاح أولدفيلد:

"جين - هل ظننتِ...؟".

"لا، لا، ليس أنت. ما فكرت فيه بالفعل هو أن السيدة أولدفيلد قد تمكنت بطريقة أو بأخرى من الحصول عليه - وأنها كانت تتناوله حتى تصاب بالمرض وتحصل على التعاطف، وأنها أخذت جرعة زائدة عن طريق الخطأ. ولكني خشيت من أنه إذا تم إجراء التشريح وعثروا على مادة الزرنيخ، فلن يلتفتوا لهذا التخمين، وسوف ينتهون إلى اتهامك بأنك أنت من فعلتها. لذلك لم آتِ على ذكر كمية الزرنيخ المفقودة".

قال أولدفيلد:

"أنا أيضًا لم أشك فيها. لقد كانت امرأة غاية في اللطف".

قال بوارو بحزن:

"نعم، ربما كانت ستصبح زوجة وأمًا طيبة ... المشكلة هي أن عواطفها كانت أقوى من اللازم". ثم تنهّد وتمتم مرة أخرى هامسًا:

"إنه أمر مؤسف".

ثم ابتسم إلى الرجل السعيد البالغ من العمر أوسطه وإلى الفتاة ذات الوجه المتحمس، الجالسين أمامه، وقال لنفسه:

"هذان الاثنان قد خرجا من هذا الأمر كما لو كانا قد خرجا من الظلام إلى نور الشمس ... وأنا ... لقد أنجزت المهمة الثانية من أعمال هرقل".

الفصل الثالث

الغزال الأركادي

1

ضرب هيركيول بوارو الأرض بقدميه، ملتمساً الدفء، ونفخ في أصابعه، بينما كانت رقائق الثلج تسيل وتسقط على جانبي شاربه.

كانت هناك طرقات على الباب وظهرت خادمة الغرف. وكانت فتاة قروية قوية البنية تتنفس ببطء، حدقت بكثير من الفضول إلى هيركيول بوارو. ومن الجائز أنها لم تر في حياتها من هو في مثل هدوئه.

سألته: "هل قرعت الجرس؟".

"نعم، فعلت. هل تفضلت وأشعلت المدفأة؟".

ذهبت وعادت مرة أخرى في الحال بحزمة من أعواد الخشب، ثم جثت على ركبتيها أمام المدفأة الضخمة ذات الطراز الفيكتوري وبدأت في إشعال النار.

واصل هيركيول ضرب الأرض بقدميه، وهو يحرك ذراعيه وينفخ في أصابعه.

كان منزعجاً جداً؛ فسيارته الغالية ميسارو جراتز لم تعد تعمل بالكفاءة الميكانيكية التي يتوقعها. ولم يفلح سائقه الخاص، ذلك الشاب الذي يتقاضى راتباً سخياً، في ضبط المحرك بشكل صحيح. وتعطلت السيارة في طريق جانبي على بعد كيلو مترين ونصف من أي مكان، مع بدء تساقط الجليد، واضطر هيركيول بوارو، في حذائه الجلدي المعتاد المتميز، أن يمشي هذه المسافة الطويلة حتى يصل إلى قرية هارتلي دين الموجودة على ضفة النهر، والتي بالرغم من أنها تنطق بكل مشاهد الحركة في وقت الصيف، كانت غارقة في سبات عميق وقت الشتاء. إن البجع الأسود صاح بشيء من الفزع عند وصول الضيف. وكان مالك الأرض بليغاً وهو يوضح أن المرآب المحلي يمكن أن يعير الشابين سيارة يكملان بها رحلتهما.

ولكن هيركيول رفض هذا الاقتراح. فقد شعر بأن كرامته الأوروبية قد أهينت. يستأجر سيارة؟ إنه يملك سيارة بالفعل - سيارة كبيرة - وغالية. وقرر وحده أن يكمل رحلته في تلك السيارة عائداً إلى المدينة. وعلى أية حال، حتى لو تم تصليح سيارته واستطاعت السير بسرعة، لن يستأنف رحلته وسط تساقط الجليد إلا في صباح اليوم التالي. فطلب حجرة ومدفأة ووجبة، وتنفس الصعداء بعد أن عرض المالك عليه الحجرة، وأرسل الخادمة لكي تشعل له المدفأة، ثم ذهب لكي يناقش مع زوجته مشكلة الوجبة.

بعد ساعة، مد بوارو قدميه تجاه النيران الدافئة، وتفكر بتأمل في العشاء الذي تناوله للتو. حقًا، كان اللحم البقري عسير المضغ ومليئًا بالغضاريف، وكان كرنب بروكسل كبير الحجم وغير طازج وسيئ المذاق، وكانت البطاطس متحجرة. لم يكن هناك الكثير مما يمكن قوله بخصوص التفاح المطهو والكاسترد المقدم معه. كما أن الجبن كان صلبًا، والبسكويت طريًا. ومع ذلك، فكر هيركيول بوارو، وهو ينظر باسترخاء إلى النيران المتقاذفة، ويحتسي بأدب من الفنجان الخزفي سائلًا يسمى خطأ قهوة، فإن امتلاء معدته في هذا الجو البارد أفضل من بقائها خاوية، وأنه بعد السير لساعات في الممرات الممتلئة بالثلوج بحذاء جلدي فاخر، يصبح الجلوس أمام مدفأة بمثابة نعيم لا يوصف!

كانت هناك طرقات بالباب وبعدها ظهرت الخادمة.

"عذرًا يا سيدي، أتى رجل من المرآب ويريد مقابلتك".

رد هيركيول بوارو بلطف:

"دعيه يدخل".

ضحكت الفتاة وانسحبت، ففكر بوارو متلطفًا في أن روايتها عنه لأصدقائها ربما تهيئ جوًا من الترفيه لأيام شتاء عديدة قادمة.

لقد سمع طرقات أخرى على الباب - طرقات مختلفة - فصاح بوارو:

"ادخل".

رفع ناظريه باستحسان إلى الشاب الذي دخل ووقف هناك ويبدو غير مرتاح، ويطوي قبعته بين يديه.

فكر في نفسه أنه أمام أحد أوسم النماذج البشرية التي رآها في حياته، شاب بسيط له مظهر خارجي يشبه أبطال الإغريق.

قال الشاب بصوت أجش منخفض:

"بالنسبة للسيارة يا سيدي، لقد أحضرناها هنا. وأصلحنا المشكلة؛ حيث استغرقت

عملية الإصلاح ساعة عمل أو ما يقرب من ذلك".

قال بوارو:

"ماذا كانت المشكلة؟".

اندفع الشاب بحماس في تفاصيل فنية، وأومأ بوارو برأسه برفق، ولكنه لم يكن ينصت؛ فالبنيان الجسدي المثالي هو الشيء الذي أعجب به كثيراً. ومظهر الشاب جعل بوارو يفكر في شباب هذا الجيل؛ الذين يشبهون فئراناً تلبس نظارات، ثم قال في نفسه مستحسناً: "نعم، بطل إغريقي... راعٍ شاب في أركاديا".

توقف الشاب فجأة. وكان ذلك حينما كان حاجبا هيركيول بوارو منعقدين لثانية. وعلى الفور، تغيرت أفكار بوارو من الناحية الجمالية إلى العقلية، فضاقت عيناه بفضول، وهو يرفع نظره لأعلى.

وقال:

"فهمت. أجل، فهمت". وتوقف ثم أضاف: "لقد أخبرني سائقي الخاص مسبقاً بما أخبرتني به للتو".

وهنا رأى حمرة الخجل تعتلي وجه الشاب، ورأى أصابعه تقبض على القبعة بتوتر.

تلعثم الشاب وقال:

"نعم... نعم، يا سيدي. إنني أعرف ذلك".

استرسل هيركيول بوارو في كلامه متلطفاً:

"لكنك فكرت في أن تأتي وتخبرني بنفسك؟".

"نعم يا سيدي، فكرت في أن هذا أفضل".

قال هيركيول بوارو: "كان هذا من يقظة ضميرك. شكراً لك".

كانت هناك نبرة طرد خافتة في كلماته الأخيرة، ولكنها لم تكن صادقة؛ فهو لم يتوقع من الشاب أن يغادر وقد صدق ظنه، فهو لم يتحرك فعلاً.

ولكن تحركت أصابعه بعصبية، وهو يسحق القبعة الصوفية بين يديه، وقال بصوت خفيض مرتبك:

"أستميحك عذراً يا سيدي، ألست المحقق الشهير، المسيو هيركيول بوارو؟".

نطق الاسم بحرص شديد.

فقال بوارو: "هذا صحيح".

زحف اللون الأحمر ليغطي وجه الشاب، وقال:

"قرأت عنك في الصحف".

"نعم؟".

تحول لون الشاب إلى القرمزي. وكان هناك حزن في عينيه... حزن وتوسل، فقرر هيركيول بوارو مساعدته، وقال له برفق:

"نعم؟ فيم تريد أن تسألني؟".

وتدافعت الكلمات في تلك اللحظة.

"أخشى أن تعتقد أن الأمر وقاحة سافرة مني يا سيدي. ولكنك أتيت إلى هنا بمحض المصادفة؛ لذا ينبغي ألا أفوت هذه الفرصة. لقد قرأت عنك وعن الأعمال الباهرة التي أديتها. على أية حال، أود أن أطلب منك شيئًا. هل هناك ما يمنع؟".

هز هيركيول بوارو رأسه، وقال:

"تحتاج إلى مساعدتي بشكل ما؟".

هز الآخر رأسه. قال بصوت مبحوح ومرتبك:

"إن الأمر يخص امرأة شابة. لو أمكنك أن تجدها من أجلي".

"أجدها؟ هل اختفت؟".

"نعم، يا سيدي".

اعتدل هيركيول بوارو في جلسته وقال بحدة:

"ربما أمكنني مساعدتك، ولكن الأجدر على مساعدتك هم رجال الشرطة. إنها وظيفتهم ولديهم مصادر للبحث أكثر مما لديّ".

جر الولد قدميه، وقال باضطراب:

"لا يمكنني عمل ذلك يا سيدي؛ فالأمر مختلف تمامًا. إن له طبيعة خاصة، إن جاز التعبير".

حدق إليه هيركيول بوارو، ثم أشار إلى أحد المقاعد.

"حسنًا إذن، اجلس. ما اسمك؟".

"ويليامسون يا سيدي. تيد ويليامسون".

"اجلس يا تيد، وأخبرني بالأمر كله".

قال الفتى: "شكرًا يا سيدي، ثم قرب المقعد وجلس بتأن على حافته، وما زالت عيناه

بها نظرة التوسل ذاتها.

قال هيركيول بوارو برفق:

"أخبرني".

أخذ تيد ويليامسون نفساً عميقاً وقال:

"حسناً، يا سيدي، الأمر وما فيه هو أنني لم أرها سوى مرة واحدة، ولا أعرف اسمها الحقيقي ولا أحد غيري يعرفه، ولكن في الأمر شيئاً غريباً... إن الأمر برمته غريب، وكذلك عودة خطابي الذى أرسلته إليها وكل شيء".

قال هيركيول بوارو: "احكِ من البداية ولا تتعجل؛ فقط أخبرني بكل ما حدث".

"أجل يا سيدي. حسناً، ربما تعرف جراسلاون يا سيدي، هذا المنزل الكبير على ضفاف النهر وراء الجسر؟".

"لا أعرف عنه شيئاً على الإطلاق".

"هذا البيت ملك للسير جورج ساندرفيلد؛ فهو يذهب إليه خلال فترة الصيف في عطلات نهاية الأسبوع وفي الحفلات - وعادة ما يحضر حفلاته جمع بهيج من الناس، كالممثلات وسيدات المجتمع. حسناً، كان هذا في يونيو الماضي وكان هناك عطل في الراديو وأرسلوا في طلبي لكي أصلحه".

أومأ بوارو برأسه.

أكمل الفتى: "لذلك ذهبت، وكان السيد جورج بالخارج يجلس مع ضيوفه على النهر وكذلك كان الطبخ بالخارج، وأما خادمه فقد ذهب لكي يقدم الشراب والمقبلات. ولم يكن بالمنزل سوى هذه الفتاة التي كانت وصيفة إحدى الضيفات، فأدخلتني وقادتني إلى مكان الجهاز المراد تصليحه، وجلست على مسافة بينما كنت أعمل. وبدأنا نتكلم ... كان اسمها نيتا، هكذا أخبرتني، وكانت وصيفة لفنانة استعراضية روسية كانت تمكث هناك".

"وماذا كانت جنسيتها، إنجليزية؟".

"كلا يا سيدي، كانت فرنسية على ما أعتقد. لقد كانت لها لكنة مضحكة. ولكنها كانت تتحدث الإنجليزية بشكل جيد. وكانت فتاة ودودة، وبعد قليل سألتها إن كان بإمكانها أن تخرج في الليل وتذهب معي إلى السينما، ولكنها قالت إن سيدتها سوف تحتاج إليها. ولكنها بعدئذ أخبرتني بأنها تستطيع الخروج في وقت مبكر من فترة ما بعد الظهيرة بحيث لا تعود في وقت متأخر. والخلاصة أنني تغيبت عن عملي فترة بعد الظهر من أجل ذلك بدون استئذان (وتقريباً طردت من عملي بسبب ذلك) وذهبنا نتنزه على ضفاف النهر".

عند ذلك توقف عن الكلام، وارتسمت ابتسامة على شفتيه. وكانت عيناه حالمتين، فقال بوارو برفق:

"كانت فتاة جميلة، أليس كذلك؟".

"كانت أجمل ما رأته عيناي. لقد كان شعرها كخيوط الذهب يطير هنا وهناك مثل الأجنحة وكانت لها مشية مرحة. حسنًا، لقد وقعت في حبها منذ تلك اللحظة يا سيدي. ولا أدعي غير ذلك".

أومأ بوارو، واسترسل الشاب في كلامه:

"ذكرت لي أن سيدتها سوف تعود مرة أخرى في خلال أسبوعين واتفقنا على أن نتقابل مرة أخرى". ثم توقف لحظة، بعدها أكمل: "ولكنها لم تعد. وانتظرتها في المكان الذي حددته، ولكنها لم تظهر، وفي النهاية قررت أن أذهب إلى المنزل لكي أسأل عنها، فأخبروني بأن الفنانة الاستعراضية الروسية موجودة ومعها وصيفتها. وأرسلوا في طلبها، ولكنها عندما جاءت، لم تكن نيتا على الإطلاق! كانت مجرد فتاة سمراء قاسية الملامح سيئة الطباع. وكانوا يدعونها ماري، وقد قالت لي وهي تبتسم بتكلف: "هل أردت مقابلتي؟"، لا بد أنها لاحظت أنني كنت متفاجئًا؛ فقلت لها إن من أريدها كانت وصيفة السيدة الروسية وإنها ليست التي قابلتها من قبل، فضحكت وقالت إن الوصيفة التي كانت قبلها رحلت فجأة، فقلت لها: "رحلت؟ لماذا؟"، فهزت كتفيها ومدت يدها وقالت: "كيف لي أن أعرف؟ لم أكن موجودة حينها".

"حسنًا يا سيدي، أدهشني ذلك. وفي تلك اللحظة لم أستطع التفكير فيما أقوله، لكن بعد ذلك استجمعت شجاعتي وذهبت لمقابلة من تدعى ماري مرة أخرى وطلبت منها أن تعطيني عنوان نيتا. وعدتها بهدية لو نفذت ما طلبته منها، فقد كانت من النوع الذي لا يفعل شيئًا دون مقابل. حسنًا، لقد نفذت ما طلبته كان العنوان في جنوب لندن، وأرسلت خطابًا إلى نيتا على هذا العنوان ولكن الخطاب عاد بعد فترة قليلة إلى مكتب البريد مطبوعًا عليه عبارة "المستلم لم يعد يقيم في هذا العنوان".

توقف تيد ويليامسون. نظرت عيناه، تلك العينان الثابتتان شديدتا الزرقة، إلى هيركيول بوارو، وقال:

"هل وضح الأمر الآن يا سيدي؟ إنها ليست قضية يمكن للشرطة أن تحقق بها. ولكني أرغب في العثور عليها. ولا أعلم من أين أبدأ. آه.. لو استطعت العثور عليها من أجلي". فازداد وجهه حمرة، وأردف: "لديّ القليل لكي أدفعه لك. ويمكنني دفع خمسة جنيهات أو حتى عشرة".

قال بوارو بلطف:

"لا داعي لمناقشة الأمور المالية في الوقت الحالي. أولًا أود منك أن تركز في هذه النقطة: هذه الفتاة المدعوة نيتا، هل تعرف اسمك ومكان عملك؟".

"أوه، أجل يا سيدي".

"هل كان بإمكانها الاتصال لو أرادت ذلك؟".

قال تيد ببطء شديد:

"أجل يا سيدي".

"إذن ألا تفكر في أنها ربما...".

قاطعه تيد ويليامسون قائلًا:

"ماذا تعني يا سيدي... أنها لم تحبني مثلما أحببتها؟ ربما هذا صحيح بشكل ما ... لكنها أعجبت بي - لقد أعجبت بي بالفعل - لم يكن الأمر مجرد تسلية بالنسبة لها ... وكنت أفكر يا سيدي في أنه ربما يكون هناك سبب وراء ما حدث. هل تفهم يا سيدي، كان هناك جمع من الناس للتسلية وقد انخرطت بينهم. ربما تعرضت لمشكلة ما، هل تفهم ما أعنيه".

"هل تقصد أنها على وشك أن تضع طفلًا؟ هل هو طفلك؟".

رد تيد بسرعة: "ليس طفلي يا سيدي؛ فلم يحدث بيننا شيء آثم".

نظر بوارو إليه متدبراً، وتمتم:

"وإن صدق تخمينك، هل ستظل راغبًا فيها؟".

تدفق الدم في وجه تيد ويليامسون، وقال:

"نعم، سأفعل، ولن أعدل عن رأيي! إنني أرغب في الزواج بها إن أرادت. ولا يهمني نوع المشكلة التي وقعت فيها! هل ستحاول العثور عليها من أجلي يا سيدي؟".

ابتسم هيركيول بوارو، وقال في نفسه:

"شعرها مثل أجنحة من ذهب. نعم، أظن أن هذه المهمة الثالثة من أعمال هرقل ... لو كانت ذاكرتي سليمة، حدث ذلك في أركادي ...".

2

نظر هيركيول بوارو متأملًا إلى الورقة التي سجل فيها تيد ويليامسون بشق الأنفس الاسم والعنوان.

الآنسة فاليتا، 17 آبر رينفريو لاين، شقة رقم 15(منطقة جنوب توتنهام).

ثم تساءل إن كان من الممكن أن يصل إلى شيء في هذا العنوان. وتخيل بطريقة ما أنه لن يصل إلى معلومة. ولكن كانت هذه هي المساعدة الوحيدة التي استطاع تيد أن يقدمها له.

كان رقم 17 آبر رينفريو لاين شارعًا قذرًا، ولكنه يتمتع بالاحترام. وهناك فتحت باب المنزل امرأة بدينة ذات عينين غائمتين.

قال بوارو: "الآنسة فاليتا؟".

"رحلت منذ فترة طويلة".

تقدم بوارو خطوة نحو المدخل بينما كان الباب على وشك أن يغلق.

وقال: "هل يمكنك إعطائي عنوانها؟".

"لا يمكنني؛ فهي لم تترك عنوانًا".

"متى رحلت؟".

"الصيف الماضي".

"هل يمكنك إخباري متى رحلت تحديدًا؟".

وهنا سمعت المرأة صوت رنين صادرًا من يد بوارو اليمنى، حيث كان يمسك بعملتين قيمة كلٍّ منهما نصف كورونا ويقلبهما معًا برفق.

وما إن حدث ذلك، رقت المرأة ذات العينين الغائمتين بطريقة سحرية، وأصبحت أكثر سماحة.

وقالت: "حسنًا، أؤكد لك يا سيدي أنني أريد مساعدتك. دعني أحاول التذكر؛ كان ذلك في شهر أغسطس، كلا، قبل ذلك... في يوليو. نعم، لا بد أنه شهر يوليو. وتقريبًا أول أسبوع من يوليو. لقد ذهبت بسرعة. إنها عادت إلى إيطاليا على ما أعتقد".

"هل كانت إيطالية؟".

"هذا صحيح يا سيدي".

"وكانت في الوقت ذاته وصيفة لفنانة استعراضية روسية، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح. وكان اسمها السيدة سيمولينا أو شيئًا من هذا القبيل. وكانت تؤدي عروضًا في مسرح تيسبيان، حيث فتن الجميع بها، فهي تعد من بين النجمات".

قال بوارو:

"هل تعلمين لماذا تركت الآنسة فاليتا وظيفتها؟".

ترددت المرأة قليلًا قبل أن تقول:

"لا يمكنني الجزم بالأمر".

"أعتقد أنها طردت، أليس كذلك؟".

"حسنًا، أعتقد أنه كان هناك بعض المشكلات! وأعلم أن الآنسة فاليتا لم تفصح بالكثير حول هذا الأمر؛ فهي لم تكن بالشخص الذي يكشف عن أسراره، ولكنها بدت مضطربة من هذا الأمر. كانت فتاة إيطالية شديدة الغضب، حادة الطباع، عيناها السوداوان تقدحان شررًا، وتبدو كما لو أنها تود غرس سكين في قلبك. ولم أكن لأعارضها عندما تكون في نوبة غضبها!".

"وهل أنت واثقة تمامًا بأنك لا تعرفين عنوان الآنسة فاليتا الحالي؟".

ومرة أخرى يأتي رنين النقود مشجعًا إياها.

وقد كان لذلك الرنين مردوده الصادق من قبلها.

فقالت: "أتمنى لو كنت أعرف يا سيدي. وكان سيسعدني كثيرًا أن أخبرك، لكنها رحلت في عجالة وهذا ما كان!".

قال بوارو في نفسه:

"أجل، هذا ما كان ...".

3

خرج أمبروز فاندل من انهماكه في تصميم ديكور الحفلة الاستعراضية المقبلة، وقدم معلومات لا بأس بها:

"ساندرفيلد؟ جورج ساندرفيلد؟ إنه رجل بذيء، فاحش الثراء، ولكنهم يقولون إنه محتال. إنه رجل مجهول التاريخ؛ ولذلك أطلق عليه "الحصان الأسود"! وكانت له علاقة بفنانة استعراضية؟ مؤكد أن له علاقة بـ كاترينا. كاترينا ساموشينكا. لا بد أنك رأيتها؟ أوه يا عزيزي إنها فاتنة، ولها أسلوب رائع في الاستعراض. لا بد أنك شاهدتها في استعراض ذا سوان أوف توليلا؟ إنه من تصميمي! وكذلك صممت عملًا آخر من أعمال ديبوسي وهو مانين لا بيش أو بوا ... لقد تشاركت فيه مع مايكل نوفجين. إنه شديد البراعة، أليس كذلك؟".

"وكانت صديقة للسير جورج ساندرفيلد؟".

"نعم، لقد اعتادت أن تقضي معه عطلة نهاية الأسبوع بمنزله على ضفاف النهر. وأعتقد أنه يقيم حفلات رائعة".

"هل من الممكن يا عزيزي، أن تقدمني إلى الآنسة ساموشينكا؟".

"لكن يا عزيزي، إنها لم تعد هنا. لقد ذهبت إلى باريس بسرعة مفاجئة. إن الناس يقولون إنها جاسوسة روسية ولكن عن نفسي لم أصدق هذا. تعرف أن الناس يحبون إطلاق شائعات مثل هذه. وكانت كاترينا دائمًا تتظاهر بأنها من الروس البيض وأن والدها كان أميرًا أو دوقًا كبيرًا! عادة ما تقول الفنانات الاستعراضيات أشياء كهذه - فهى أمور تلقى قبولًا كبيرًا لدى الناس، ثم توقف فاندل وعاد إلى الموضوع الذي استحوذ عليه قائلًا: "الآن كما قلت لك من قبل، إن أردت أن تصل لحالة الصفاء الذهني. أعبر عن ذلك بـ ...".

وأخذ يكمل بسعادة.

4

لم تكن بداية المقابلة التي رتبها هيركيول بوارو مع السير جورج ساندرفيلد مبشرة بالخير.

كان "الحصان الأسود"، كما سماه فاندل، منزعجًا بعض الشيء. وكان السير جورج رجلًا قصيرًا وبدينًا، وله شعر أسود خشن ورقبة مكتنزة بالدهون.

قال:

"حسنًا يا مسيو بوارو، ماذا يمكنني فعله من أجلك؟ أعتقد أننا لم نتقابل من قبل؟".

"كلا، لم نتقابل".

"حسنًا، ماذا في الأمر؟ أعترف بأن لديّ فضولًا كبيرًا".

"أوه، الموضوع بسيط جدًا، مجرد معلومات".

ضحك الآخر ضحكة ضجرة.

وقال: "هل تريد مني أن أعطيك بعض المعلومات السرية؟ لم أعرف أنك مهتم بالشئون المالية".

"إنها ليست مسألة أعمال تجارية. إن الموضوع يخص امرأة معينة".

قال السيد جورج: "أوه، امرأة"، ثم اتكأ للخلف في كرسيه، وبدا الاسترخاء واضحًا في نبرة صوته التي تحررت من القلق.

قال بوارو:

"أظن أنك كنت تعرف الآنسة كاترينا ساموشينكا؟".

ضحك ساندرفيلد.

وقال: "نعم، إنها مخلوقة ساحرة، وللأسف غادرت لندن".

"لماذا غادرت لندن؟".

"لا أعرف يا رفيقي العزيز. إنني أعتقد أنها تشاجرت مع إدارة المسرح؛ فقد كانت عصبية المزاج، وتتميز بالطباع الروسية الحادة. ويؤسفني أنني لا أستطيع مساعدتك لكن ليست لديّ أدنى فكرة عن مكانها الآن. فلم تعد هناك صلة بيني وبينها على الإطلاق".

لقد كانت في كلامه، الذي نطق به وهو يقف على قدميه، صيغة طرد.

قال بوارو:

"لكنها ليست الآنسة ساموشينكا التي أقتفي أثرها".

"ليست هي؟".

"نعم، إن المسألة تخص وصيفتها".

حدق ساندرفيلد إليه وهو يقول: "وصيفتها؟".

قال بوارو:

"هل تتذكر وصيفتها؟".

عاد إلى ساندرفيلد كل قلقه، وقال بارتباك:

"يا إلهي، كلا، كيف لي أن أعرفها؟ أتذكر أنه كانت لديها وصيفة، بالطبع ... يجدر بي القول إنها فتاة سيئة؛ فهي من نوع الفتيات اللاتي يتجسسن ويتطفلن. لو كنت مكانك، لما وثقت بأية كلمة تقولها هذه الفتاة. إنها من النوع الذي وُلد كذوبًا".

تمتم بوارو:

"إذن فأنت تتذكر الكثير عنها؟".

قال ساندرفيلد بسرعة:

"إنه مجرد انطباع، هذا كل ما في الأمر ... فلا أتذكر حتى اسمها. إذن دعني أحاول، ربما كان اسمها ماري أو اسمًا آخر، أخشى ألا أستطيع مساعدتك على الوصول إليها. آسف".

قال بوارو برفق:

"لقد عرفت بالفعل أن اسمها ماري هيلين من مسرح تسيبان، وكذلك حصلت على عنوانها، لكنني أتحدث يا سير جورج عن الوصيفة التي كانت مع الآنسة ساموشينكا قبل ماري هيلين. أتحدث عن نيتا فاليتا".

حدق إليه ساندرفيلد وقال:

"لا أتذكرها على الإطلاق. إن ماري هي الوصيفة التي أتذكرها؛ فهي فتاة سمراء ضئيلة الجسم، لها نظرة شريرة".

قال بوارو:

الفتاة التي أقصدها كانت في منزل جراسلاون في يونيو الماضي".

قال ساندرفيلد بعبوس:

"حسنًا، كل ما يمكنني قوله هو أنني لا أتذكرها، ولا أعتقد أنها قد أحضرت معها وصيفة في هذا اليوم... لا بد أنك مخطئ".

هز هيركيول بوارو رأسه؛ فهو لم يكن يظن أنه مخطئ.

5

نظرت ماري هيلين إلى بوارو نظرة خاطفة بعينين صغيرتين تنمان عن ذكاء، وقالت بنبرات ناعمة:

"لكنني أتذكر تمامًا يا سيدي. لقد التحقت بالعمل مع السيدة ساموشينكا في الأسبوع الأخير من شهر يونيو، حين غادرت وصيفتها السابقة في عجالة".

"هل سمعت شيئًا عن سبب رحيل هذه الوصيفة؟".

"كل ما أعرفه هو أنها قد رحلت فجأة! ربما كان بسبب مرض أو شيء من هذا القبيل. إن السيدة ساموشينكا لم تتحدث في هذا الشأن".

قال بوارو:

"هل تستريحين لخدمة سيدتك؟".

هزت الفتاة كتفيها.

وقالت: "إن مزاجها متقلب؛ فهي تبكي وتضحك بشكل متوال. أحيانًا تكون يائسة لا ترغب في الكلام أو الطعام. وأحيانًا تكون مبتهجة جدًا. حالها كحال كل الفنانات الاستعراضيات. هذا هو طبعهن".

"وماذا عن السير جورج؟".

نظرت الفتاة بحذر، وزحفت سحابة حزن على عينيها.

"آه السير جورج ساندرفيلد؟ هل ترغب في معرفة معلومات عنه؟ ربما يكون هذا الذي تريد معرفته بالفعل؟ فما كنت تسأل عنه من قبل مجرد عذر واه، أليس كذلك؟ يمكنني إخبارك ببعض الأمور الغريبة عن السير جورج، سأقول لك...ـ".

قاطعها بوارو:

"ليس هذا ضروريًا".

حدقت إليه الفتاة ، فاغرة الفم، وظهر بعينيها الغضب النابع من الإحباط.

6

"دائمًا أقول إنك تعرف كل شيء يا أليكس بافلوفيتش".

همس هيركيول بوارو بهذه الكلمات مجاملًا.

كان يمعن التفكير في أن مهمته الثالثة من أعمال هرقل احتاجت إلى أسفار واستجوابات أكثر مما تخيله، وقد أثبتت هذه القضية البسيطة لاختفاء وصيفة أنها واحدة من أطول وأصعب القضايا التي تناولها؛ فكل دليل فحصه، لم يؤد إلى شيء.

وقد اضطره ذلك إلى الذهاب في ذلك المساء إلى مطعم ساموفار في باريس، الذي يمتلكه الكونت أليكس بافلوفيتش، الذي تباهى بأنه يعرف كل شيء حدث في عالم الفن.

أومأ الكونت مستحسنًا الإطراء:

"نعم، نعم، يا صديقي، إنني أعرف ... أنا دائمًا أعرف. تسألني أين ذهبت ساموشينكا

الصغيرة، تلك الفنانة الاستعراضية الجذابة؟ آه! كانت نموذجية في كل شيء، تلك الفتاة الصغيرة". ثم قبل أطراف أصابعه وأردف: "يا له من اختفاء! يا له من رحيل! كان من المفترض أن تنجح نجاحًا عظيمًا، وأن تكون الفنانة الاستعراضية الأولى في عصرها وفجأة انتهى كل شيء... فقد توارت عن الأنظار... ذهبت إلى نهاية العالم وبسرعة... بسرعة كبيرة، نسيها الناس".

سأل بوارو: "أين تكون إذن؟".

"في سويسرا... في فاجراي بجبال الألب، فهناك يذهب مَن يعاني السعال الجاف الذي يضعف الجسم يومًا بعد يوم. فهي سوف تموت، حتمًا سوف تموت! فلديها مرض فتاك. مؤكد أنها ستموت".

تنحنح بوارو لكي يقاطع هذا المشهد الدرامي؛ فهو يريد معلومات.

وقال: "بالمناسبة، ألا تتذكر وصيفتها؟ الوصيفة التي تدعى نيتا فاليتا؟".

"فاليتا؟ فاليتا؟ أتذكر أنني رأيتها مرة في المحطة عندما كانت كاترينا مغادرة إلى لندن. وكانت إيطالية من مدينة بيزا، أليس كذلك؟ نعم، أنا متأكد أنها إيطالية جاءت من بيزا".

تأوه هيركيول بوارو.

وقال: "في هذه الحالة، يجب أن أرحل إلى بيزا".

7

وقف هيركيول بوارو في كامبو سانتو بمدينة بيزا ينظر إلى إحدى المقابر.

إذن فقد أغلق التحقيق هنا عند هذا التل الصغير. فهنا ترقد بالأسفل المخلوقة المرحة التي سلبت قلب وعقل هذا العامل الإنجليزي البسيط.

هل تكون هذه هي النهاية الملائمة لقصة الحب الخاطفة؟ فالآن ستبقى الفتاة خالدة في ذكريات ذلك الشاب الذي لم ينعم برؤياها سوى ساعات قليلة ساحرة، قضاها معها في إحدى ليالي شهر يونيو؛ تصادم الجنسيات المتعارضة والمعايير المختلفة وألم خيبة الأمل، ذهب كل ذلك إلى الأبد.

هز هيركيول بوارو رأسه بحزن، وعاد بخياله إلى المحادثة التي أجراها مع عائلة فاليتا. وكانت هناك الأم بوجهها ذي الملامح الريفية الواضحة، والأب المستقيم الظهر،

والأخت العابسة المتصلبة الشفتين، المعرضة عن الكلام.

قال الأب: "كانت صدمة يا سيدي، كانت صدمة كبيرة. بالرغم من أنها ظلت لسنوات تصارع الألم ... فالطبيب لم يمنحنا فرصة.. قال إنه يجب أن تجري لها عملية عاجلة لاستئصال الزائدة الدودية، وأخذها إلى المستشفى؛ وهناك ... ماتت وهي تحت تأثير المخدر. ولم تستعد وعيها قط".

تجهمت الأم وهمست:

"كانت بيانكا دائماً فتاة ماهرة. ومن المحزن أن تموت في سن صغيرة جداً ...".

كرر هيركيول بوارو الكلام في نفسه:

"ماتت في سن صغيرة ...".

كانت هذه هي الرسالة التي يجب أن يوصلها إلى حبيبها الذي طلب مساعدته بكل ثقة:

"إنها ليست من نصيبك يا صديقي... لقد ماتت".

انتهى تحقيقه هنا؛ حيث يظلل برج بيزا المائل الفضاء وبدت أزهار الربيع ذابلة وواهنة عن أن تجلب الحياة والبهجة.

فهل حماس فصل الربيع هو ما جعله يشعر بالتمرد على قبول هذا الحكم النهائي؟ أم هو شيء آخر؟ شيء في مؤخرة رأسه يثير شكوكه، أم هي كلمة، أو عبارة، أو اسم؟ ألم ينته الأمر بشكل مرتب جداً... مرتب بطريقة تثير الشكوك؟

تنهد هيركيول بوارو. إنه يجب أن يقوم برحلة إضافية لكي يبعد الأمور عن أي شك يجول برأسه؛ لذا يجب أن يذهب إلى فاجراي بجبال الألب.

8

فكر بوارو في نفسه: هنا كانت نهاية العالم بالتأكيد. هذا الرف الثلجي - هذه الأكواخ والملاجئ المتناثرة، بداخل كل منها يرقد إنسان بلا حراك، يصارع موتاً غادراً.

وها قد وصل في النهاية إلى كاترينا ساموشينكا. وعندما رآها، ترقد بصدغين غائرين على كلٍّ منهما بقعة حمراء، وتخرج من تحت الغطاء ذراعان هزيلتان، ما أثار شجونه. ولم يعدّ يذكر اسمها، لكنه قد شاهد استعراضاتها وكان متحمساً ومفتوناً بذلك الفن الراقي الذي يجعلك تنسى بقية الفنون.

تذكر ميشيل نوفجين، في استعراض الصياد، وهو يقفز ويدور في تلك الغابة الخيالية والسحرية التي تصورها أمبروز فاندل. وتذكر الغزالة الجميلة الرشيقة، المطاردة إلى الأبد، المحبوبة إلى الأبد... مخلوقة جميلة بقرنين ذهبيين وقدمين برونزيتين متلألئتين. تذكر انهيارها النهائي، حين أصيبت وجرحت، وجلوس ميشيل نوفجين مذهولًا، وهو يحتضن الغزالة القتيلة بين ذراعيه.

إن كاترينا ساموشينكا كانت تنظر إليه بفضول خافت، وقالت:

"لم أقابلك من قبل، أليس كذلك؟ ماذا تريد مني؟".

انحنى هيركيول بوارو لها قليلًا.

وقال: "في البداية، يا سيدتي، أود أن أشكرك على فنك الذي أتيحت لي فرصة مشاهدته في إحدى الأمسيات الجميلة".

وهنا ابتسمت بضعف.

فقال: "لكنني جئت هنا في مهمة عمل. إنني أبحث يا سيدتي منذ فترة عن وصيفة لكِ اسمها نيتا".

"نيتا؟".

حدقت إليه، واتسعت عيناها، وجفلت ثم قالت:

"ماذا تعرف عن نيتا؟".

"سوف أخبركِ".

ثم حدثها عن الليلة التي تعطلت فيها سيارته وعن تيد ويليامسون الذي كان واقفًا يسحق قبعته بين أصابعه وهو يبوح بحبه وألمه. لقد استمعت إليه باهتمام شديد.

وقالت عندما انتهى من حديثه:

"إنها قصة مؤثرة، نعم، مؤثرة ...".

أومأ هيركيول بوارو.

وقال: "نعم، إنها ملحمة أركاديا، أليس كذلك؟ ما الذي يمكنك أن تخبريني به عن هذه الفتاة يا سيدتي؟".

تنهدت كاترينا ساموشينكا.

وقالت: "كانت عندي وصيفة اسمها جوانيتا. وكانت رائعة، ومرحة، وطيبة القلب، وحدث لها ما يحدث لمن يحبهم الله... ماتت في سن صغيرة".

كانت هذه الكلمات التي سمعها بوارو من قبل... الكلمات الأخيرة والنهائية... الآن

سمعها مرة أخرى، ومع ذلك فقط واصل، وسأل:

"هل ماتت؟".

"نعم، لقد ماتت".

صمت هيركيول بوارو لدقيقة، ثم قال:

"هناك شيء لا أفهمه حقًا. لقد سألت السير جورج ساندرفيلد عن وصيفتك هذه، لكنه بدا خائفًا. لماذا كان هكذا؟".

ظهر تعبير اشمئزاز على وجه المرأة.

وقالت: "لقد قلت لتوك إنها وصيفتي. وهو فكر أنك تقصد ماري الفتاة التي عملت معي بعد مغادرة جوانيتا. لقد حاولت أن تبتزه، على ما أعتقد، بخصوص شيء ما عرفته عنه؛ فقد كانت فتاة بغيضة وفضولية، دائمًا تتطفل على الرسائل وتبحث في الأدراج".

تمتم بوارو قائلًا:

"إذن فهذا يفسر ما حدث".

توقف لدقيقة، ثم أكمل، وهو لا يثابر:

"كان لـ جوانيتا اسم آخر وهو فاليتا، وماتت بعد أن أجريت لها عملية استئصال الزائدة الدودية في بيزا، أليس كذلك؟".

وقد لاحظ عليها التردد... تردد بالكاد يدرك ولكنه موجود، قبل أن تومئ المرأة برأسها.

وتقول: "نعم، هذا صحيح ...".

قال بوارو متأملًا:

"ولكن لا تزال هناك نقطة أخرى؛ لقد حدثني عنها أهلها، ليس باعتبارها جوانيتا ولكن بيانكا".

هزت كاترينا كتفيها الهزيلتين، وقالت: "بيانكا... جوانيتا، هل هذا يهم؟ أظن أن اسمها الحقيقي هو بيانكا، ولكنها رأت اسم جوانيتا أكثر رومانسية واختارته لنفسها".

قال: "آه، هل تعتقدين ذلك؟"، ثم توقف عن الكلام وتغيرت نبرة صوته، وهو يردف: "بالنسبة لي، هناك تفسير آخر".

"ماذا يكون؟".

مال بوارو إلى الأمام، وقال:

"الفتاة التي قابلها تيد ويليامسون لها شعر يشبه أجنحة من ذهب مثلما وصفه".

ثم مال أكثر إلى الأمام ولمست أصابعه خصلتين من شعر كاترينا.

وأردف: "جناحان من ذهب، أم قرنان من ذهب؟ إن المرء يراهما بعينيه اللتين ينظر بهما إليك... كمخلوقة بريئة أو شريرة. أم تراهما القرنين الذهبيين للغزالة المجروحة؟".

تمتمت كاترينا:

"الغزالة المجروحة ..."، وبدا صوتها صوت شخص يائس.

قال بوارو:

"كل ما وصفه تيد ويليامسون أصابنى بالحيرة وجلب صورة إلى مخيلتي - تلك الصورة كانت لك وأنتِ ترقصين بقدمين برونزيتين وسط غابة. هل أخبرك بما أفكر فيه يا آنسة؟ أفكر أنكَ خلال ذلك الأسبوع كنت بلا وصيفة، عندما ذهبت إلى جراسلاون؛ وذلك لأن بيانكا فاليتا قد عادت إلى إيطاليا، ولم تكوني قد أحضرت وصيفة جديدة بعد. وكنتِ بالفعل تشعرين بالمرض الذي هاجمك، وبقيت في المنزل ليوم حينما كان الآخرونَ في نزهة بالنهر. ورن أحدهما جرس الباب وذهبت لتنظري من القادم... هل أخبرك بمن رأيت؟ رأيت شاباً بسيطًا كالطفل ووسيمًا كبطل إغريقي! واخترعت له شخصية فتاة أسطورية لا وجود لها ولبضع ساعات تجولت معه في أركاديا ...".

وكانت هناك فترة صمت طويلة، ثم قالت كاترينا بصوت أجش:

"لقد أخبرتك بحقيقة شيء واحد على الأقل... أعطيتك نهاية القصة. إن نيتا سوف تموت وهي صغيرة".

تبدل هيركيول بوارو، وضرب المنضدة بيده. وأصبح فجأة عاديًا ودنيويًا وعمليًا.

وقال لها:

"كلا، ليس ضروريًا بالمرة! يجب ألا تموتي. ويمكنك أن تحاربي من أجل حياتك، ألا يمكنك أن تكوني مثل الآخرين؟".

هزت رأسها بحزن ويأس وقالت:

"أي حياة تنتظرني؟".

"ليست حياة المسرح، بالطبع! لكن فكري، فهناك حياة أخرى. تعالي معي الآن يا آنسة، وأرجو أن تصدقيني القول: هل كان أبوك أميرًا أو دوقًا كبيرًا، أو حتى جنرالا؟".

ضحكت فجأة، وأجابت:

"بل كان سائق شاحنة في لينينجراد!".

"حسنًا! ولماذا لا تكونين زوجة عامل في قرية، وتنجبين أطفالا في جمال أبطال الإغريق، وربما يكونون فنانين مثلك؟".

التقطت كاترينا أنفاسها.

وقالت "لكن الفكرة كلها خيالية!".

قال هيركيول بوارو بقناعة كبيرة: "ومع ذلك، أؤمن بأنها سوف تتحقق!".

الفصل الرابع

وحش إريمانثوس

1

حيث إن إنجازه المهمة الثالثة من أعمال هرقل قد أتى به إلى سويسرا؛ فقد قرر هيركيول بوارو أن يستغل تواجده بها ويزور بعض الأماكن التي لم يكن يعرفها حتى ذلك الوقت.

لذا قضى يومين طيبين في بلدة شاموني، تبعهما يوم أو اثنان في بلدية مونترو، ثم توجه إلى مدينة أندرمات التي سمع العديد من أصدقائه يمتدحونها بشدة.

إلا أن مدينة أندرمات أصابته ببعض الأذى؛ فقد كانت المدينة تقع في نهاية وادٍ تحيط به جبال ذات قمم مغطاة بالثلوج، فشعر بصعوبة في التنفس بلا سبب منطقي.

قال هيركيول بوارو لنفسه: "من المستحيل أن أبقى هنا"، وفي تلك اللحظة وقع نظره على خط سكة حديدية جبلية فأردف: "لا بد أن أستقله حتمًا".

وقد اتضح له أن القطار الجبلي يصعد أولًا إلى قمة ليس أفينس ثم كوروشيه وينتهي في جبل روشيه ناييه، على ارتفاع ثلاثة آلاف وثمانية وأربعين مترًا فوق سطح البحر.

لم يفكر بوارو في الصعود إلى مثل هذا الارتفاع الشاهق، ولكنه اعتقد بشكل كبير أن ليس أفينس ستكون مهمته.

لكنه لم يضع في اعتباره عامل المصادفة الذي يلعب دورًا كبيرًا في حياته. وكان القطار الجبلي قد انطلق عندما وصل مسئول القطار إلى بوارو وطلب منه تذكرته، وبعد أن فحصها وثقبها بمثقاب حاد أعادها إليه وهو ينحني قليلًا؛ حينها، شعر بوارو بلفافة ورقية تحشد في يده مع التذكرة.

رفع هيركيول بوارو حاجبيه قليلًا في دهشة. وفي الحال، فتح اللفافة الورقية في

هدوء ليتضح أنها رسالة مكتوبةسريعاً بقلم رصاص.

كانت الرسالة تقول:

من المستحيل أن أخطئ في التعرف على هذا الشارب! أحييك يا زميلي العزيز. إن كنت على استعداد، يمكنك أن تقدم لي مساعدة كبيرة. ولا شك أنك قد قرأت عن فضيحة سالي؟ يُعتقد أن القاتل - ماراسكود - التقى ببعض أفراد عصابته في روشيه ناييه - من بين كل الأماكن في العالم! بالطبع قد يكون الأمر برمته مجرد أكذوبة - إلا أن معلوماتنا موثوق بها - دائماً هناك من يسرب المعلومات، أليس كذلك؟ فكن حذراً يا صديقي. وتواصل مع المفتش درويه الموجود في موقع الحدث. إنه رجل قدير ولكن لا يمكنه التظاهر بأنه يتمتع بذكاء يضاهي ذكاء هيركيول بوارو. من المهم، يا صديقي، أن يتم إلقاء القبض على ماراسكود - حياً. إنه ليس مجرد رجل - إنه وحش بشري - أحد أخطر القتلة على الإطلاق. إنني لم أغامر بالحديث إليك في أندرمات حتى لا يلاحظني أحد، وستتمتع أنت بحرية أكبر في الحركة إذا ما ظنوا أنك مجرد سائح. أتمنى لك حظاً موفقاً! صديقك القديم - لمنتويل.

داعب هيركيول بوارو شاربه وهو يفكر بإمعان. نعم، من المستحيل أن يخطئ أحد في التعرف على شارب هيركيول بوارو. إذن ما هذا الخطاب؟ لقد قرأ في الصحف تفاصيل فضيحة سالي - جريمة القتل الوحشية للمؤلف الباريسي الشهير. لقد كانت هوية القاتل معروفة؛ فماراسكود أحد أفراد عصابة شهيرة. وقد كان متهماً بارتكاب العديد من حوادث القتل الأخرى - ولكن هذه المرة تم إثبات تورطه بارتكابها. وقد هرب بعيداً، يقال إنه هرب خارج فرنسا، وشرعت الشرطة في كل الدول الأوروبية في البحث عنه.

ولهذا قيل إن ماراسكود كان في مقابلة في روشيه ناييه ...

هزّ هيركيول بوارو رأسه ببطء، في حيرة واضحة؛ وذلك لأن روشيه ناييه كانت تقع فوق مستوى خط الجليد، وكان بها فندق ولكن كان كل ما يربطها بالعالم هو القطار الجبلي الذي يشق طريقه على الحافة الضيقة التي تنتهي إلى الوادي، وقد تم افتتاح الفندق في شهر يونيو، ولكن نادراً ما كان يقيم فيه أحد حتى شهري يوليو وأغسطس؛ فالمكان كان يفتقر لوجود عدة أبواب تصلح كمداخل ومخارج - فإذا ما تم تعقب رجل هناك، فسيكون قد وقع في الفخ؛ فهو مكان غريب لمقابلة عصابة من المجرمين.

لكن إذا قال لمنتويل إن معلوماته موثوق بها، ففي الغالب أن لمنتويل على حق. لقد كان هيركيول بوارو يحترم قائد الشرطة السويسري، فهو يعرف أنه رجل قدير ويُعتمد عليه.

وكان هناك سبب مجهول وراء مجيء ماراسكود إلى مكان الاجتماع هذا الذي يبعد

كثيراً عن أقرب مكان به أي مظهر من مظاهر الحضارة.

تنهّد هيركيول بوارو، فالإمساك بقاتل وحشي لم يكن فكرة جيدة بالنسبة له لقضاء إجازة ممتعة؛ وتخيّل نفسه جالساً على أريكة يفكر ويشحذ عقله بدلاً من أن يصطاد وحشاً بشرياً بالقرب من سفح جبل.

وحش بشري - تلك هي العبارة التي استخدمها لمنتويل. إنها قطعاً مصادفة غريبة ...

تمتم قائلاً: "العمل الرابع من أعمال هرقل: وحش إريمانثوس؟".

بهدوء، وبلا تباهٍ، تفحّص بوارو الركاب الآخرين في القطار.

وكان يجلس في الكرسي المقابل له سائح أمريكي. إن شكل ملابسه ومعطفه وحقيبة السفر التي كان يحملها، حتى أُلفته المشجّعة وانغماسه البريء في مشاهدة المناظر الطبيعية، بل والكتاب الإرشادي الذي بين يديه، كل ذلك كان يقول إنه شخص من قرية صغيرة بأمريكا أتى ليزور أوروبا لأول مرة. وقد اعتقد بوارو أنه خلال دقيقة أو اثنتين سيبدأ حديثاً؛ حيث كان يبدو على وجهه حنين لايمكن أن يخطئه أحد.

في الجانب الآخر من العربة يجلس رجل طويل يتسم بهيئة مميزة، له شعر رمادي وأنف كبير معقوف، يقرأ كتاباً باللغة الألمانية وكانت يداه تنتهيان بأصابع قوية رشيقة تليق بموسيقار أو جرّاح.

وإلى الوراء قليلاً، كان هناك ثلاثة رجال لهم الهيئة نفسها؛ حيث كانت لهم أرجل مقوّسة وهناك ما يوحي بشكل كبير بأن لهم علاقة بالخيول، وكانوا يلعبون بأوراق اللعب. ومن وقت لآخر يدعون أحد الغرباء لمشاركتهم اللعب، فيفوز هذا الغريب في البداية، ثم ينقلب الحظ لصالحهم بعد ذلك.

لم يكن هناك شيء غريب بهؤلاء الرجال الثلاثة، بل كان الشيء الوحيد الغريب بهم هو المكان الذي كانوا يجلسون فيه.

فمن المحتمل رؤيتهم في قطار يتجه إلى أحد سباقات الخيول - أو إلى أي مكان غير مهم، أما في قطار جبلي خالٍ من البشر تقريباً - فهذا غريب!

وهناك شخص آخر يستقل القطار - امرأة. لقد كانت طويلة وسمراء، وكان لديها وجه جميل؛ وجه يمكنه أن يكون مفعماً بالمشاعر، ولكنه كان متجمداً لا يحمل أي تعبير، ولم تكن تنظر إلى أحد، فقط تحدق بعيداً إلى الوادي في الأسفل.

وعلى الفور، وكما توقع بوارو، بدأ الرجل الأمريكي في الحديث؛ قال إن اسمه شوارتز، وإن هذه هي الزيارة الأولى له إلى أوروبا، كما قال إن المنظر الذي أمامهم مهيب وإن قلعة شيلون قد أبهرته بشكل كبير، ثم تابع حديثه بأنه لم يكن يرى باريس كمدينة - وأن ذلك من قبيل المغالاة - فقد ذهب إلى مسرح فولي بيرجير الاستعراضي

ومتحف اللوفر ودار عبادة نوتردام، وأن واحداً من هذه المطاعم والمقاهي لا يمكنه تقديم عزف جيد لموسيقى الجاز. وقال أيضاً إنه يظن أن شارع الشانزليزيه جيد إلى حدٍ ما وأن النافورات قد أعجبته وخاصة عندما كانت تُضاء.

ولم ينزل أحد من القطار في ليس أفينس أو كوروشيه، فكان واضحاً أن أي شخص يستقل القطار كان متجهاً إلى روشيه ناييه.

شرح السيد شوارتز أسباب توجهه إلى هناك، حيث قال إنه كثيراً ما تمنى أن يصعد الجبال الجليدية؛ فبالنسبة له، كان الصعود لمسافة تصل إلى 3048 متراً أمراً مناسباً تماماً - حيث قد سمع أنه لا يمكن لشخص أن يسلق بيضة في مكان على هذا الارتفاع.

وبطبيعته الحميمية البريئة، حاول السيد شوارتز أن يجتذب الرجل الطويل ذا الشعر الرمادي الذي يجلس في الناحية الأخرى من العربة للمشاركة في الحديث، إلا أن الأخير رمقه بنظرة باردة من فوق نظارته ثم استكمل مطالعة الكتاب الذي بين يديه.

بعد ذلك، اقترح السيد شوارتز على السيدة السمراء أن يتبادلا الأماكن - وفسّر ذلك بأنها ستحصل على رؤية أفضل للوادي.

ولم يكن واضحاً إذا ما كانت قد فهمت كلماته باللغة الإنجليزية. على أية حال، فقد هزّت رأسها فحسب، وانكمشت أكثر داخل معطفها ذي الياقة الفرو.

قال السيد شوارتز لـ بوارو بصوت خفيض:

"يبدو الأمر غريباً أن ترى امرأة تسافر وحدها بلا شخص يقوم على رعاية شئونها؛ فالمرأة بحاجة إلى الكثير من الرعاية عندما تكون مسافرة".

وافقه هيركيول بوارو، متذكراً تلك السيدة الأمريكية التي قابلها في أوروبا.

بعدها تنهّد السيد شوارتز. إنه كان يرى أن العالم مكان قاسٍ، كان واضحاً في عينيه البنيتين اندهاش، فلا بأس من بعض الود في هذا العالم.

2

إن استقبال مدير فندق النزلاءَ مرتديًا معطفًا فضفاضًا مشقوق الذيل وحذاءً جلديًا ناصعاً يعد أمراً يدعو للسخرية بعض الشيء في مثل هذا المكان المذهل.

لقد كان المدير رجلًا ضخمًا، وسيم الملامح وله أسلوب معين في التعامل؛ وكان كثير الاعتذار.

في البداية ... كان نظام المياه الساخنة لا يعمل ... وكانت الأمور تسير بالكاد ... وبطبيعة الحال كان يفعل كل ما بوسعه... إذ لم يكن طاقم العمل قد اكتمل بعد ... وعدد الزائرين الكبير غير المتوقع أصابه بالارتباك.

وكان كل شيء يبدو متمدنًا بشكل احترافي، إلا أن بوارو بدا له أن وراء هذا المظهر المتمدن بعض التوتر المثير؛ فهذا الرجل، على الرغم من أسلوبه العفوي، فإنه لم يكن مطمَئنًا، كان قلقًا من شيء ما.

إن طعام الغداء يقدم في غرفة طويلة تطل على الوادي في الأسفل البعيد. وكان النادل الوحيد في المكان، والذي يدعونه جوستاف، ماهرًا ولبقًا. فهو يتحرك هنا وهناك، ويقدم اقتراحاته للنزلاء من قائمة الطعام ويعرض عليهم قائمة المشروبات. وعلى الفور، جلس الرجال الثلاثة الذين يبدو أن لهم علاقة بالخيول إلى منضدة واحدة معًا، وكانوا يضحكون ويتحدثون الفرنسية وتعلو أصواتهم:

"رباه! - ماذا عن دينيس الصغير يا أصدقائي؟ - هل تذكرون هذا الحصان البدين الذي أوقعنا جميعًا من فوق ظهره في فرنسا؟".

كان حديثهم حماسيًا جدًا بما يناسب شخصياتهم - إلا أنه لم يكن يتناسب مع طبيعة المكان!

جلست السيدة ذات الوجه الجميل وحيدة إلى طاولة عند زاوية الغرفة، ولم تكن تنظر إلى أحد.

بعد قليل، بينما كان بوارو يجلس في الردهة، جاء إليه المدير وتحدث إليه بسرية:

"يا سيدي، يجب ألا تظلم الفندق في حكمك، فهذا ليس موسم استقبال نزلاء. ولم يأت أحد إلى هنا حتى نهاية يوليو. تلك السيدة، ربما لاحظتها يا سيدي، تأتي إلى الفنَدق في هذا الوقت من كل عام. لقد مات زوجها في أثناء تسلق الجبل منذ ثلاث سنوات، كان أمرًا غاية في الحزن؛ فقد كان كلٌ منهما غاية في الإخلاص للآخر. إنها تأتي دائمًا قبل بداية الموسم حتى يكون الفندق هادئًا. كان المجيء إلى هنا أمرًا مهمًا بالنسبة لها. أما السيد المحترم الكبير في السن فهو الدكتور كارل لوتز، من فيينا، وقد أتى إلى هنا، كما قال، بحثًا عن الهدوء والراحة".

وافقه هيركيول بوارو: "إنه مكان هادئ حقًا"، ثم أشار للرجال الثلاثة وقال: "وبالنسبة لهؤلاء السادة هناك؟".

هزّ المدير كتفيه، وظهرت للمرة الثانية نظرة قلقة في عينيه، وقال بطريقة مبهمة:

"آه، السائحون، دائمًا ما يسعون وراء خوض تجربة جديدة... وجودهم على هذا الارتفاع - هذا وحده يمثل إحساسًا جديدًا بالنسبة لهم".

لذا فكر بوارو في أن هذا الأمر بالنسبة له ليس بالإحساس الممتع، فقد كان يشعر بخفقات قلبه المتسارعة، ثم تذكّر فجأة سطوراً من أنشودة للأطفال تقول: " على ارتفاع شاهق، كالصينية في السماء".

لقد دخل شوارتز إلى الردهة، فلمعت عيناه عندما رأى بوارو، واقترب منه على الفور.

وقال: "كنت أتحدث إلى هذا الدكتور. إنه يتحدث الإنجليزية بعض الشيء، وهو من الأقليات المضطهدة، وقد أخرجه النازيون من النمسا. أتعلم؟ إنني أعتقد أن هؤلاء الناس مجانين! الدكتور لوتز هذا كان رجلًا كبير الحجم إلى حدٍّ ما، أظن أنه إخصائي أعصاب أو يعمل بالتحليل النفسي، أو شيء من هذا القبيل".

توجهت نظراته إلى حيث تنظر السيدة الطويلة خارج النافذة، إلى الجبال الوعرة، وخفض صوته قائلًا:

"لقد عرفت اسمها من النادل؛ إنها السيدة جراندييه، وقد مات زوجها في أثناء التسلّق؛ لذلك هي تأتي إلى هنا في هذا الوقت من كل عام؛ لذا أشعر بأننا يجب أن نفعل شيئًا ما بهذا الشأن، أليس كذلك - أن نحاول إخراجها من تلك الحالة؟".

قال بوارو:

"لو كنت مكانك، لما أقدمت على ذلك".

إلا أن الأسلوب الودود للسيد شوارتز لم يكن ليوقفه شيء.

وقد شاهده بوارو وهو يبادر بالحديث إليها، ورأى كيف أنها تصد محاولاته للحديث معها. وقد وقفا معًا لدقيقة مستظلين من الضوء. وكانت السيدة أطول من شوارتز، وكان رأسها ملقى إلى الوراء وكانت تتعامل معه ببرود وصرامة.

ولم يسمع بوارو ما قالته، ولكن عاد شوارتز مغتمًا.

قال بحزن: "لا فائدة..."أعتقد أننا جميعًا بشر متساوون، فليس هناك ما يمنع أن نكون ودودين تجاه بعضنا بعضًا، ألا توافقني الرأي يا سيد - أتعلم، أنا لا أعرف اسمك؟".

قال بوارو: "اسمي بواريه"، وأضاف: "إنني تاجر حرير من مدينة ليون".

"أود أن أعطيك بطاقتي يا سيد بواريه، وإذا أتيت إلى منطقة فاونتن سبرنجز ذات مرة، فتأكد من أنني سأرحب بك".

أخذ بوارو البطاقة، وضرب جيبه بيده وتمتم قائلًا:

"للأسف، ليست معي بطاقتي الآن ...".

في تلك الليلة، عندما ذهب إلى سريره، قرأ بوارو خطاب لمنتويل بعناية، ثم طواه بدقة وأعاده إلى محفظته. وبينما يدخل إلى فراشه قال لنفسه:

"إنه أمر يثير الفضول - أتساءل إذا كان ...".

3

أحضر النادل جوستاف إفطار هيركيول بوارو المكون من القهوة ولفائف المعجنات، واعتذر بشأن القهوة.

وقال:"أرجو أن تتفهم يا سيدي أن في مكان يقع على هذا الارتفاع، من المستحيل أن تحصل على فنجان قهوة غاية في السخونة للأسف".

قال بوارو بصوت خفيض:

"على الفرد أن يتقبل هذه المؤثرات الطبيعية بصدر رحب".

تمتم جوستاف:

"سيدي فيلسوف!".

ثم توجه إلى الباب، ولكن بدلًا من أن يغادر الغرفة، نظر سريعًا إلى الخارج ثم أغلق الباب مرة أخرى وعاد بجانب الفراش وقال:

" يا مسيو بوارو، أنا درويه، مفتش الشرطة".

قال بوارو: "آه، لقد كنت أشك في ذلك".

فقال درويه بصوت خفيض:

"مسيو بوارو، لقد حدث أمر غاية في الخطورة. لقد تعرض القطار الجبلي لحادث".

نهض بوارو: "حادث؟ أي حادث؟".

"لم يُصَب أحد، فالحادث قد وقع في المساء، فربما نجم الحادث عن أسباب طبيعية - كانهيار بعض الصخور والحجارة. ولكن من المحتمل أيضًا وجود عامل بشري في وقوع هذا الحادث، لا أحد يعرف. على أية حال، سيستغرق إصلاحه عدة أيام، وفي تلك الأثناء سنظل عالقين هنا. وفي بداية الموسم، عندما كان الجليد لا يزال يهطل بغزارة، يكون إجراء تواصل مع الوادي في الأسفل مستحيلًا".

جلس هيركيول بوارو على الفراش وقال بهدوء:

"إنه أمر مثير للاهتمام جدًا".

أومأ المفتش.

وقال: "نعم، ويوضح هذا أن معلومات قائد شرطتنا كانت صحيحة. ماراسكود لديه مقابلة هنا، وقام بإجراء لكي يضمن ألا تتم مقاطعة هذه المقابلة".

صاح بوارو بنفاد صبر:

"ولكنه أمر مدهش!".

قال المفتش درويه: "أوافقك"، وأشاح بيديه مردفًا: "إنه أمر غير منطقي، ولكن هذا هو الأمر. إن ماراسكود هذا شخص مذهل! بالنسبة لي"، وهنا أومأ برأسه قائلًا: "أظن أنه مجنون".

قال بوارو:

"رجل مجنون ومجرم!".

قال درويه بأسلوب جاف:

"إنه ليس أمرًا مسليًا، أوافقك الرأي".

قال بوارو بهدوء:

"ولكن إذا كانت لديه مقابلة هنا على هذه الحافة الجليدية فوق هذا الارتفاع الشاهق، فمعنى ذلك أن ماراسكود موجود هنا بالفعل بما أن الاتصالات مقطوعة الآن".

قال درويه بهدوء:

"أعلم".

بقي الرجلان صامتين لدقيقة أو اثنتين، ثم سأله بوارو:

"الدكتور لوتز؟ هل يمكن أن يكون هو ماراسكود؟".

هزّ درويه رأسه وقال:

"لا أظن ذلك؛ فالدكتور لوتز شخصية حقيقية، ولقد رأيت صوره في الصحف إنه رجل مميز وشهير، وهذا الرجل يشبه تلك الصور كثيرًا".

قال بوارو بصوت خفيض:

"إذا كان ماراسكود بارعًا في التنكر، فسيبرع في القيام بهذا الدور".

"بالفعل. ولكن هل هو حقًا بارع في التخفي؟ لم أسمع من قبل أنه متفنن في التنكر؛

فليست لديه القدرة على الدهاء والتلون كالحية، بل هو وحش مفترس ومخيف، يتحكم فيه غضب أعمى".

قال بوارو:

"ومع ذلك ...".

وافقه درويه على الفور قائلًا:

"أجل، إنه هارب من العدالة، ولهذا فهو مجبر على التخفّي؛ لذلك يجب عليه أن يتنكر بطريقة أو بأخرى".

"هل تعرف مواصفاته؟".

هز الآخر كتفيه وقال:

"إلى حدّ ما. لقد كان من المفترض أن تصلني صورته الجنائية وقياساته اليوم. إن كل ما أعرفه أنه رجل في الثلاثينات من عمره، وأنه ذو طول أعلى من المتوسط، وبشرة سمراء، وليست به علامات مميزة".

هزّ بوارو كتفيه ثم قال:

"قد تنطبق هذه المواصفات على الكثير من الناس. ماذا عن الرجل الأمريكي، شوارتز؟".

"كنت سأطرح عليك هذا السؤال. لقد تحدثت إليه، وأظن أنك قد عشت لوقت طويل مع الإنجليز والأمريكان. وبنظرة سريعة، يبدو مسافراً أمريكيًا عاديًا، وجواز سفره سليم. وربما الأمر الغريب أنه قد قرر المجيء إلى هذا المكان - ولكن الأمريكيين لا يمكن التنبؤ بتحركاتهم في أثناء السفر. ما رأيك؟".

هزّ بوارو رأسه في حيرة.

وقال:

"بشكل سطحي، يبدو رجلًا متوددًا بشكل مبالغ فيه، لكنه ليس مؤذيًا. وربما يكون مملًا، ولكن من الصعب أن نعتبره خطرًا... ولكن لا يزال يوجد ثلاثة زوار هنا أيضًا".

أومأ المفتش برأسه، وفجأة بدا على وجهه الحماس.

"نعم، وبهم المواصفات التي نبحث عنها. يمكنني أن أقسم، يا مسيو بوارو، أن هؤلاء الرجال الثلاثة أعضاء في عصابة ماراسكود، فمن واقع خبرتي يمكنني أن أجزم أنهم أهم أعضاء العصابة! وربما يكون ماراسكود واحداً من بين الثلاثة".

فكّر هيركيول بوارو بتمعن، وتذكر الوجوه الثلاثة.

إن أحدهم كان ذا جبهة عريضة وحاجبين متدليين، ولغد مليء بالدهون، وله وجه نهِم يبدو عليه الشر. وكان الآخر هزيلًا ونحيلًا، وذا وجه نحيف، ونظرة جامدة. أما الرَجل الثالث فيتميز بوجه شاحب مع مسحة من الوسامة.

نعم، قد يكون ماراسكود هو أحد الثلاثة، ولكن إذا صح ذلك، فالسؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا؟ لماذا يسافر ماراسكود مع فردين من عصابته ويتسلقون نحو فخ فوق جبل؟ فبالتأكيد يمكن عقد اجتماع في مكان أكثر أمانًا وأقل جمالًا؛ في مقهى أو محطة قطار، أو سينما مزدحمة أو متنزه عام، مكان به الكثير من المخارج وليس هنا في هذه الأحراش الجليدية.

حاول شرح هذا الذي يدور في ذهنه للمفتش درويه الذي وافقه بدوره إلى حدٍّ بعيد.

وقال: "ولكن حقًا، هذا مذهل... وغير منطقي".

رد بوارو:"إذا كانوا سيعقدون مقابلة، فلماذا يسافرون معًا؟ لا، هذا ليس أمرًا منطقيًا".

قال درويه والقلق يكسو وجهه:

"في تلك الحالة، علينا أن نضع احتمالًا آخر. قد يكون هؤلاء الرجال الثلاثة أعضاء في عصابة ماراسكود وقد جاءوا إلى هنا ليقابلوا ماراسكود. إذن مَن يكون ماراسكود؟".

سأله بوارو:

"ماذا عن موظفي الفندق؟".

هزّ درويه كتفيه وقال:

"ليس هناك موظفون بمعنى الكلمة، فقط امرأة عجوز تقوم بالطهي، وزوجها العجوز جاك - يعملان هنا منذ خمسين عامًا تقريبًا. وهناك النادل الذي قد أخذت مكانه، هذا كل شيء".

قال بوارو:

"المدير بالطبع يعلم من تكون؟".

"بالتأكيد؛ فقد كنت بحاجة لمعاونته".

قال بوارو: "ألم يفاجئك أنه يبدو قلقًا؟".

بدا درويه متفاجئًا من تلك الملاحظة، وقال وهو يمعن التفكير:

"نعم، هذا حقيقي".

"ربما هذا القلق فقط؛ لأنه أصبحت له يد في أعمال تقوم بها الشرطة".

"ولكن أتظن أن هناك ما هو أكثر من ذلك؟ هل تظن أنه قد يكون على علم بشيء؟".

"أعتقد أن هذا هو كل ما في الأمر".

قال درويه بتجهم: "أتساءل...".

وتوقف ثم تابع:

"هل يمكن أن نستجوبه عن ذلك، ماذا تظن برأيك؟".

هزّ بوارو رأسه متشككًا، وقال:

"أظن أنه من الأفضل ألا نجعله يحس بشكوكنا؛ فقط راقبه".

أومأ درويه، واتجه نحو الباب.

وقال"أليست لديك أية اقتراحات يا مسيو بوارو، فأنا أعرف أنك ذائع الصيت، وقد سمعنا عنك في بلدنا".

قال بوارو متحيرًا:

"ليس لديّ ما أقترحه حاليًا. إن ما لا أستطيع وضع يدي عليه هو السبب في عقد مقابلة في هذا المكان، بل عقد مقابلة بالأساس؟".

قال درويه باختصار: "المال".

"لقد تمت سرقته ثم قتله، هذا المسكين سالي. أليس كذلك؟".

"بلى، لقد كان معه مبلغ كبير من المال، ولكنه اختفى".

"والغرض من المقابلة هو تقسيم المال على أفراد العصابة، أليس كذلك؟".

"هذا أمر غاية في الوضوح".

هزّ بوارو رأسه باستياء.

"أجل، ولكن لماذا هنا؟"، وتابع بهدوء: "إنه أسوأ مكان يمكن لمجموعة من المجرمين أن يجروا مقابلة فيه. إنه مكان مناسب لمقابلة امرأة...".

اتخذ درويه خطوة إلى الأمام.

وقال متحمسًا:

"أتظن...؟".

قال بوارو: "أظن أن السيدة جراندييه امرأة جميلة جداً. وأظن أن الكثيرين قد يتسلقون جبلاً يبلغ ارتفاعه آلاف الأمتار من أجلها - فقط إن هي أرادت ذلك".

قال درويه: "أتعلم؟ هذا أمر مثير للاهتمام، فأنا لم أفكر على الإطلاق في أن تكون لها علاقة بالقضية. على أية حال، إنها تأتي إلى هذا المكان لعدة سنوات متتالية".

قال بوارو بروية:

"نعم - ولهذا فوجودها لن يثير أية شكوك. هذا هو سبب اختيار جبل روشيه ناييه لعقد هذه المقابلة، أليس كذلك؟".

قال درويه بحماس:

"لقد استطعت أن تتوصل إلى فكرة يا مسيو بوارو. سأفكر في الأمر من هذه الزاوية".

4

مر اليوم بدون أحداث مهمة، ولحسن الحظ، كان الفندق مزوداً بالمؤن بشكل كافٍ، وقال المدير إنه لا داعي للقلق.

حاول هيركيول بوارو أن يبدأ حواراً مع الدكتور كارل لوتز، ولكن الأخير امتنع. لقد أشار الدكتور بشكل واضح إلى أن علم النفس كان هو الموضوع الأساسي لكتابه المهني عن العقل الباطن وتدوين الملاحظات والتعليقات الوفيرة.

لذا خرج هيركيول بوارو وتجول بلا هدف نحو المطبخ. وهناك، بدأ حواراً مع العجوز جاك، والذي كان فظاً ومريباً.
أما زوجته، الطاهية، فقد كانت أكثر وداً واجتماعية. ولحسن الحظ أنها تحدثت إلى بوارو عن وجود الكثير من الأطعمة المعلبة في الفندق - ولكن بالنسبة لها تظن أن تلك العلب لا تحتوي على أطعمة مفيدة بشكل حقيقي، كما أنها باهظة الثمن وبلا أية فائدة تذكر. فكيف يمكن للبشر أن يعيشوا على الأطعمة المعلبة؟

تطرق الحديث إلى العاملين بالفندق؛ فقالت إن عاملي خدمة الغرف والندل الإضافيين وصلوا إلى الفندق في بداية شهر يوليو، ولكن لا يوجد أحد وصل خلال الأسابيع الثلاثة التالية، فأغلب من جاءوا وتناولوا الغداء ذهبوا على الفور. وقالت إنها وجاك والنادل الوحيد الموجود يمكنهم تولي هذا الأمر بسهولة.

سألها بوارو:

"كان هناك نادل يعمل هنا قبل أن يأتي جوستاف، أليس كذلك؟".

"بلي، بالتأكيد، كان نادلًا مسكينًا؛ حيث لم يكن يتمتع بأدنى قدر من المهارة أو الخبرة".

"كم بقي هنا قبل أن يأتي جوستاف ويأخذ مكانه؟".

"بضعة أيام فقط؛ أقل من أسبوع. لقد تم طرده بطبيعة الحال ولم نتفاجأ بذلك، فقد كان أمرًا متوقعًا".

قال بوارو بصوت خفيض:

"ألم يشكُ بشكل مبالغ فيه؟".

"لا، لقد غادر بهدوء كبير. فعلى أية حال، لم يكن ليتوقع أمرًا آخر. إن هذا الفندق ذو مستوى جيد، ويتوقع النزلاء أن يحصلوا على خدمة متميزة هنا".

أومأ بوارو وسألها:

"أين ذهب؟".

هزت كتفيها وقالت:"تقصد روبرت؟ بالتأكيد عاد إلى المقهى المغمور الذي جاء منه".

"هل استقل القطار الجبلي ليعود أدراجه؟".

نظرت إليه باستغراب قائلة:

"بالطبع يا سيدي، هل هناك وسيلة أخرى يمكن أن يستقلها؟".

سألها بوارو:

"هل رآه أحد وهو يرحل؟".

حدق إليه كلاهما.

وقالت المرأة: "آه! هل تظن أنه من الطبيعي أن يذهب أحد لتوديع شخص وضيع كهذا... أن يودعه أحدنا وداعًا حارًا؟! هناك أمور أخرى تشغلنا".

قال هيركيول بوارو: "بالضبط".

ابتعد ببطء متفحصًا نظره في المبنى من حوله؛ فهذا فندق كبير به جناح واحد فقط مفتوح في الوقت الحالي، وبقية الأجنحة بها الكثير من الغرف المغلقة والموصدة، حيث لا يتوقع أن يدخلها أحد...

توجه نحو زاوية الفندق وسارع بخطواته نحو واحد من الرجال الثلاثة الذين يلعبون بأوراق اللعب، اقترب من الرجل ذي الوجه النحيف والعينين الشاحبتين، فنظر الرجل إلى بوارو بعينين جامدتين، فقط انفرجت شفتاه قليلًا لتظهر أسنانه، كما لو كان حصانًا ماكرًا.

واجتازه بوارو وتابع سيره. لقد كانت هناك قامة أمامه - كانت السيدة جراندييه ذات القامة الطويلة الرشيقة.

تسارعت خطواته حتى لحق بها، وقال:

"الحادث الذي وقع للقطار الجبلي كان مأساويًا؛ لذا أتمنى ألا يكون قد أزعجك هذا الأمر يا سيدتي؟".

قالت:

"الأمر لا يهمني".

وكان صوتها عميقًا - يصلح للغناء. ولم تنظر إلى بوارو، وتنحّت جانبًا ثم دخلت الفندق من باب جانبي صغير.

5

لقد ذهب هيركيول بوارو إلى فراشه مبكرًا، ولكنه ظل مستيقظًا حتى بعد منتصف الليل بقليل.

وعندئذ أحس بأن هناك من يعبث بقفل الباب.

فجلس بوارو وأضاء المصباح، وهنا نجحت المحاولات وانفتح الباب ليجد ثلاثة رجال أمامه؛ الرجال الثلاثة الذين كانوا يلعبون بالأوراق؛ لذا اعتقد بوارو أنهم في حالة من عدم الوعي؛ كانت وجوههم مليئة بالحماقة إلا أنها كانت مليئة بالشر أيضًا، ثم رأى بوارو لمعان شفرة حلاقة.

عندئذ تقدم نحوه الرجل الضخم من بينهم، وتحدث بصوت هادر.

"يا لك من مخبر حقير! تبًا لك!".

واندفع في إطلاق وابل من السباب، ثم تقدم الثلاثة بعزم نحو الرجل الأعزل الجالس في الفراش.

"سنمزقه إربًا يا شباب، أليس كذلك؟ سوف نشق وجه السيد المخبر. ولن يكون هذا أول من سنفعل به في هذه الليلة".

واقتربوا منه بثبات وإصرار - ولمعت شفرات الحلاقة في أيديهم ...

وهنا انطلق صوت ذو نبرة حادة ومخيفة وغير أوروبية، يقول:

"ارفعوا أيديكم".

التفتوا نحو صاحب هذا الصوت. لقد كان شوارتز واقفًا عند الباب مرتديًا ملابس نوم مخططة زاهية الألوان، وبيده مسدس ضخم.

"ارفعوا أيديكم يا رجال، إنني بارع في التصويب".

ضغط على الزناد فانطلقت رصاصة لتعبر بجانب أذن الرجل الضخم وتستقر في خشب النافذة.

فرفع الرجال الثلاثة أيديهم على الفور.

قال شوارتز: "هل تسمح لي بإزعاجك يا سيد بواريه؟".

خرج هيركيول بوارو من الفراش في لمح البصر، وجمع الشفرات البراقة ومرر يديه على أجسام الرجال الثلاثة حتى يتأكد أنهم ليسوا مسلحين.

قال شوارتز:

"والآن، امشوا! هناك خزانة بطول الرواق، الذي ليست به شبابيك. توجهوا إليها".

قادهم نحو الخزانة وأدخلهم فيها وأغلق عليهم بالمفتاح. ثم التف نحو بوارو متحدثًا إليه بصوت تملؤه البهجة.

"يا لغرابة ما حدث! أتعلم يا سيد بواريه أن هناك بعض الأصدقاء في بلدتي قد سخروا مني عندما أخبرتهم بأني سأحمل معي مسدسًا في أثناء سفري؛ حيث سألوني: "إلى أين تظن أنك ذاهب؟"، فأجبتهم: "إلى الغابة". إذن أصبحت أنا من يجب أن يضحك الآن. هل رأيت من قبل حفنة من الأشرار كهؤلاء؟".

قال بوارو:

"عزيزي شوارتز، لقد ظهرت في الوقت المناسب. وكان من الممكن أن تحدث كارثة! إنني مدين لك بالكثير".

"لا عليك، ماذا سنفعل الآن؟ علينا أن نسلم هؤلاء الصبية إلى الشرطة، وليس باستطاعتنا فعل ذلك! إنها مشكلة معقدة. ربما علينا أن نستشير المدير".

قال هيركيول بوارو:

"نعم، المدير. ولكنني أظن أن علينا في البداية أن نستشير النادل جوستاف، أقصد المفتش درويه. نعم، فالنادل جوستاف هو في الحقيقة أحد رجال الشرطة".

حدق شوارتز إليه.

"إذن هذا هو السبب وراء فعلتهم تلك!".

"أية فعلة تقصد؟".

"إن تلك الحفنة من الأوغاد جاءوا إليك كالشخص الثاني في القائمة. لقد مزقوا جوستاف إربًا".

"ماذا؟".

"تعال معي. إن الطبيب يعمل على معالجته الآن".

كانت غرفة درويه صغيرة وموجودة في الطابق العلوي، وكان الدكتور لوتز بها، مرتديًا ملابس نوم، يعمل على تضميد وجه الرجل المصاب.

أدار الدكتور رأسه نحوهما بينما يدخلان.

"آه! هذا أنت يا شوارتز؟ هذا عمل خسيس، يا لهم من سفاحين! يا لهم من وحوش عديمي الإنسانية!".

كان درويه مستلقيًا يئن بصوت ضعيف.

فسأل شوارتز: "هل هو في خطر؟".

"لن يموت إذا كان هذا هو ما تقصده. لكنه يجب ألا يتحدث أو ينفعل. لقد ضمدت جراحه - لا وجود لاحتمالية تعرضه للتسمم".

غادر الرجال الثلاثة الغرفة معًا. وقال شوارتز لـ بوارو:

"هل قلت إن جوستاف ضابط شرطة؟".

أومأ هيركيول بوارو برأسه إيجابًا.

رد شوارتز:"ولكن ما الذي كان يفعله فوق جبل روشيه ناييه؟".

"كان يشارك في مهمة تتبع مجرم غاية في الخطورة".

شرح بوارو الأمر باختصار.

قال الدكتور لوتز:

"ماراسكود؟ لقد قرأت عن تلك القضية في الجريدة. وأود كثيراً أن أقابل هذا الرجل، أعتقد أن الأمر له علاقة ببعض الخلل النفسي! أرغب في معرفة تفاصيل

طفولته".

قال بوارو: "بالنسبة لي، أرغب في معرفة مكانه بدقة حاليًا".

قال شوارتز:

"أليس واحداً من الرجال الثلاثة الذين قمنا بحبسهم في الخزانة؟".

قال بوارو بصوت متحير:

"هذا محتمل - نعم، ولكنني لست متأكداً ... لديّ فكرة...".

توقف عن الحديث فجأة وحملق إلى السجادة التي كانت ذات لون برتقالي فاتح وعليها علامات بلون بني داكن.

قال هيركيول بوارو:

"آثار أقدام - إنها آثار أقدام، أظن أنها قد تلطخت بالدماء وتأتي من ناحية الجناح المهجور من الفندق. إذن... علينا أن نتعجّل!".

ثم تبعه الرجلان الآخران عبر باب متأرجح ورواق مظلم مترب، وبعد ذلك انعطفوا عند زاوية الرواق متتبعين الآثار الموجودة على السجادة حتى قادتهم إلى مدخل نصف مفتوح.

دفع بوارو الباب ودخل.

وهنا أطلق صيحة ذعر حادة.

إن المدخل كان يؤدي إلى غرفة نوم، ويبدو أنه كان هناك من ينام على الفراش بشكل منتظم وكانت هناك صينية طعام على المنضدة.

وفي منتصف الغرفة كان هناك جسد ملقى على الأرض. وكان رجلًا ذا طول أعلى من المتوسط بقليل وكانت قد تمت مهاجمته بعنف ووحشية؛ فقد كان مصاباً بالعديد من الجروح في ذراعيه وصدره، وأُوسِعَ ضرباً على رأسه ووجهه.

أطلق شوارتز صيحة اختناق وتراجع للوراء كما لو كان يشعر بالغثيان.

وأطلق الدكتور لوتز هو الآخر صيحة مرتعبة باللغة الألمانية.

قال شوارتز بوهن:

"من هذا الرجل؟ هل يعرفه أحد منكما؟".

قال بوارو: "أظن أنه معروف هنا باسم روبرت، كان نادلًا غير متمرس ...".

اقترب لوتز ومال ناحية الجثة، وأشار بإصبعه. لقد كانت هناك ورقة مثبتة على

صدر الرجل الميت، كان مكتوبًا عليها بعض الكلمات بالحبر:

ماراسكود لن يقتل شخصًا آخر - ولن يسرق أصدقاءه!

اندفع شوارتز قائلًا:

"ماراسكود؟ إذن هذا هو ماراسكود! ولكن ما الذي أتى به إلى هذه المنطقة المهجورة؟ ولماذا تقول إن اسمه روبرت؟".

قال بوارو:

"لقد كان هنا يتنكر كنادل. وعلى كل الأحوال، لقد كان نادلًا غاية في السوء، لدرجة أنه لم يتفاجأ أحد بطرده من العمل، - وكان من المفترض أن يعود إلى مدينة أندرمات، إلا أنه لم يره أحد راحلًا".

قال لوتز بصوته الهادر البطيء:

"وماذا تظن أنه قد حدث؟".

رد عليه بوارو:

"أظن أن هذا يفسر الاضطراب الذي كان يعلو وجه مدير الفندق. لقد عرض ماراسكود عليه رشوة كبيرة مقابل أن يسمح له بالاختباء في الجزء المهجور من الفندق...".

ثم أضاف بتفكر: "ولكن المدير لم يكن راضيًا عن ذلك. يا إلهي، لم يكن راضيًا على الإطلاق".

قال شوارتز: "واستمر ماراسكود في العيش في هذا الجزء المهجور بدون أن يعرف أحد بهذا سوى المدير؟".

"يبدو أن الأمر كذلك. ومن المحتمل أن يكون هذا هو ما حدث فعلًا".

قال الدكتور لوتز:

"ولماذا قُتل؟ ومَن الذي قتله؟".

صاح شوارتز:

"هذا أمر بسيط. لقد كان عليه أن يتقاسم الأموال مع عصابته إلا أنه لم يفعل؛ لقد احتال عليهم. لقد أتى إلى هذا المكان المهجور حتى يختبئ عن الأنظار لبعض الوقت. وظن أنهم لن يتوقعوا وجوده في هذا المكان على الإطلاق، ولكنه أخطأ الظن. فبطريقة أو أخرى تمكنوا من التوصل لمكانه وتتبعه"، ثم لمس الجثة بطرف حذائه وتابع: "وقد قاموا بتصفية الحساب معه بهذه الطريقة".

تمتم هيركيول بوارو:

"نعم، لم تكن هذه هي المقابلة التي كنا نظنها".

قال الدكتور لوتز منفعلًا:

"كل هذه التفسيرات مثيرة للاهتمام، ولكني قلق حيال موقفنا الحالي. فأمامنا رجل ميت، وبين يدي رجل متوعك وقدر محدود من الإمدادات الطبية. ونحن معزولون عن العالم إلى مدى لا يعلمه أحد".

أضاف شوارتز:

"ولدينا ثلاثة مجرمين محتجزين في الخزانة! يمكنني أن أصفه بموقف مثير للاهتمام".

قال الدكتور لوتز:

"ماذا سنفعل؟".

قال بوارو:

"أولًا، علينا أن نتواصل مع المدير، فهو ليس مجرمًا، بل مجرد رجل طمع في بعض المال، كما أنه رجل جبان. وسوف يفعل كل ما نطلب منه. وصديقي العزيز جاك، أو زوجته، ربما سيزودانا بحبال. ويجب أن يتم وضع الأنذال الثلاثة في مكان أمين حتى تصل إلينا قوة أمنية. إنني أظن أن سلاح السيد شوارتز سيساعدنا على تنفيذ أية خطط قد نضعها".

قال الدكتور لوتز:

"وماذا عني؟ ماذا سأفعل؟".

قال بوارو بجدية: "أنت يا دكتور ستفعل كل ما بوسعك من أجل المريض، أما بقيتنا فسنعمل على مراقبة متواصلة - وننتظر؛ ليس هناك أمر آخر نفعله".

6

بعد مرور ثلاثة أيام، كانت مجموعة من الرجال تقف أمام الفندق في الساعات الأولى من الصباح.

وكان هيركيول بوارو هو من فتح لهم الباب الأمامي بترحاب.

وقال: "مرحبًا يا أصدقائي".

السيد لمنتويل، قائد الشرطة السويسري، سلّم على بوارو بكلتا يديه.

"آه يا صديقي، لا أعرف كيف أشكرك! يا للأوقات العصيبة التي مررت بها! ونحن، برغم عدم معرفتنا بأي شيء، كنا نخاف من كل شيء. ولم تكن توجد أية وسائل اتصالات. إن إرسالك لنا إشارات عن طريق الانعكاسات الشمسية كان ضربًا من العبقرية".

حاول بوارو أن يبدو متواضعًا قائلًا: "لا، لا. على أية حال، عندما تفشل اختراعات الإنسان، يلجأ إلى الطبيعة؛ فالشمس موجودة في السماء طوال الوقت".

اصطفت المجموعة الصغيرة داخل الفندق، وقال لمنتويل: "لم تتوقعوا مجيئنا، أليس كذلك؟"، وعلى وجهه ابتسامة مقتضبة إلى حدٍ ما.

ابتسم بوارو هو الآخر، وقال:

"نعم! فمن المعروف أن القطار الجبلي لم يتم إصلاحه بعد".

قال لمنتويل بانفعال:

"يا له من يوم رائع! أتظن أنه ليس هناك شك؟ هل هو ماراسكود حقًا؟".

"إنه ماراسكود بالفعل. تعال معي".

صعدوا الدَّرَج، فانفتح باب ليخرج شوارتز في ملابس نومه، وأمعن النظر عندما رأى الرجال.

وشرح سبب خروجه من غرفته قائلًا: "لقد سمعت أصواتًا، ما السبب، ما هذا؟".

قال هيركيول بوارو بأسلوب متحذلق:

"لقد أتت يد العون، اتبعنا يا سيدي، إنها لحظة عظيمة".

وحملق إلى المجموعة التالية من السلالم.

قال شوارتز:

"هل تصعدون إلى درويه؟ بالمناسبة، كيف حاله؟".

"أخبرنا الدكتور لوتز الليلة الماضية بأنه في تحسُّن".

وعندما وصلوا إلى باب غرفة درويه، فتحه بوارو على مصراعيه وقال معلنًا:

"ها هو ذا الوحش البري الذي تبحثون عنه يا سادة. خذوه حيًا واحرصوا على ألا يفلت من عقوبة الإعدام".

ثم نهض الرجل الذي كان مستلقيًا في السرير على الفور، والذي كان لا يزال وجهه ملفوفًا بالضمادات، إلا أن ضباط الشرطة ألقوا القبض عليه، وقاموا بتكتيف ذراعيه قبل أن يتمكن من الحركة.

صاح شوارتز مندهشًا:

"ولكن هذا النادل جوستاف، وهو نفسه المفتش درويه".

"إنه جوستاف حقًا - ولكنه ليس درويه. درويه هو النادل الأول، المعروف باسم روبرت، وقد كان محتجزًا في الجزء المهجور من الفندق، وهو من قتله ماراسكود في الليلة نفسها التي تمت مهاجمتي فيها".

7

وفي أثناء الإفطار، شرح بوارو الأمر بهدوء للأمريكي الذي كان غاية في الذهول.

فقال: "إنك تدرك أن هناك أمورًا معينة يعلمها الشخص - وخاصة في إطار مهنته. فعلى سبيل المثال، إنني أعرف الفرق بين الشرطي والمجرم! لم يكن جوستاف نادلًا - كما كنت أشك في وقت ما - ولكنه في الوقت نفسه لم يكن شرطيًا. لقد تعاملت مع ضباط الشرطة طوال حياتي، وأنا على دراية بهم؛ فيمكن أن يقدم نفسه كرجل لأي شخص عادي، لكن ليس لشخص كان يعمل ضابط شرطة".

وتابع: "وهكذا، كنت في وقت ما متشككًا. وفي تلك الليلة، لم أتناول قهوتي... فقد تصرفت بحنكة وسكبتها. وفي وقت متأخر من تلك الليلة، دخل رجل غرفتي مطمئنًا إلى أنني سأكون غائبًا عن الوعي، وبحث في أغراضي وعثر على الخطاب الموجود في محفظتي ؛ وكنت قد تركته حتى يعثر عليه! وفي الصباح التالي، دخل جوستاف إلى غرفتي حاملًا معه قهوتي. ألقى عليّ التحية وناداني باسمي الحقيقي ممثلًا دوره بطمأنينة تامة. ولكنه كان متوترًا - متوترًا بشدة - لأن الشرطة قد اقتفت أثره! فقد عرفوا مكانه وهذا يمثل كارثة بالنسبة له. لقد أفسد هذا خططه، وأصبح عالقًا هنا كما يعلق الفأر في المصيدة".

قال شوارتز:

"كان أغبى ما يمكنه فعله أن يأتي إلى هنا! فلماذا جاء؟".

قال بوارو بجدية:

"إنه ليس تصرفًا بهذا القدر الذي تظنه من الغباء. لقد كان بحاجة عاجلة لمكان منعزل بعيداً عن العالم، حيث يمكنه مقابلة شخص محدد، وحيث يمكن أن يحدث أمر معين".

"مَن ذلك الشخص؟".

"الدكتور لوتز".

"دكتور لوتز؟ هل هو الآخر محتال؟".

"الدكتور لوتز هو حقًا الدكتور لوتز - ولكنه ليس إخصائي أعصاب ولا محللًا نفسانيًا. إنه جرّاح يا صديقي، جرّاح متخصص في جراحات التجميل. وهذا هو السبب الذي أتى من أجله هنا لمقابلة ماراسكود. فقد أصبح فقيراً وترك وطنه، فعُرض عليه مبلغ كبير من المال حتى يقابل رجلًا هنا ويقوم بتغيير مظهره باستخدام مهاراته في الجراحة. ربما خمّن أن ذلك الرجل مجرم، ولكنه قد أغمض عينيه عن هذه الحقيقة. هل تدرك ذلك. إنه لم يجرؤ على مقابلته في دار رعاية في أي بلد أجنبي، بل قرر أن تكون المقابلة هنا، حيث لا يأتي أحد في وقت مبكر من الموسم إلا في زيارات عابرة، وحيث إن مدير الفندق رجل بحاجة إلى المال ويمكن رشوته، ما يجعله مكانًا مناسبًا تمامًا.

"ولكن كما قلت، سارت الأمور على غير ما يرام. لقد تعرض ماراسكود للخيانة. فالرجال الثلاثة الذين كان من المفترض أنهم سيقابلونه هنا ويعتنون به لم يكونوا قد وصلوا بعد، ولكن ماراسكود تصرّف على الفور؛ فاختطف ضابط الشرطة الذي كان يتنكر كنادل وحلّ مكانه. وخططت العصابة لتخريب القطار الجبلي، فقد كانت المسألة مسألة وقت. في الليلة التالية، تم قتل درويه وتثبيت ورقة على جثته. إن هذا حدث على أمل أنه بحلول الوقت الذي يمكن التواصل مع العالم، سيكون قد تم دفن جثة درويه على أنها جثة ماراسكود، ويُجري الدكتور لوتز العملية بدون تأجيل. ولكن هناك رجلًا يجب أن يتم إخراسه - ألا وهو هيركيول بوارو، ولهذا تم إرسال العصابة لمهاجمتي. أشكرك يا صديقي...".

انحنى هيركيول بوارو في امتنان لـ شوارتز الذي قال:

"إذن، فأنت هيركيول بوارو حقًا؟".

"نعم".

"ولم يخدعك أمر هذه الجثة ولو للحظة؟ كنت تعرف طوال الوقت أنها ليست جثة ماراسكود؟".

"بالتأكيد".

"لماذا لم تقل ذلك؟".

تجهم وجه هيركيول بوارو فجأة.

وقال: "لأنني كنت أريد أن أتأكد تمامًا من تسليم ماراسكود الحقيقي للشرطة".

ثم تمتم بصوت خفيض:

"أن أقبض على وحش إريمانثوس البشري حيًا ...".

الفصل الخامس

حظائر أوجياس

1

"الموقف غاية في الدقة يا مسيو بوارو".

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتي هيركيول بوارو، وكاد يجيب:

"لطالما كان كذلك!".

ولكنه، بدلًا من ذلك، احتفظ برباطة جأشه وأظهر ما يمكن تسميته بالسلوك المتعقل.

تابع السير جورج كونواي؛ وبجدية، كانت الكلمات تنساب من بين شفتيه عن مدى خطورة موقف الحكومة والمصلحة العامة ووحدة الحزب وعن ضرورة تقديم جبهة موحدة وعن قوة الصحافة ومصلحة الوطن...

كان الكلام يبدو جيداً - وبلا معنى. شعر بوارو بذلك الألم المعتاد في الفك الذي يصيب أحدهم عندما يريد التثاؤب، ولكن يمنعه الحياء عن ذلك. لقد كان يشعر بهذا الشعور أحياناً عندما كان يقرأ النقاشات البرلمانية، ولكن في مثل هذه الحالات لم تكن هناك ضرورة لكتم تثاؤبه.

حاول المقاومة بصبر، وشعر في الوقت نفسه بالتعاطف تجاه السير جورج كونواي. فقد كان من الواضح أن الرجل يريد أن يخبره بشيءٍ ما، إلا أنه فقد موهبة السرد المبسط. وكانت كلماته تزيد من تعقيد الحقائق بدلًا من تبسيطها، وكان بارعًا في مهارة استخدام الجمل المؤثرة - بحيث يقول الجمل التي لها وقع مطمئن وتكون خالية من المعنى إلى حدٍ كبير.

انسابت الكلمات، واحتقن وجه السير جورج وألقى نظرة يائسة على الرجل الجالس عند رأس الطاولة، وهنا تحدث الرجل الآخر.

قال إدوارد فيرييز:

"حسنًا يا جورج، سأخبره".

عندئذ انتقل هيركيول بنظره من وزير الداخلية إلى رئيس الوزراء، وشعر باهتمام كبير نحو إدوارد فيرييز - اهتمام نشأ من عبارة قالها رجل في الثانية والثمانين من عمره من قبيل المصادفة. فالبروفيسور فيرجوس ماكلود، بعد أن استبعد وجود صعوبة كيميائية في إدانة مجرم ما، تطرق للحظات إلى الحديث عن السياسة. وفور تقاعد جون هاميت، المحبوب وذائع الصيت، (والذي يتولى الآن إمارة كورنورثي)، تم تكليف زوج ابنته، إدوارد فيرييز، بتشكيل وزارة. وبالنسبة لما هو متعارف بين السياسيين، كان فيرييز رجلًا تحت الخمسين. قال بروفيسور ماكلود: "كان فيرييز أحد تلامذتي في فترة ما. إنه رجل وجيه".

وكانت جملة غاية في البساطة، ولكن بالنسبة لـ هيركيول بوارو كان لها معنى أعمق. فإذا وصف ماكلود رجلًا بأنه وجيه فهذه بمثابة شهادة تقدير لهذا الشخص، بالمقارنة مع من قد تتحمس لهم العامة ووسائل الإعلام.

وللمصادفة، كانت جملة حقيقية بالنسبة للمقاييس العامة. فإدوارد فيرييز كان رجلًا وجيهًا - فقط - وليس عبقريًا أو عظيمًا أو خطيبًا مفوّهًا، وليس رجلًا ذا معرفة واسعة. لقد كان رجلًا وجيهًا - رجلًا نشأ على التقاليد وتزوج من ابنة جون هاميت، والرجل الذي كان اليد اليمنى لـ جون هاميت والذي يمكن ائتمانه على قيادة حكومة البلاد والسير على خطى جون هاميت.

كان جون هاميت قريبًا جدًا من قلوب أفراد الشعب وعزيزًا على صحافة إنجلترا، وكان يرمز لكل ما هو عزيز على قلب المواطن الإنجليزي. كان الناس يقولون عنه: "نشعر تمامًا بصدق هاميت"، وكانت النوادر تتحاكى بحياته البسيطة وبولعه بالبستنة. وعلى غرار الغليون الذي اشتهر به بولدوين والمظلة التي اشتهر شامبرلين بحملها طوال الوقت، اشتهر جون هاميت بمعطف المطر. لقد كان يحمله طوال الوقت كرداء جلدي، وكان هذا المعطف رمزًا للطقس الإنجليزي والتخطيط المسبق السديد الذي يتميز به العرق الإنجليزي وتعلقه بالمقتنيات القديمة. فضلًا عن ذلك، كان جون هاميت خطيبًا؛ وكانت خطبه، التي كان يلقيها بهدوء وجدية، تزخر بتلك التعبيرات العاطفية البسيطة المحفورة عميقًا في قلب الشعب الإنجليزي. وكان الأجانب أحيانًا ينتقدون تلك الخطب ويقولون إنها مليئة بالرياء وبها نبل مصطنع. ولم يكن جون هاميت يمانع على الإطلاق أن يتصرف بنبل ولكن بطريقة ترضي العامة من البسطاء.

علاوة على أنه كان رجلًا حسن المظهر، كان أيضًا طويلًا ومنتصب الطول، وأشقر وله عينان زرقاوان. لقد كانت أمه دنماركية. وقد ظل القائد العام للقوات البحرية لعدة سنوات، ما أطلق عليه لقب "الفايكينج"، وعندما أجبره المرض على التخلي عن مقاليد الأمور، انتشر شعور بالفزع. وتساءل الشعب عمن سيخلفه، هل سيكون القائد

العبقري تشارلز ديلافيلد؟ (إنه غاية في العبقرية - وإنجلترا ليست بحاجة إلى العبقرية) أم إيفان ويتلر؟ (إنه داهية - ولكنه منعدم الضمير)، أم جون بوتر؟ (ذلك الرجل الذي قد يفتخر بكونه ديكتاتوراً - ونحن لا نريد أي ديكتاتور في وطننا هذا)؛ لذلك انتشر ارتياح كبير في الأوساط عندما تولى الخلوق إدوارد فيرير رئاسة الوزارة. لقد كان فيرير لا بأس به؛ فلقد تدرب على يد الرجل الكبير وتزوج بابنته. وكما يقولون، ففيرير هو الرجل المناسب لخلافته.

تمعّن هيركيول بوارو في وجه الرجل الأسمر الهادئ ذي الصوت العذب، لقد كان يبدو هزيلًا وأسمر ومتعبًا.

كان إدوارد فيرير يقول:

"ربما تكون على معرفة، يا مسيو بوارو، بجريدة أسبوعية اسمها إكس راي نيوز؟".

أجاب بوارو بقليل من الخجل: "لقد اطلعت عليها".

قال رئيس الوزراء: "إذن فأنت تعرف محتوياتها بشكل أو بآخر؛ فهي تقوم على موضوعات تتسم بالتشهير إلى حدٍّ ما، ونشر صور لاذعة تشير إلى بعض الوقائع التاريخية السرية المثيرة. بعضها حقيقي وبعضها غير مؤذ - ولكنها جميعًا تُقدّم بأسلوب مثير. وأحيانًا ...".

وتوقف ثم قال، وقد تغير صوته قليلًا:

"وأحيانًا ينشرون ما هو أكثر من ذلك".

لم يتحدث هيركيول بوارو، وتابع فيرير قائلًا:

"لفترة أسبوعين، كانت هناك تلميحات عن إعلان وشيك عن فضيحة من الدرجة الأولى وسط "أعلى الدوائر السياسية" و"اكتشافات مثيرة عن قضايا فساد واستغلال للسلطة"".

قال هيركيول بوارو، وهو يهز كتفيه:

"إنها خدعة شائعة. وعندما تظهر الاكتشافات الحقيقية، يشعر منتظروها بالإحباط بعد أن كانوا متحمسين بشدة".

قال فيرير بأسلوب جاف: "تلك الاكتشافات لن تصيبهم بالإحباط".

سأله هيركيول بوارو:

"إذن، فأنت تعرف ماذا ستكون تلك الاكتشافات؟".

"بقدر كبير من الدقة".

توقف إدوارد فيرير لدقيقة، ثم بدأ في الحديث؛ فقد اختصر القصة بدقة وأسلوب

منهجي.

فهي لم تكن مجرد قصة صحفية، بل اتهامات باحتيال فاضح وتلاعب بالأسهم واختلاس كبير من أموال الحزب. وتلك الاتهامات طالت رئيس الوزراء السابق جون هاميت. واتهموه بأنه وغد محتال ومخادع كبير لا يستحق الثقة الممنوحة إياه وأنه قد استغل منصبه في جمع ثروة خاصة طائلة.

وفي النهاية توقف الصوت الهادئ الذي يتحدث به رئيس الوزراء. ثم استنكر وزير الداخلية الأمر، وقال على نحو سريع وغاضب:

"إنه أمر شنيع - شنيع! هذا الرجل، بيري، الذي يعمل على إعداد مجلة الفضائح يستحق أن يُقتل!".

قال هيركيول بوارو:

"هل من المفترض أن تلك الاكتشافات سيتم نشرها في مجلة أخبار إكس راي؟".

"نعم".

"ما الخطوات التي تقترحون اتخاذها حيال هذا الأمر؟".

قال فيريير بهدوء:

"إنهم يشنون هجومًا شخصيًا على جون هاميت. إن الأمر متاح له أن يقيم دعوى ضد الجريدة بتهمة التشهير به".

"وهل سيفعل ذلك؟".

"لا".

"لِمَ لا؟".

قال فيريير:

"أغلب الظن أن هذا هو أقصى ما يتمنونه؛ حيث سيمنحهم ذلك رواجًا غير مسبوق. وسوف يستند إلى أن ما نشر هو مجرد تعليقات وأن البيانات التي تم توجيه شكوى بشأنها حقيقية. وفي النهاية، سيؤدي كل ذلك لتسليط مزيد من الضوء على القضية".

"ولكن إذا خسروا القضية، فستكون خسائرهم فادحة".

قال فيريير بهدوء: "قد لا يخسرون القضية".

"لماذا؟".

قال السير جورج بوقار: "أظن حقًا أن...".

إلا أن إدوارد فيرِيير كان يكمل حديثه بالفعل:

"لأن ما ينوون نشره هو الحقيقة". لقد أطلق السيد جورج كونواي صوتًا في غضب تجاه تلك الصراحة غير السياسية. وصاح:

"إدوارد، يا زميلي العزيز. إننا لا نعترف، بالتأكيد...".

ظهرت ابتسامة طفيفة على وجه إدوارد فيرِيير المتعَب، وقال:

"للأسف يا جورج، أحيانًا يجب أن تنكشف الحقيقة الكاملة. وهذه إحدى الحقائق".

صاح السيد جورج:

"أنت تفهم يا مسيو بوارو أن كل ما نقوله هنا غاية في السرية. يجب ألا تخرج أية كلمة...".

قاطعه فيرِيير بهدوء قائلًا:

"المسيو بوارو يفهم ذلك؛ فليس هناك شيء غامض فيما قلته: مستقبل حزب الشعب بأكمله على المحك. لقد كان جون هاميت هو حزب الشعب بالنسبة للناس يا مسيو بوارو. وكان يرمز لما يمثله هذا الحزب لشعب إنجلترا - فقد كان رمزًا للفضيلة والنزاهة. ولم يعتبرنا أحد عباقرة، فلقد أخطأنا وتعثّرنا، وناضلنا من أجل القيام بأفضل ما بوسعنا ودافعنا أيضًا عن النزاهة. ومصيبتنا هي أن الرجل الذي كان رمزًا لنا، رجل الشعب النزيه اتضح أنه أكبر محتال في هذا القرن".

أطلق السير جورج زفيرًا غاضبًا.

سأله بوارو:

"ألم تكن تعرف أي شيء عن هذا؟".

ظهرت الابتسامة مرة أخرى على الوجه المجهد، وقال فيرِيير:

"ربما لن تصدقني يا مسيو بوارو، ولكنني كأي شخص آخر، تم خداعي بالكامل. ولم أكن أفهم سلوك زوجتي الغريب بالحذر تجاه والدها. لقد فهمت ذلك الآن، فهي تعرف شخصيته الحقيقية".

توقف قليلًا ثم قال:

"عندما بدأت الحقيقة تتسرب، كنت مرتعبًا ومرتابًا. وأصررنا على أن يسلم حماي العزيز استقالته على خلفية مرضه، وبدأنا العمل على تنظيف هذه الفوضى، إذا جاز التعبير".

همهم السير جورج:

"حظائر أوجياس!".

لمعت عينا بوارو.

وقال فيرييز:

"أخشى أن الأمر سيتطلب منا القيام بمهمة بطولية. وفور أن تنتشر الأخبار، ستموج البلاد بردود الأفعال وستسقط الحكومة، وسيتم إجراء انتخابات عامة، وهذا مرجح إلى حدٍّ كبير. وحينها سيعود إيفرهارد وحزبه إلى السلطة، وأنت تعرف سياسات إيفرهارد".

غمغم السير جورج قائلًا:

"جذوة اشتعال فتنة - جذوة كاملة".

قال فيرييز بجدية:

"إيفرهارد لديه القدرة على النجاح - ولكنه أرعن وشرس وأخرق تمامًا، كما أن مؤيديه حمقى ومترددون، ما سيجعلها دولة ديكتاتورية بالفعل".

أومأ هيركيول بوارو.

وتذمر السير جورج قائلًا:

"لو أنه كان بإمكاننا منع هذا الأمر من الانتشار ...".

هز رئيس الوزراء رأسه ببطء في إحباط.

قال بوارو:

"ألا تعتقد أنه يمكن منعه من الانتشار؟".

قال فيرييز:

"لقد استدعيتك يا مسيو بوارو كأمل أخير. وفي رأيي أن هذه مسألة كبيرة جدًا، فكثيرون يعرفون عنها بحيث يصعب إخفاؤها تمامًا. وأمامنا طريقان فقط؛ إما استخدام القوة أو دفع رشوة - وليس هناك أمل كبير في نجاح أيٍّ من الأمرين. لقد عقد وزير الداخلية مقارنة بين مشكلاتنا وتنظيف حظائر أوجياس. الأمر بحاجة إلى قوة اندفاع موجات نهر... إلى خلل في نواميس الطبيعة - الأمر بحاجة إلى معجزة".

قال بوارو بإيماءة من رأسه: "في الحقيقة، الأمر بحاجة إلى هرقل".

وأضاف: "اسمي هيركيول، كما تذكر...".

قال إدوارد فيرييز:

"هل تستطيع أن تفعل المعجزات يا مسيو بوارو؟".

"هذا هو سبب إرسالك في طلبي، أليس كذلك؟ لأنك تعتقد أن باستطاعتي فعلها".

"هذا حقيقي ... رأيت أنه قد لا يمكننا تحقيق المعجزة إلا بمساعدتك".

وهنا توقف للحظة ثم قال:

"لكن ربما تنظر إلى الأمر من وجهة نظر أخلاقية يا مسيو بوارو. لقد كان جون هاميت محتالًا؛ لذا يجب نسف أسطورة جون هاميت تمامًا. هل يمكن لأحد أن يبني بيتًا من الصدق على أساس من الخداع؟ لا أظن ذلك. ولكن كل ما أعرفه هو أنني أريد المحاولة". وهنا ابتسم بمرارة كبيرة وأردف: "يريد السياسيون أن يبقوا في السلطة، كعادة الأمر".

نهض هيركيول بوارو، وقال:

"سيدي، خبرتي في الشرطة لم تتح لي أن أفكر بتمعن في السياسيين. فلو كان جون هاميت لا يزال في الحكم، لم أكن لأفعل أي شيء في هذا الأمر، ولكنني أعرف عنك أمرًا. لقد أخبرني رجل رائع حقًا، وهو أحد أعظم علماء ومفكري هذا العصر، بأنك رجل وجيه. سأفعل ما بوسعي".

ثم انحنى وغادر الغرفة.

اندفع السير جورج قائلًا:

"يا لها من وقاحة...".

إلا أن إدوارد فيرير قال وهو لا يزال مبتسمًا:

"بل كانت مجاملة".

2

وفي أثناء هبوطه السلالم، أوقفت هيركيول بوارو امرأة طويلة شقراء وقالت:

"أرجو أن تأتي إلى غرفة جلوسي يا مسيو بوارو".

انحنى بوارو وتبعها.

فأغلقت الباب وأشارت له بالجلوس وقدمت له سيجارة، وجلست على الكرسي المقابل له. وقالت بهدوء:

"لقد قابلت زوجي حدثك عن أبي".

نظر إليها بوارو باهتمام. لقد كانت امرأة طويلة، ولا تزال محتفظة بجمالها، ويبدو على وجهها الذكاء والتميز. إن كانت السيدة فيريير شخصية عامة؛ فلأنها زوجة رئيس الوزراء، ويتم تسليط الأضواء عليها بشكل كبير. وكابنة رئيس وزراء سابق، فالأضواء تسلط عليها بشكل أكبر. إن داجمار فيريير ترمز للمرأة الإنجليزية المثالية.

كانت امرأة مخلصة وأمًا عطوفة، وكانت تشارك زوجها حب الحياة الريفية. لقد صبت اهتمامها على هذه الجوانب من الحياة العامة، والتي تعتبر مجالات مناسبة لأنشطة المرأة. وكانت أنيقة المظهر، ولكن ليس بطريقة متباهية. وكانت أيضًا تخصص وقتًا وجهدًا كبيرين للأعمال الخيرية، وافتتحت مشروعات خاصة لصالح زوجات الرجال العاطلين عن العمل. لذا كان ينظر إليها جميع أفراد الشعب باحترام وإجلال، وكانت تمثل أهم ثروة للحزب.

قال هيركيول بوارو:

"لا بد أنكِ غاية في القلق يا سيدتي".

"أنت لا تدرك مدى قلقي. لقد كنت خائفة من شيء ما".

قال بوارو:

"ألم تكن لديكِ أية فكرة عما يدور بالفعل؟".

هزّت رأسها نفيًا وقالت:

"على الإطلاق؛ فكل ما كنت أعرفه أن والدي لم... لم يكن كما يعتقد الجميع. أدركت منذ طفولتي أنه كان مخادعًا".

كان صوتها مختنقًا وبائسًا. وأضافت:

"ولأنه زوجي، سيخسر إدوادر كل شيء".

قال بوارو بصوت هادئ:

"هل لديكِ أي أعداء يا سيدتي؟".

نظرت إليه في دهشة.

"أعداء؟ لا أظن ذلك".

قال بوارو بتمعّن:

"أظن أن لديكِ ...".

وتابع:

"هل تتمتعين بالشجاعة يا سيدتي؟ هناك حملة كبيرة تعمل على قدم وساق ضد زوجك وضدك شخصيًا؛ لذا عليك أن تتأهبي للدفاع عن نفسك".

صاحت:

"ولكن ليس أمري هو المهم. كل ما يهم هو أمر إدوارد!".

قال بوارو: "الأمران متصلان. تذكري يا سيدتي أنكِ زوجة القيصر".

وهنا رآها وقد احتقن لونها، فمالت إلى الأمام وقالت:

"ما الذي تحاول أن تخبرني به؟".

3

كان بيرسي بيري، رئيس تحرير جريدة إكس راي نيوز، يجلس إلى مكتبه ويدخن.

لقد كان رجلًا صغير الحجم وله وجه يشبه حيوان ابن عرس.

كان يقول بصوت لطيف وأسلوب متملق:

"سوف نمنحهم الفضائح. جميل - جميل! يا إلهي!".

قال نائبه، وهو شاب نحيل يرتدي نظارة، بقلق:

"ألا تشعر بالتوتر؟".

"هل تتوقع منهم رد فعل عنيفًا؟ هذه ليست طريقتهم، فليست لديهم الجرأة على ذلك، كما أن العنف لن يفيدهم. وليست الطريقة التي اعتدنا رؤيتها في تسوية الأمور هنا في هذا البلد وفي أوروبا وأمريكا".

فقال الآخر:

"لا بد أنهم في وضع لا يُحسدون عليه. ألن يفعلوا أي شيء؟".

"سيرسلون شخصًا ليتحدث إلينا بشكل...".

رن جهاز كهربائي، فالتقط بيرسي بيري سماعة استقبال وقال: "مَن؟ حسنًا، أرسله إليّ".

أغلق السماعة ثم قال متجهمًا:

"لقد استعانوا بذلك المفتش البلجيكي رفيع المستوى من أجل هذا الأمر. لقد أتى الآن حتى يقوم بمهمته. ويريد أن يعرف إذا ما كنا سننفذ ما يطلبونه".

دخل هيركيول بوارو المكتب، كان متأنقًا ويضع زهرة كاميليا بيضاء في عروة معطفه.

قال بيرسي بيري:

"تسعدني مقابلتك يا مسيو بوارو. تبدو كما لو كنت ذاهبًا إلى حفل أنيق".

قال هيركيول بوارو:

"شكرًا على الإطراء. يأمل المرء أن يبدو بمظهر جيد، بل إنه أمر شديد الأهمية". لقد كانت عيناه تجولان ببراءة في وجه رئيس التحرير وملابسه التي كانت متسخة إلى حدٍّ ما، وأردف قائلًا: "خاصةً عندما لا يتمتع المرء بكثير من المزايا الطبيعية".

قال بيري باقتضاب:

"ما سبب زيارتك لي؟".

مال بوارو إلى الأمام وضغط على ركبة بيري وقال بابتسامة عريضة على وجهه:

"ابتزاز".

"ما الذي تتحدث عنه بحقك، ابتزاز؟".

"لقد سمعت - أو قل أخبرتني العصفورة - بأنه إذا ما نشرت بعض البيانات المسيئة في جريدتك اللطيفة كثيرًا، عندها سوف تكون هناك زيادة مُرضية في حسابك البنكي - وعلى أية حال، لم يتم نشر هذه البيانات حتى الآن".

ثم اعتدل بوارو وأومأ برأسه في رضا.

فقال بيري: "هل تدرك أن ما تقوله افتراء كبير علينا؟".

ابتسم بوارو في ثقة.

"إنني متأكد من أنك لن تعتبرها إهانة".

"بل أعتبرها إهانة! وبالنسبة للابتزاز، فليس هناك أي دليل على أنني قد قمت

بابتزاز أي شخص من قبل".

"لا، لا، إنني متأكد تمامًا من ذلك. لقد أخطأت فهم ما أقصده. ولم أقصد تهديدك، بل كنت أمهد الطريق لأطرح عليك سؤالًا: كم المبلغ؟".

قال بيرسي بيري: "لا أعرف ما الذي تتحدث عنه".

"مسألة ذات أهمية وطنية يا سيد بيري".

تبادلا نظرات معبرة.

وقال بيري:

"إنني رجل إصلاحي يا مسيو بوارو. وأريد أن أطهر السياسة، فأنا ضد الفساد. هل تعرف حالة السياسة في هذا البلد؟ الأمر يشبه حظائر أوجياس، لا أكثر ولا أقل".

قال هيركيول بوارو: "أوه! أنت أيضًا تستخدم هذا التشبيه".

تابع رئيس التحرير: "وكل ما يحتاج إليه الأمر في سبيل تنظيف هذه الحظائر هو وعي كبير بين العامة".

نهض بوارو وقال:

"إنني أُثني على مشاعرك".

وأضاف:

"إنه لأمر مؤسف أنك لست بحاجة إلى المال".

فقال بيرسي على الفور:

"انتظر لحظة، إنني لم أقل ذلك تمامًا ...".

إلا أن بوارو كان قد خرج من الباب.

وكان عذره عن الأحداث اللاحقة أنه لا يحب المبتزين.

4

ربّت إفيريت داشوود، عضو فريق عمل جريدة ذا برانش، بمودة، ظهر هيركيول بوارو.

وقال: "هناك أنواع مختلفة من القذارة يا صديقي. أما أنا فقذارتي نظيفة - هذا كل ما في الأمر".

"لم أعتقد أنك على قدم المساواة مع بيرسي بيري".

"يا له من مبتز! إنه وصمة عار في جبين مهنتنا، ويمكننا أن نتخلص منه إن أردنا".

قال هيركيول بوارو: "يصادف أنني أعمل حاليًا على مسألة تتعلق بالتخلص من فضيحة سياسية".

قال داشوود: "تنظيف حظائر أوجياس، أليس كذلك؟ إنه أمر كبير بالنسبة لك يا صديقي. إن أملك الوحيد هو أن يتغير مجرى نهر التايمز ليزيح مبنى البرلمان من مكانه".

قال هيركيول بوارو وهو يهز رأسه: "إنك رجل متهكم".

"إنني أعرف كيف تسير الأمور في العالم، هذا كل ما في الأمر".

قال بوارو: "أظن أنك الرجل المناسب الذي أبحث عنه، فمعروف عنك أنك متهور وتتمتع بروح رياضية، وتحب الأمور غير المألوفة".

"وما الذي تريده من كل ذلك؟".

"إن لديّ خطة صغيرة أريد تنفيذها. فإذا كانت أفكاري صحيحة، فهناك مكيدة مثيرة يجب كشفها، وهذا سيكون سبقًا صحفيًا لجريدتك يا صديقي".

قال داشوود بابتهاج: "حقًا!".

"سيتعلق الأمر بخطة بذيئة حيكت ضد امرأة".

"ذلك أفضل بكثير. إن الموضوعات التي تتعلق بفضائح أخلاقية تنتشر وتنجح بسهولة".

"إذن فاجلس واستمع إليّ".

5

كان الناس يتحدثون.

في الأسواق والمقاهي والأماكن العامة.

"أنا لا أصدق هذا؛ فجون هاميت كان دومًا رجلًا نزيهًا، ولم يكن واحدًا من هؤلاء السياسيين المحتالين".

"هذا ما يقولونه عن كل المخادعين قبل أن ينكشف أمرهم".

"إنهم يقولون إنه تكسّب آلافًا من الجنيهات من صفقة البترول. يا لها من صفقة مشبوهة".

"فجميعهم ينجرفون في هذه الفضائح. يا لهم من محتالين قذرين، جميعًا".

"لم يكن إيفرهارد ليتورط في مثل هذه الأفاعيل؛ فهو نزيه من الطراز القديم".

"نعم، ولكني لا أصدق أن جون هاميت كان محتالًا. يجب ألا نصدق كل ما تقوله الصحف".

"إن زوجة فيريير كانت ابنته. هل تفهم ما الذي يعنيه هذا الأمر؟".

كانوا يتصفحون نسخة مهترئة من جريدة إكس راي نيوز وكان الخبر يقول:

زوجة القيصر؟ لقد سمعنا أن هناك سيدة رفيعة المستوى في المجال السياسي قد شوهدت في مكان غريب جداً منذ أيام قليلة. لقد شوهدت بصحبة شخص سيئ السمعة. يا لك من امرأة سيئة السلوك يا داجمار!

انطلق صوت بلهجة قروية يقول بهدوء:

"السيدة فيريير ليست من هذا النوع من النساء. رفيق سيئ السمعة؟ إنه حديث سخيف".

فقال صوت آخر:

"لا يمكنك أن تتوقع ما قد تفعله النساء. برأيي أن جميعهن خائنات".

6

كان الناس يتبادلون الحديث:

"ولكنني أظن أن هذه الأخبار حقيقية تمامًا يا عزيزتي. نايومي. إنني سمعت ذلك من بول وهو سمعها بدوره من آندي. إنها سيئة الخلق تمامًا".

"ولكنها كثيراً ما كانت ترتدي ملابس محتشمة وكانت قويمة وتفتتح الأسواق

الخيرية".

"لكن كل ذلك مجرد تمويه يا عزيزتي؛ فالناس يقولون إن لها فضائح أخلاقية. أعني أن كل ذلك مذكور في جريدة إكس راي نيوز، بالطبع ليس مذكوراً بصورة مباشرة، ولكن يمكن قراءته من بين السطور. إنني لا أعرف كيف استطاعوا الحصول على تلك الأخبار".

"ما رأيك في كل ما يثار عن فضيحة سياسية؟ يقولون إن أباها اختلس أموال الحزب".

7

وفي تبادل آخر للحديث:

"لا أحب أن أفكر في ذلك، وهذه هي الحقيقة. أقصد أنني كثيراً ما ظننت أن السيدة فيريير امرأة لطيفة حقّا".

"هل تظن أن هذه الأمور المريعة التي تقال حقيقية؟".

"كما قلت، لا أحب أن أفكر فيها بهذا الشكل؛ فلقد افتتحت سوقًا خيرية في مدينة بلشيستر في شهر يونيو الماضي، وكنت قريباً منها كما أنا قريب من هذه الأريكة، وكانت على وجهها ابتسامة رائعة".

"نعم، ولكني أقول إنه لا دخان بغير نار".

"حسنًا، بالطبع هذا صحيح. ولكن معنى هذا أنكِ لا تثقين بأي شخص!".

8

وبوجه شاحب يبدو عليه التوتر، قال إدوارد فيريير لـ بوارو:

"هذا الهجوم على زوجتي! إنهم سفهاء - سفهاء تماماً! سأقيم دعوى قضائية ضد هذه الجريدة الحقيرة".

قال هيركيول بوارو:" لا أنصحك بفعل ذلك".

"ولكن هذه الأكاذيب لا بد أن تتوقف".

"هل أنت متأكد أنها أكاذيب؟".

"تبًا لك، نعم!".

قال بوارو، مائلًا برأسه على أحد الجانبين:

"ماذا تقول زوجتك بهذا الصدد؟".

بدا أن فيرييز متفاجئ للحظة.

ثم قال:"تقول إن أفضل ما يمكن فعله هو التجاهل ... ولكن لا يمكنني ذلك - فالجميع يتحدثون".

قال هيركيول بوارو: "نعم، الجميع يتحدثون".

9

ثم انتشر الخبر القصير المقتضب في كل الصحف.

أصيبت السيدة فيرييز بانهيار عصبي طفيف. وقد توجهت إلى إسكتلندا للعلاج.

لذا انتشرت تخمينات وشائعات ومعلومات مؤكدة عن عدم وجود السيدة فيرييز في إسكتلندا، وأنها لم تذهب قط إلى هناك.

كما انتشرت أحاديث وفضائح حول مكان وجود السيدة فيرييز بالفعل ...

كما تبادل الناس الأحاديث حول هذا الأمر مرة أخرى.

"قلت لك إن آندي رآها في هذا المكان المريب! كانت ثملة وبصحبة رجل أرجنتيني مريع - رامون. إنك تعرفه!".

وانتشر المزيد من الأحاديث.

السيدة فيرييز تهرب مع فنان الاستعراض الأرجنتيني. لقد كانت في باريس في حالة عدم اتزان واضحة. إنها تتعاطى المخدرات منذ سنوات، وتتناول الكثير من المشروبات الكحولية.

وبالتدريج، بدأ العقل الراجح للشعب الإنجليزي، بعد أن كان لا يصدق الأمر، يقسو

ويوجه الاتهامات ضد السيدة فيريير. فيبدو أن هناك سرًا وراء هذه الفضائح! إنها ليست المرأة المناسبة لتكون زوجة رئيس الوزراء... "امرأة بلا أخلاق. هذا هو ما في الأمر، إنها امرأة بلا أخلاق!".

ثم انتشرت الصور.

إنها صور ملتقطة للسيدة فيريير في باريس، تتهادى في ملهى ليلي وتضع ذراعها بتودد على كتف شاب أسمر ذي مظهر خبيث.

وهناك صور أخرى تظهرها غير محتشمة على الشاطئ ورأسها على كتف هذا الشاب زير النساء.

وقد كُتب أسفل الصورة:

"السيدة فيريير تقضي وقتًا ممتعًا ...".

وبعد يومين تم رفع دعوى تشهير ضد جريدة إكس راي نيوز.

10

كان مَن ينظر في الدعوى القضائية السير مورتايمر إنجلوود كيه. سي، وكان قاضيًا وقورًا يغضب للحق. وكانت السيدة فيريير ضحية لمؤامرة مشينة... فضيحة لا يوازيها سوى القضية الشهيرة المتعلقة بقلادة الملكة المعروفة بين قراء الأديب الشهير ألكساندر دوما. وتلك المؤامرة التي حيكت للحط من قدر الملكة ماري أنطوانيت في أعين الشعب، والمؤامرة نفسها أيضًا حيكت لتشويه سمعة امرأة نبيلة وعفيفة كان هذا الشعب يعتبرها في منزلة زوجة قيصر. لقد تحدث السيد مورتايمر باحتقار لاذع عن الفاشستيين والشيوعيين ممن يسعون لتقويض الديمقراطية بكل طريقة خسيسة ممكنة. وبعد ذلك بدأ في استدعاء الشهود.

الأول كان رجل دين من منطقة نورثمبريا.

الدكتور هاندرسون، وهو رجل دين مسئول عن منطقة نورثمبريا، وكان أحد الشخصيات الشهيرة في نشر التعاليم الروحية في إنجلترا، ومشهودًا له بالاستقامة والنزاهة. وكان داعية واسع الأفق ورفيع المستوى، كما كان يتمتع بحب واحترام كل من يعرفه.

لقد صعد إلى منصة الشهود وأقسم أنه خلال التواريخ التي تم ذكرها، كانت السيدة

فيريير تبقى معه هو وزوجته. ولأنها كانت منهكة من أنشطتها في الأعمال الخيرية، نصحها الطبيب بأن تأخذ فترة راحة طويلة. وقد بقيت زيارتها لمنزله طي الكتمان لتتجنب أي إزعاج من الصحافة.

وقد دخل طبيب بارز للشهادة بعد أن انتهى رجل الدين وأفاد بأنه قد أعطى السيدة فيريير تعليمات بأن تأخذ راحة وتبتعد تماماً عن القلق.

وأدلى طبيب عام بشهادته التي مفادها أنه قد ذهب إلى السيدة فيريير في قصر زوجها.

الشاهدة التالية كانت تُدعى ثيلما أندرسن.

ساد الحماس في قاعة المحكمة عندما صعدت الشاهدة إلى منصة الشهود. وقد أدرك الجميع على الفور التشابه الكبير بين هذه السيدة والسيدة إدوراد فيريير.

"اسمك ثيلما أندرسن؟".

"نعم".

"أنت مواطنة دنماركية؟".

"نعم، وأعيش في كوبنهاجن".

"وكنتِ تعملين في السابق في مقهى هناك؟".

"نعم يا سيدي".

"أرجو أن تخبرينا بأسلوبك بما حدث في الثامن عشر من مارس الماضي".

"كان هناك رجل محترم جاء إلى المقهى الذي أعمل به - كان رجلًا إنجليزيًا. أخبرني بأنه يعمل في جريدة إنجليزية اسمها إكس راي نيوز".

"هل أنتِ متأكدة من أنه ذكر هذا الاسم - إكس راي نيوز؟".

"نعم، متأكدة، فلقد ظننت في البداية، كما هو واضح من اسمها، أنها مجلة طبية، ولكن يبدو أنها ليست كذلك. ثم أخبرني بأن هناك ممثلة إنجليزية تبحث عن "بديلة" لها وأنني المناسبة لهذا الدور. ولم أتأمل كثيراً في الصور ولم أتعرف على الاسم الذي قاله، ولكنه قال لي إنها شهيرة جداً وإن صحتها ليست على ما يرام؛ ولذلك فهي تريد امرأة تظهر بدلًا منها في الأماكن العامة، ومقابل ذلك ستدفع لي الكثير من الأموال".

"كم المبلغ الذي عرضه عليك ذلك الرجل؟".

"خمسة آلاف جنيه إنجليزي. إنني لم أصدق في البداية، وظننت أنها خدعة، إلا أنه دفع لي نصف المبلغ في الحال؛ لذلك استقلت من عملي".

واستمرت القصة؛ فلقد أخذوها إلى باريس ومعها ملابس أنيقة وتم تخصيص "مرافق" لها، قالت عنه إنه: "رجل أرجنتيني لطيف جداً، كان محترماً ومهذباً جداً".

كان من الواضح أن تلك السيدة قد استمتعت بوقتها كثيراً. وقالت إنها قد سافرت بالطائرة إلى لندن، واصطحبوها إلى "ملاهٍ ليلية" محددة مع مرافقها ذي البشرة الزيتونية، وأنه تم التقاط صور لها معه في باريس. وقد أقرت بأن بعض الأماكن التي ذهبت إليها لم تكن أماكن لطيفة ... في الواقع، لم تكن أماكن محترمة! كما أن بعض الصور التي تم التقاطها لهما معاً لم تكن لطيفة إلى حدٍّ كبير. ولكنهم أخبروها بأن كل هذا ضروري من أجل "الدعاية"، وأن السنيور رامون نفسه كان غاية في الاحترام.

رداً على الأسئلة التي تم توجيهها إليها في أثناء الإدلاء بالشهادة، أفادت بأنه لم يتم ذكر اسم السيدة فيرير على الإطلاق، وإنه لم تكن لديها أدنى فكرة أنها هي تلك السيدة التي من المفترض أنها بديلة لها، كما أنها لم تكن تقصد التسبب في أي أذى. وتعرّفت على بعض الصور التي تم عرضها عليها واعترفت بأنها قد التُقطت لها في باريس وعلى نهر الريفيرا.

لقد كان هناك دليل دامغ على صدق ثيلما أندرسن تماماً. فقد كانت امرأة حسناء إلى حدٍّ كبير، ولكنها ساذجة بعض الشيء. وكان جلياً للجميع مدى انزعاجها فور أن أدركتْ الأمر برمته.

إن الدفاع كان غير مقنع: فقد أنكروا وجود أي تعامل لهم مع السيدة أندرسن، وقالوا إن الصور قيد التحقيق قد تم إرسالها إلى مكتب لندن واعتقدوا أنها صور حقيقية. كما أن الخطاب الختامي الذي ألقاه السيد مورتايمر أشعل الحماسة، حيث وصف الأمر كله بأنه مؤامرة سياسية وضيعة قد حيكت لتشويه سمعة رئيس الوزراء وزوجته. وقدم مواساته للسيدة فيرير الضحية.

تم النطق بالحكم، الحتمي، وسط مشهد لا مثيل له. حيث أصدر القاضي حكماً بمبلغ تعويض ضخم مقابل الأضرار. وبينما كانت السيدة فيرير تغادر قاعة المحكمة مع زوجها وأبيها، كانت الجماهير تهتف لهم بصيحات الإعجاب.

11

أمسك إدوارد فيرير بيد بوارو في حرارة، وقال:

"أشكرك يا مسيو بوارو آلاف المرات. لقد انتهى أمر أخبار إكس راي، تلك الجريدة القذرة. لقد تم التخلص منهم نهائياً. لقد لقوا ما يستحقونه جراء المؤامرة

الدنيئة التي حاكوها. إنهم تجرؤوا على أن يحيكوا مؤامرة ضد زوجتي داجمار، المخلوق الأكثر عطفاً في العالم. وحمداً لله أنك تمكنت من كشف مدى دناءة الخطة كلها ... ما الذي جعلك تفكر في أنهم قد استخدموا سيدة بديلة؟".

قال بوارو مذكّراً إياه: "إنها ليست بالفكرة الجديدة. لقد تم استخدامها بنجاح في قضية جين دي لاموتَ، عندما انتحلت شخصية ماري أنطوانيت".

"أعلم. لا بد أن أعيد قراءة قضية قلادة الملكة. ولكن كيف عثرت على السيدة التي استعانوا بها؟".

"بحثت عنها في الدنمارك وعثرت عليها هناك".

"ولماذا الدنمارك تحديداً؟".

"لأن جدة السيدة فيرييه كانت دنماركية، كما أن السيدة فيرييه شخصيًا ذات طابع دنماركي ملحوظ. وتوجد أسباب أخرى".

"التشابه بينهما مدهش جداً. يا لها من فكرة شريرة! كيف لهذا الوضيع أن يفكر في مثل تلك الفكرة؟".

ابتسم بوارو وقال:

"ولكنه لم يفكر فيها".

ثم ضرب على صدره وقال:

"أنا من فكرت فيها".

فحدّق إليه إدوارد فيرييه بشدة.

وقال: "لا أفهم. ماذا تقصد؟".

أجابه بوارو:

"يجب أن نعود إلى قصة أقدم من قصة قلادة الملكة - إلى تنظيف حظائر أوجياس. لقد استخدم هرقل نهراً، وهو أحد أعظم قوى الطبيعة. فيما يتعلق بالأسلوب العصري، ما الذي يعد قوة هائلة؟ الفضائح الأخلاقية، أليس كذلك؟ الفضائح الأخلاقية هي التي تنجح في ترويج القصص وتصنع الأخبار. فقد قدم للناس فضيحة تتعلق بالأخلاق وستجذبهم أكثر من أية فضيحة سياسية".

وتابع: وكانت تلك هي مهمتي! أولًا، أن أضع يدي في الوحل كما فعل هرقل حتى يبني سداً لتغيير مسار النهر. لقد ساعدني صديق صحفي؛ بحث في الدنمارك حتى وجد امرأة مناسبة لانتحال الشخصية، ووصل إليها وذكر لها في معرض حديثه اسم جريدة إكس راي نيوز متمنيًا أن تتذكره، وها قد ذَكَرته".

واستكمل بوارو حديثه قائلًا: "وما الذي حدث بعد ذلك؟ وحل - كمية كبيرة من الوحل! تلوثت زوجة القيصر بكمية كبيرة من الوحل، وهو ما كان أمراً مثيراً لاهتمام الجميع أكثر من أية فضيحة سياسية. والنتيجة - حل العقدة؟ والسبب، رد الفعل! أصدر القانون حكماً بالبراءة! وتمت تبرئة ساحة السيدة الطاهرة! فيجتاح حظائر أوجياس تيار هائل من الحب والعواطف".

وقال في النهاية: "والآن، إذا نشرت جميع الصحف في البلاد أخباراً عن تورط جون هاميت في قضايا اختلاس، فلن يصدقها أحد، وسوف يتم اعتبارها مؤامرة سياسية أخرى لتشويه الحكومة".

أخذ إدوارد فيرييز نفساً عميقاً، وكان هيركيول بوارو على وشك التعرض لهجوم جسدي أكثر من أي وقت مضى في تاريخه المهني.

صاح فيرييز:"زوجتي! لقد تجرأت على استغلالها...".

ربما كان من حسن الحظ أن السيدة فيرييز شخصياً دخلت إلى الغرفة في تلك اللحظة.

قالت: "حسناً، لقد سار الأمر على أفضل ما يرام".

"هل كنتِ تعرفين كل ما كان يحدث يا داجمار؟".

قالت داجمار فيرييز: "بالطبع يا عزيزي".

ثم ابتسمت ابتسامة زوجة عطوف لطيفة مخلصة.

فقال فيرييز:"ولم تخبريني طوال الوقت!".

"لم تكن لتسمح للمسيو بوارو بأن يفعل هذا".

"بالطبع لم أكن لأسمح له!".

فابتسمت داجمار وقالت:

"هذا ما فكرنا فيه".

"فكرنا؟".

"أنا والمسيو بوارو".

وهنا ابتسمت لـ بوارو ولزوجها.

ثم أضافت:

"لقد استمتعت بفترة مريحة في منزل رجل الدين العزيز- أشعر بأنني مليئة بالحيوية الآن. إنهم يريدونني أن أذهب لتدشين السفينة الحربية الجديدة في مدينة

ليفربول الشهر القادم، وأظن أنه سيكون حدثًا شعبيًا يجب أن أحضره".

الفصل السادس

طيور ستيمفاليان

1

إن هارولد وارنج لاحظهما أول مرة قادمتين من الممر المؤدي إلى البحيرة؛ فقد كان جالسًا في الشرفة خارج الفندق. وكان يومًا جميلاً، وقد سقطت أشعة الشمس المشرقة على البحيرة الزرقاء فزادتها لمعانًا. كان هارولد يدخن غليونًا وهو يشعر بأن العالم من حوله مكان جميل.

كانت مسيرته السياسية مشرفة؛ فعمله كوكيل وزارة في سن الثلاثين كان مدعاة للفخر وقد أشيع أن رئيس الوزراء قال لشخص ما إن "وارنج الصغير سوف ينجح نجاحًا عظيمًا". لقد كان هارولد متكلفًا ومبتهجًا. وتتراءى له الحياة باللون الوردي. كان شابًا، وعلى قدر وافر من الوسامة، وفي حالة ممتازة، غير مقيد بالروابط العاطفية.

قرر أن يقضي إجازة في تشيكوسلوفاكيا لكي يبتعد عن صخب الحياة ويستريح من كل شخص وكل شيء. إن الفندق كان يطل على بحيرة ستمبكا، وهو فندق صغير، ولكنه مريح وغير مزدحم. وكان أغلب النزلاء أجانب، أما الإنجليز منهم فكان من بينهم امرأة مسنة، وهي السيدة رايز، وابنتها المتزوجة، السيدة كلايتون. وقد أعجب بهما هارولد. وكانت السيدة كلايتون امرأة جميلة ترتدي ملابس ذات طراز قديم، وتضع القليل من مساحيق التجميل، وكانت لطيفة وخجولة. أما السيدة رايز فكانت من السيدات اللاتي يطلق عليهن امرأة على خلق. فقد كانت طويلة، ولها صوت عميق، وأسلوب بارع، وكانت تتمتع بروح الدعابة وأيضًا كانت رفيقة لطيفة. وقد بدا واضحًا أن حياتها مرتبطة بابنتها.

قضى هارولد بعض الساعات الممتعة بصحبة الأم وابنتها، ولكنهما لم تحاولا أن تحتكراه، وظلت العلاقات ودودة وغير متطلبة بينهما.

أما الآخرون من نزلاء الفندق فلم يلفتوا انتباه هارولد. فمعظمهم كانوا متنزهين، أو أفراداً في رحلة، يقضون ليلة أو اثنتين ثم يرحلون. ولم يكد يلاحظ أي شخص - حتى عصر هذا اليوم.

إنهما قادمتان من الممر المؤدي إلى البحيرة ببطء شديد، وفي اللحظة التي انتبه لهما هارولد، غطت سحابة على الشمس. فارتجف قليلاً.

ثم أمعن النظر إليهما. من المؤكد أن هناك شيئًا غريبًا في هاتين السيدتين! كان لهما أنفان طويلان منحنيان مثل الطيور، ولهما وجه غريب على حد سواء، وجه جامد. وكانتا ترتديان عباءتين فضفاضتين ترفرفان في الريح مثل أجنحة طائرين كبيرين.

قال هارولد في نفسه:

"إنهما يشبهان الطيور..."، وأضاف بعفوية: "طيور لا تنذر بخير".

وصعدت المرأتان مباشرة إلى الشرفة ومرتا بجواره. ولم تكونا شابتين - ربما يقترب عمرهما من الخمسين أكثر من الأربعين، والتشابه بينهما متقارب جداً بشكل يشير إلى أنهما شقيقتان. وكانت تعبيرات وجهيهما منفرة. وبينما كانتا تمران بجوار هارولد، استقرت أعينهما عليه لدقيقة. وفي نظرة فضول وتقييم... تقريبًا كانت نظرة غير آدمية.

أصبح انطباع هارولد بالشر المحيط بهما أقوى. وقد لاحظ يد إحدى الأختين، وكانت يد طويلة المخالب ... بالرغم من أن الشمس لاحت، فقد ارتعد مرة أخرى. وقال في نفسه:

"مخلوقات مرعبة، مثل الطيور الجارحة ...".

خرج من هذه التخيلات على أثر استدعاء السيدة رايز من داخل الفندق؛ فهب على قدميه واقترب من مقعد. فجلست وهي تنطق بكلمة شكر، وكالعادة، بدأت تشتغل بالتريكو في نشاط.

سأل هارولد:

"هل رأيتِ المرأتين اللتين دخلتا الفندق؟".

"اللتان ترتديان عباءتين؟ أجل، مررت بجوارهما".

"إنهما مخلوقتان غريبتان، ألا ترين ذلك؟".

"حسنًا، ربما تكونان غريبتين بعض الشيء. أعتقد أنهما وصلتا بالأمس فقط. متشابهتان بدرجة كبيرة - لا بد أنهما توأمتان".

قال هارولد:

"ربما أكون متوهمًا، ولكنني أحسست بأن هناك شيئًا شريراً بشأنهما".

"أشعر بالفضول. يجب أن أنظر إليهما عن قرب حتى أتبين إن كنت أتفق معك".

وأضافت: "سأعرف من الحارس مَن تكونان. هل هما إنجليزيتان؟".

"أوه، كلا".

نظرت السيدة رايز في ساعة يدها، وقالت:

"هذا وقت تناول الشاي. هل تمانع يا سيد وارنج أن تدخل وترن الجرس؟".

"بالطبع لا أمانع يا سيدتي".

رن الجرس، ثم عاد إلى مقعده. وسأل:

"أين ذهبت ابنتك بعد الظهيرة؟".

"إلسي؟ ذهبنا معًا للتنزه سيراً على الأقدام؛ حيث تجولنا حول البحيرة ثم مشينا من داخل الغابة في طريق العودة. وكانت نزهة لطيفة حقًا".

بعد ذلك حضر النادل وتلقى طلبات الشاي، ثم استكملت السيدة رايز حديثها، وإبرتا التريكو تتحركان بين يديها في نشاط:

"لقد استقبلت إلسي رسالة من زوجها. ربما لن تهبط لتناول الشاي".

قال هارولد متفاجئًا: "زوجها؟ هل تعلمين أنني طوال الوقت كنت أظنها أرملة".

رمقته السيدة رايز بنظرة حادة، وقالت بطريقة جافة:

"أوه كلا، إلسي ليست أرملة"، وأضافت بنبرة تشديد: "لسوء الحظ!".

اندهش هارولد.

وأومأت السيدة رايز بصرامة، وقالت:

"إن تناول الكحوليات مسئول بنسبة كبيرة عن التعاسة يا سيد وارنج".

"وهل يتناول زوجها الكحوليات؟".

"أجل. ولديه صفات أخرى سيئة؛ فهو غيور بجنون ولديه طبع عنيف". ثم تنهدت واستطردت تقول: "نحن نعيش في عالم صعب يا سيد وارنج. إني أكرس حياتي لـ إلسي، فهي ابنتي الوحيدة - وليس من السهل تحمل رؤيتها تعيسة".

قال هارولد بإحساس صادق:

"إنها مجرد مخلوقة رقيقة".

"ربما تكون رقيقة أكثر من اللازم".

"أتعنين...".

قالت السيدة رايز ببطء:

"المخلوقة السعيدة تظهر قدراً من التكبر، وأعتقد أن رقة إلسي تأتي من الإحساس بالقهر والانكسار. لقد قست الحياة عليها كثيراً".

قال هارولد متردداً نسبيًا:

"كيف أقدمت على الزواج به؟".

أجابت السيدة رايز:

"كان فيليب كلايتون شخصًا جذابًا جدًا. وما زال يتمتع بسحر كبير، ولديه ثروة من المال - ولم يخبرنا أحد بصفاته الحقيقية؛ فقد عشت أرملة لعدة سنوات. امرأتان تعيشان وحدهما، لا يمكن أن يكون حكمهما صائبًا على طباع رجل".

قال هارولد متدبرًا:

"أجل، هذا صحيح".

لذا شعر بموجة من السخط والأسى تجتاحه. فلا يمكن أن يزيد عمر إلسي كلايتون على خمسة وعشرين عاماً. لذا استعاد في ذهنه عينيها الودودتين، والكلمات اللطيفة التي تنطق بها. ثم أدرك فجأة أن اهتمامه بها تخطى حدود الصداقة.

وهي مرتبطة بشخص وضيع ...

2

في تلك الليلة انضم هارولد إلى الأم وابنتها بعد العشاء. كانت إلسي كلايتون ترتدي فستانًا ورديًا باهتًا، وقد لاحظ هارولد أن مقلتيها حمراوان، فقد كانت تبكي.

قالت السيدة رايز بخفة:

"لقد اكتشفت من هما سيدتاك المشاكستان يا سيد وارنج. إنهما سيدتان بولنديتان - من عائلة كريمة، على حد قول الحارس".

نظر هارولد في الغرفة حيث تجلس السيدتان البولنديتان. وقالت إلسي باهتمام:

"هاتان السيدتان؟ ذواتا الشعر المصبوغ بالحناء؟ تبدوان مخيفتين بعض الشيء - لا أعرف لماذا!".

قال هارولد بانتصار:

"هذا ما رأيته بالضبط".

قالت السيدة رايز وهي تضحك:

"أعتقد أنكما سخيفان. فلا يمكن أن تدركا طبيعة الأشخاص بمجرد النظر إليهم".

عندئذ ضحكت إلسي.

وقالت:

"أفترض أن المرء لا يمكنه ذلك. وعلى أية حال، أعتقد أنهما من الطيور الجارحة!".

قال هارولد: "التي تلتقط أعين الأموات!".

صاحت إلسي: "أوه، توقف".

قال هارولد بسرعة:

"آسف".

قالت السيدة رايز بابتسامة:

"على أية حال، هما لن يلتقيا بنا".

قالت إلسي:

"ليس لدينا أية أسرار أثيمة!".

قالت السيدة رايز وهي تغمز بعينها: "ربما السيد وارنج لديه".

ضحك هارولد وهو يلقي برأسه للخلف.

وقال:

"ليس لديّ سرًا في هذا العالم، فحياتي كتاب مفتوح".

وقال في عقله:

"يا لهم من حمقى مَن يحيدون عن الطريق المستقيم. الضمير الصافي - هو كل ما يحتاج إليه المرء في الحياة. بهذا الضمير يمكنك أن تواجه العالم وتقول لكل من يعترضك: اذهب للجحيم!".

لذا شعر فجأة بأنه نشيط جدًا - قوي جدًا - متحكم جدًا في مصيره!

3

كان هارولد وارنج، مثل كثير من الإنجليز، غير ملم باللغات. فلغته الفرنسية كانت متلعثمة وقطعًا تتميز بلكنة إنجليزية. أما بالنسبة للغات الألمانية والإيطالية، فهو لا يعرف شيئًا عنها.

حتى الآن، هذه الإعاقة اللغوية تقلقه. ففي أغلب فنادق القارة، كان يجد، الجميع يتحدثون الإنجليزية. إذن لماذا يقلق؟

لكن في هذه البقعة النائية، حيث اللغة الأم هي إحدى لهجات اللغة السلوفاكية، وحتى بواب الفندق كان يتحدث الألمانية، فقد كان مزعجًا بعض الشيء لـ هارولد عندما عملت واحدة من السيدتين صديقتيه كمترجمة فورية له. أما السيدة رايز التي كانت مولعة باللغات، وكانت تتحدث السلوفاكية بقدر بسيط.

إن هارولد عزم على أن يتعلم الألمانية. وقرر أن يشتري بعض الكتب ويقضي ساعتين كل صباح في تعلم اللغة.

كان الصباح رائعًا، وبعد كتابة بعض الخطابات، نظر هارولد في ساعته ورأى أنه ما زالت هناك ساعة للتمشية قبل الغداء. مشى بجوار البحيرة واستدار ليدخل الغابة. وكان قد مشى فيها ما يقرب من خمس دقائق عندما سمع صوتًا واضحًا. لقد كانت هناك امرأة تبكي بحرقة في مكان ما ليس ببعيد.

توقف هارولد لدقيقة، ثم ذهب باتجاه الصوت. كانت المرأة هي إلسي كلايتون، وكانت جالسة فوق شجرة مكسورة وكانت تغطي وجهها بيديها وكتفاها ترتعشان من شدة حزنها.

تردد هارولد دقيقة، ثم اقترب منها وقال برفق:

"السيدة كلايتون - إلسي؟".

ارتجفت بعنف ورفعت عينيها إليه، فجلس هارولد بجوارها.

قال بتعاطف حقيقي:

"هل هناك شيء يمكنني عمله؟ أي شيء؟".

هزت رأسها وقالت:

"كلا - كلا- أنت لطيف جداً. ليس بمقدور أي أحد أن يفعل شيئاً من أجلي".

قال هارولد على استحياء:

"هل يتعلق الأمر بـ... بزوجك؟".

أومأت برأسها، ثم جففت دموعها وأخرجت علبة البودرة، محاولة التحكم في نفسها. وقالت بصوت مرتعش:

"لا أريد أن أقلق أمي، فهي تحزن كثيراً حينما تراني تعيسة. لذا جئت إلى هنا لكي أبكي بحرارة. أعرف أنه أمر سخيف؛ فالبكاء لا يفيد، لكن - أحياناً - يشعر المرء بأن الحياة لا تحتمل".

قال هارولد:

"أنا آسف جداً".

رمقته بنظرة امتنان، ثم قالت بسرعة:

"مؤكد هذا خطئي. لقد تزوجت فيليب بمحض إرادتي. ولكن الأمر انتهى على نحو سيئ، لا ألوم غير نفسي".

قال هارولد:

"شجاعة كبيرة منك أن ترى الأمر على هذا النحو".

هزت إلسي رأسها، وقالت:

"كلا، أنا لست شجاعة... لست شجاعة على الإطلاق. إنني جبانة جداً. وهذا جزء من مشكلتي مع فيليب. إنني أخاف منه - أخاف كثيراً - عندما يغضب".

قال هارولد بتعاطف:

"يجب أن تنفصلي عنه!".

"لا أجرؤ. فهو... فهو لن يدعني".

"هراء! وماذا عن الطلاق؟".

هزت رأسها ببطء.

وقالت: "ليست لديّ أسباب مقنعة". عدلت كتفيها وأضافت: "كلا، يجب أن أكمل زواجي. تعرف أنني أقضي وقتاً كبيراً مع والدتي. إن فيليب لا يمانع في هذا. خاصة عندما نذهب إلى مكان منعزل مثل هذا". فاحمرت وجنتاها، وقالت: "تعرف، إن جزءاً من المشكلة هو أن فيليب يغار بجنون. ولو أني تحدثت إلى رجل آخر، يثور في نوبة غضب عارمة".

ازداد هارولد غضباً. وكان قد سمع شكاوى كثيرة لسيدات من أزواجهن، وبينما كان يظهر تعاطفه مع المرأة، يكون لديه رأي غير معلن بأن الزوج بريء تماماً. لكن إلسي كلايتون لم تكن واحدة من أولئك السيدات، فهي لم ترمقه قط بنظرة في غير محلها.

ثم ابتعدت إلسي عنه وهي ترتجف قليلًا، ونظرت لأعلى في السماء.

وقالت:"غابت الشمس، والجو بارد جداً. يستحسن أن نعود إلى الفندق. لا شك أن وقت الغداء قد حان".

نهضا واستدارا في اتجاه الفندق. كانا قد مشيا ربما لدقيقة عندما لمحا جسماً يمشي في الاتجاه نفسه. تعرفا عليها من العباءة الفضفاضة التي ترتديها. إنها إحدى السيدتين البولنديتين.

ومرا بجوارها، وأحنى هارولد رأسه قليلاً. لكن المرأة لم تجب التحية ولكن عينيها استقرتا عليهما لدقيقة وكانت نظرة ثابتة فاحصة جعلت هارولد يشعر بالحر فجأة، ثم تساءل إن كانت المرأة شاهدته وهو يجلس بجوار إلسي فوق جذع الشجرة. لو حدث هذا، ربما فكرت ...

حسناً، إنها تبدو كما لو أنها ظنت ... اجتاحته موجة غضب! يا لها من عقول حمقى تلك التي تمتلكها النساء!

والغريب أن الشمس قد غابت، وكان من المفترض أن يرتجفا من البرد - ولكنهما شعرا بهذه القشعريرة فقط في اللحظة التي كانت تشاهدهما فيها المرأة...

وبشكل ما، شعر هارولد بعدم الراحة.

4

في تلك الليلة، دخل هارولد غرفته بعد العاشرة بقليل. بعد ذلك وصلت الخادمة الإنجليزية وسلمته عدداً من الرسائل، بعضها يحتاج إلى رد فوري.

ثم ارتدى بيجامته وفوقها الروب وجلس فوق المقعد لكي يفحص المراسلات. وكتب ثلاث رسائل وكان على وشك أن يبدأ في الرسالة الرابعة عندما فتح الباب فجأة واندفعت إلسي كلايتون إلى داخل الغرفة.

قفز هارولد من مكانه ووقف محدقًا. فأغلقت إلسي الباب خلفها ووقفت تتشبث

بخزانة الملابس. لقد كانت تلهث، وكان وجهها باهتًا بلون الطباشير الأبيض. وبدت خائفة حتى الموت.

لهثت قائلة: "إنه زوجي! لقد وصل فجأة. أعتقد أنه سوف يقتلني. إنه مجنون... مجنون تمامًا؛ لذا لجأت إليك، فلا تدعه يجدني".

عند ذلك تقدمت خطوة أو اثنتين، وكانت تترنح حتى إنها سقطت تقريبًا. فوضع هارولد يده لكي يسندها.

وما إن فعل ذلك، حتى انفتح الباب فجأة وكان هناك رجل عند عتبته. لقد كان رجلًا متوسط الطول، بحاجبين سميكين، وشعر أسود أملس. وكان في يده مفتاح إنجليزي ثقيل. ارتفع صوته وارتجف من الغضب. حتى إنه لم ينطق الكلمات بل صرخ بها.

"إذن فقد كانت المرأة البولندية على حق! أنتِ على علاقة بهذا الرجل!".

صاحت إلسي:

"كلا، لا يا فيليب، هذا غير صحيح. إنك مخطئ".

دفع هارولد الفتاة خلفه سريعًا؛ حيث تقدم فيليب نحوهما، وصاح قائلًا:

"هل أنا مخطئ؟ كيف وقد وجدكِ هنا في غرفته؟ أنتِ شيطانة، سوف أقتلك بسبب فعلتك هذه".

بحركة جانبية سريعة تفادى ذراع هارولد. ثم جرت إلسي وهي تصرخ إلى الناحية الأخرى من هارولد، الذي كان يقفز لكي يصد الآخر عنها.

لكن فيليب كلايتون كانت لديه فكرة واحدة، أن يصل إلى زوجته، فانحرف مرة أخرى، وهرولت إلسي من الغرفة مذعورة. اندفع فيليب كلايتون وراءها، وكذلك تبعه هارولد، دون لحظة تردد.

عندئذٍ اندفعت إلسي عائدة إلى غرفتها في نهاية الردهة. فاستطاع هارولد سماع صوت المفتاح يدور في المزلاج، ولكنه لم يدر في الوقت المناسب. فقبل أن يغلق المزلاج، دفع فيليب كلايتون الباب بقوة واختفى بداخل الغرفة، وسمع هارولد صرخة إلسي المرتعبة. وخلال دقيقة أخرى، اندفع هارولد خلفهما.

كانت إلسي واقفة بين عمودين في مواجهة ستائر النافذة. وفي لحظة دخول هارولد، اندفع فيليب وهو يحاول تهديدها بالمفتاح الإنجليزي. أطلقت صرخة مدوية، ثم انتزعت ثقالة ورق من فوق المكتب الذي بجوارها، وقذفتها نحوه.

فسقط كلايتون مثل الكلب, وصرخت إلسي، وتسمر هارولد مكانه عند الباب. فخرت الفتاة على ركبتيها بجوار زوجها الملقى على الأرض.

في الردهة بالخارج، كان هناك صوت مزلاج أحد الأبواب وهو يُفتح. قفزت إلسي وجرت نحو هارولد.

كان صوتها لاهثًا وهي تقول: "من فضلك... من فضلك - عد إلى غرفتك. إنهم قادمون - سيجدونك هنا".

أومأ هارولد، وقد فهم الموقف بسرعة البرق. ففي الوقت الحاضر، كان فيليب كلايتون عاجزًا. ولكن صرخة إلسي ربما قد سُمعت. لو وجد في غرفتها لتسبب في حرج وسوء فهم. ومن أجل خاطرها ومن أجل مصلحته، يجب ألا تحدث فضيحة.

بدون أية ضوضاء، عبر الردهة وذهب إلى غرفته. وبمجرد أن وصل، سمع صوت باب يفتح.

جلس في غرفته منتظراً حوالي نصف الساعة. ولم يجرؤ أن يذهب. عاجلا أو آجلا، كان واثقا بأن إلسي يجب أن تأتي. سمع صوت طرقات خفيفة على الباب. نهض وفتح الباب.

لم تكن إلسي التي جاءت، بل والدتها فأصيب هارولد بالذعر من مظهرها. وبدت فجأة أكبر من عمرها بسنوات؛ حيث كان شعرها الرمادي أشعث وكانت هناك هالات سوداء تحت عينيها.

تحرك بخفة وساعدها على الجلوس، ثم جلست وهي تتنفس بصعوبة. قال هارولد بسرعة:

"تبدين متعبة جداً يا سيدتي. هل أحضر لك شيئًا؟".

هزت رأسها وقالت:

"كلا. دعك مني. إنني حقًا بخير، أنا فقط مصدومة. إن هذا شيء فظيع يا سيد وارنج".

سأل هارولد:

"هل أصيب كلايتون بإصابة بالغة؟".

حبست أنفاسها وقالت:

"بل أسوأ من ذلك. لقد مات ...".

دارت الغرفة من حوله.

وشعر كأن ماءً مثلجًا يقطر فوق عموده الفقري، ما أفقده القدرة على الكلام لدقيقة أو اثنتين.

كرر ببطء:

"مات؟".

أومأت السيدة رايز بالإيجاب.

قالت ونبرة صوتها تعبر عن التعب الكامل:

"أصابت ثقالة الورق الرخامية صدغه وسقط على رأسه فوق سياج المدفأة الحديدي. لا أعلم أيًا منهما كان سبب وفاته. ولكن المؤكد أنه مات. لقد رأيت حالات وفاة بشكل يكفي لأن أعرف".

كارثة - تلك هي الكلمة التي رنت بإلحاح في عقل هارولد. كارثة، كارثة، كارثة ...

قال بعنف:

"كانت حادثة ... وقع الأمر أمام عيني".

قالت السيدة رايز بحدة:

"بالطبع كانت حادثة. أعرف ذلك. لكن - لكن - هل من أحد آخر سوف يرى الأمر على هذا النحو؟ بصراحة، إنني خائفة يا هارولد! هذه ليست إنجلترا".

قال هارولد ببطء:

"يمكنني أن أعزز قصة إلسي".

قالت السيدة رايز:

"أجل، وهي يمكن أن تعزز قصتك. وهذا ينهي الأمر!".

كان عقل هارولد بصيراً ومتحفظًا بفطرته، ما جعله يفهم وجهة نظرها؛ فقد راجع الأمر كله وقدر نقاط الضعف في الموقف.

لقد قضى هارولد مع إلسي وقتًا طويلًا. وجاءت واقعة رؤيتهما معًا في الغابة من إحدى السيدتين البولنديتين في ظروف مثيرة للشبهة. ظاهريًا، لا تتحدث السيدتان البولنديتان الإنجليزية، ورغم ذلك ربما يفهمان الإنجليزية قليلًا. ربما تعرف هذه المرأة معنى كلمة مثل: "غيور" و"زوج" لو أن سماعها لحديثهما كان مصادفة. على أية حال، كان واضحًا أن هناك شيئًا أخبرت به كلايتون وأثار غيرته. والآن مات فيليب

كلايتون. وعندما مات كلايتون، كان هارولد في غرفة إلسي. ليس هناك شيء يبين أنه لم يهاجم فيليب كلايتون متعمدا بثقالة الورق. ولا شيء يبين أن الزوج الغيور لم يجدهما معًا بالفعل. لا شيء غير شهادته هو وإلسي. لكن هل سيصدقونهما؟

اعتراه خوف شديد.

لم يتخيل - مطلقًا أن يتعرض هو أو إلسي لخطر الحكم عليهما بالإعدام لجريمة لم يرتكباها. فعلى أية حال، محتمل أن يتعرضا لتهمة القتل الخطأ. (هل هما متورطان في جريمة القتل الخطأ في بلد أجنبي؟) لكن حتى لو كانا بريئين من التهمة، سيكون هناك تحقيق - ويمكن أن ينشر في كل الصحف. اتهام رجل وامرأة إنجليزيين - زوج غيور - رجل سياسة صاعد. نعم، هذا يمكن أن يعني نهاية حياته السياسية؛ فهو لن ينجو من فضيحة مثل هذه.

قال باندفاع:

"ألا يمكننا التخلص من الجثة بطريقة ما؟ نرميها في أي مكان؟".

اندهشت السيدة رايز ورمقته بنظرة احتقار جعلته يشعر بالخجل. وقالت بحدة:

"عزيزي هارولد، هذه ليست قصة بوليسية! محاولة القيام بشيء كهذا تعد أمرًا جنونيًا".

تأوه قائلًا: "أرى ذلك. ماذا يمكننا عمله؟ يا إلهي، ماذا نفعل؟".

هزت السيدة رايز رأسها بيأس. وكانت عابسة، وعقلها عاجز عن التفكير.

سأل هارولد:

"أليس هناك ما يمكننا عمله؟ أي شيء يجنبنا هذه الكارثة المخيفة؟".

الأمر أكبر من كارثة! شيء مروع - غير متوقع - إنها إدانة كاملة.

حدقا إلى بعضهما، ثم قالت السيدة رايز بصوت أجش:

"إلسي - ابنتي الصغيرة. لا بد أن أفعل شيئًا ... سوف تموت لو أدينت في جريمة مثل هذه". وأضافت: "وأنت أيضًا - مستقبلك سوف يضيع - كل شيء سيضيع".

قال هارولد:

"دعك مني".

لكنه لم يعن هذا حقًا.

مضت السيدة رايز تقول بمرارة:

"الأمر كله غير عادل بالمرة - غير صحيح تمامًا! لم يكن بينكما شيء على

الإطلاق. أعرف هذا جيداً".

قال هارولد وهو يحاول إيجاد حل:

"ستكونين قادرة على الأقل على الشهادة بأنه لم يكن هناك شيء بيننا".

قالت السيدة رايز بمرارة:

"أجل، لو أنهم سيصدقونني. ولكن تعرف كيف يكون الناس هنا!".

وقد وافقها هارولد بحزن. بالنسبة للعقلية الأوروبية، ستكون هناك بلا شك علاقة آثمة بينه وبين إلسي، وإنكار السيدة رايز سيؤخذ على أنه كذب أم لكي تبرئ ساحة ابنتها.

قال هارولد بحزن:

"أجل، لسنا في إنجلترا، يا للحظ السيئ".

رفعت السيدة رايز رأسها وهي تقول "آه! هذا صحيح ... إنها ليست إنجلترا. أتساءل الآن عما إذا كان من الممكن فعل شيء -".

نظر هارولد إليها بلهفة.

قالت السيدة رايز فجأة:

"كم لديك من المال؟".

"ليس معي الكثير"، وأضاف: "قطعاً يمكنني أن أرسل في طلب مال".

قالت السيدة رايز بصرامة:

"ربما نحتاج إلى مبلغ كبير، ولكن أظن أنها محاولة قد تنجح".

شعر هارولد بلمحة أمل، وقال:

"ما فكرتك إذن؟".

تحدثت السيدة رايز بحسم:

"ليست لدينا فرصة لإخفاء جريمة القتل بأنفسنا، ولكني أعتقد أن هناك فرصة لإخفائها رسمياً!".

قال:"هل تعتقدين ذلك حقاً؟"... كان هارولد يتشبث بالأمل ولكن يميل للشك نسبياً.

"أجل، فأولاً سيكون مدير الفندق في جانبنا. سيفضل كثيراً أن يخفي الأمر. ففي رأيي، في هذه المناطق النائية من دول البلقان الغريبة نسبياً، يمكنك رشوة أي شخص

وكل شخص - والشرطة على الأرجح أكثر فساداً من أي شخص آخر!".

قال هارولد ببطء:

"هل تعرفين؟ أعتقد أنك على حق".

مضت السيدة رايز تقول:

"لحسن الحظ، لا أعتقد أن أحداً في الفندق سمع أي شيء".

"مَن يمكث في الغرفة المجاورة لغرفة إلسي على الجانب المواجه لغرفتك؟".

"السيدتان البولنديتان، ولكنهما لم تسمعا شيئًا. وكان يجب أن تخرجا إلى الردهة لو أنهما سمعا بما حدث. إن فيليب وصل متأخراً، فلم يره أحد سوى بواب النوبة الليلية. تعرف يا هارولد، أعتقد أنني سأتمكن من إخفاء الأمر كله - وتحرير شهادة موت فيليب نتيجة لأسباب طبيعية! إنها فقط مسألة دفع رشوة كبيرة - وإيجاد الرجل الصحيح - ربما يكون رئيس الشرطة!".

ابتسم هارولد ابتسامة باهتة، وقال:

"هذا نوع من الأوبرا الهزلية، أليس كذلك؟ حسنًا، على أية حال، يمكننا المحاولة".

6

كانت السيدة رايز شخصية نشطة؛ أولًا، استدعت المدير، ثم انتظر هارولد في غرفته لكي يبتعد عن الأمر. وقد اتفق مع السيدة رايز أن تروي القصة على أنها مشاجرة زوجية؛ فشباب إلسي وجمالها سوف يجلبان مزيداً من التعاطف.

في صباح اليوم التالي، وصل مسئولون متعددون من الشرطة وصعدوا إلى غرفة السيدة رايز. وقد بدت شاحبة ومتعبة، ولكن الراحة التي على وجهها ساعدت على توصيل قصتها، فقالت ببساطة:

"نجحت المحاولة!".

"حمداً لله! أنتِ رائعة حقًا! بدا الأمر غير معقول!".

قالت السيدة رايز متدبرة:

"بالسهولة التي سار بها الأمر، ربما تفكر أنه طبيعي تماماً. كلهم مدوا أيديهم دون

مقاومة. إن هذا... هذا شيء مقزز تمامًا، دون شك!".

قال هارولد بطريقة جافة:

"هذه ليست لحظة لانتقاد فساد الخدمات العامة. كم تكلف الأمر؟".

"التكلفة مرتفعة نوعًا ما".

قرأت قائمة من الشخصيات:

"رئيس الشرطة.

المفوض.

الوكيل.

الطبيب.

مدير الفندق.

بواب الليل".

كان تعليق هارولد بكل بساطة:

"لم يأخذ بواب الليل كثيراً، أليس كذلك؟ لا أظنه سيأخذ أكثر من عملة ذهبية".

شرحت السيدة رايز:

"اشترط المدير ألا تظهر الجريمة على أنها وقعت في الفندق على الإطلاق أي أن تقول إن القصة الرسمية هي أن فيليب أصيب بأزمة قلبية في القطار، وخرج إلى الممر لكي يستنشق الهواء وسقط على شريط القطار. أنت تعلم أنهم دائمًا يتركون أبواب القطار مفتوحة. حسنًا... ماذا يستطيع رجال الشرطة أن يفعلوا إذا حاولوا بجدية!".

قال هارولد: "حسنًا، حمداً لله على قوة شرطتنا، فهي ليست كذلك".

وبحالة مزاجية إنجليزية رائعة، هبط لتناول الغداء.

7

وبعد الغداء، عادة ما يلحق هارولد بالسيدة رايز وابنتها لتناول القهوة، لكنه قرر أن يغير من سلوكه المعتاد.

كانت أول مرة يشاهد فيها إلسي منذ الليلة السابقة. كانت شاحبة جداً وبدا أنها ما زالت تعاني صدمة، ولكنها قامت بمحاولة باسلة لكي تتصرف بشكل طبيعي، بأن أصدرت تعليقاً معتاداً عن الطقس والمنظر.

بعد ذلك علقوا على نزيل جديد وصل للتو، محاولين تخمين جنسيته، ففكر هارولد أن شاربه يدل على أنه فرنسي - قالت إلسي إنه ألماني - وقالت السيدة رايز إنه إسباني.

لم يكن هناك أحد غيرهم في الشرفة باستثناء السيدتين البولنديتين اللتين كانتا جالستين في الجانب الآخر، تقومان بأعمال التطريز.

وكالعادة عندما رآهما هارولد شعر برعشة خوف غريبة تجتاحه؛ فهذان الوجهان، والأنفان المنحنيان كالمنقار، والأيدي ذوات المخالب الطويلة ...

ثم اقترب خادم وأخبر السيدة رايز بأن هناك مَن ينتظرها. فنهضت وتبعته. وفي مدخل الفندق رأوها تقابل ضابط شرطة يرتدي ملابسه الرسمية.

حبست إلسي أنفاسها.

وقالت:"هل تعتقد أن شيئًا خطأ قد حدث؟".

قال هارولد محاولًا تهدِئتها.

"أوه، كلا، كلا، لا شيء من هذا القبيل".

ولكنه نفسه شعر بوخزة مفاجئة من شدة الخوف.

وقال:

"إن أمك شخصية رائعة!".

"أعرف أن أمي شخصية رائعة، ولن تستسلم للهزيمة". ثم ارتجفت إلسي وهي تردف: "لكن الأمر كله فظيع، أليس كذلك؟".

"الآن، لا تفكري في هذا؛ فقد انتهى الأمر".

قالت إلسي بصوت منخفض:

"لا يمكنني نسيان أنني قتلته".

قال هارولد بسرعة:

"لا تفكري في الأمر بهذه الطريقة. إنها حادثة، وأنتِ تعرفين ذلك تماماً".

ابتهج وجهها قليلًا. ثم أضاف هارولد:

"وعلى أية حال، ما مضى قد مضى. إنهم لن يفكروا فيما حدث مرة أخرى".

عادت السيدة رايز، وأحس هارولد من تعبير وجهها بأن الأمر على ما يرام.

قالت بابتهاج: "تملكني الخوف تمامًا. لكنه كان إجراء روتينيًا لاستكمال بعض المستندات. وكل شيء على ما يرام يا عزيزي. إننا خارج نطاق الشبهة، وأعتقد أننا يجب أن نطلب لأنفسنا مشروبًا".

جاء المشروب، ورفعا قدحيهما.

قالت السيدة رايز: "من أجل المستقبل!".

ابتسم هارولد لإلسي وقال:

"من أجل سعادتك!".

ابتسمت له وقالت وهي ترفع قدحها:

"وأنت - من أجل نجاحك! أنا واثقة بأنك ستصبح رجلًا عظيمًا جدًا".

تحول شعورهم من الخوف إلى السعادة، مثل المصابين بدوار الرأس، وانقشعت الغمة! كل شيء على ما يرام ...

ومن الجانب البعيد للشرفة، نهضت المرأتان شبيهتا الطيور - جمعتا أعمال التطريز بعناية، وعبرتا الممشى الحجري.

وجلستا مع السيدة رايز بانحناءة صغيرة؛ فإحداهما بدأت تتحدث، أما الأخرى فاستقرت عيناها على هارولد وإلسي. كانت هناك ابتسامة صغيرة مرتسمة على شفتيها. لقد فكر هارولد في أنها لم تكن ابتسامة لطيفة ...

ونظر إلى السيدة رايز التي كانت تستمع إلى السيدتين البولنديتين وفكر أنه لن يستطيع فهم كلمة. وكان تعبير وجه السيدة رايز صافيًا بقدر كافٍ. وعاد كل الحزن واليأس. استمعت ونطقت بجمل مختصرة من وقت لآخر.

وفي الحال نهضت الأختان، وبتحية جامدة دخلتا إلى الفندق.

مال هارولد إلى الأمام، وقال بصوت أجش:

"ما الذي حدث؟".

أجابته السيدة رايز بصوت يائس.

"هاتان المرأتان تحاولان ابتزازنا. لقد سمعتا كل ما دار بيننا في الليلة الماضية. والآن بعد أن حاولنا إخماد الأمر، سيجعل ابتزازهما هذا الأمر أسوأ بآلاف المرات ...".

8

كان هارولد وارنج عند البحيرة، حيث تجول محمومًا لأكثر من ساعة، محاولًا استعادة طاقته الجسدية لكي يهدئ من صخب اليأس الذي هاجمه.

وصل في النهاية عند المكان الذي شاهد فيه لأول مرة المرأتين الشرستين اللتين قبضتا على حياته وحياة إلسي بمخالبهما الشريرة. قال بصوت مرتفع:

"اللعنة عليهما! اللعنة على هذا الزوج من مصاصات الدماء الملعونات!".

ثم سعل سعالًا خفيفًا جعله يدور حوله، فوجد نفسه أمام الرجل الغريب ذي الشارب الكث الذي خرج لتوه من بين ظلال الأشجار.

وقد وجد هارولد صعوبة في معرفة ماذا يقول. إن هذا الرجل الضئيل لا بد أنه سمع ما قاله منذ قليل.

على أية حال، قال هارولد شيئًا سخيفًا:

"أوه... مساء الخير".

أجاب الآخر بلغة إنجليزية سليمة:

"ولكنني أخشى أنه ليس مساءً حسنًا".

وقع هارولد في حرج مرة أخرى، فقال: "حسنًا... أنا...".

قال الرجل الضئيل:

"أظن أنك في مأزق يا سيدي؟ هل يمكنني مساعدتك؟".

"أوه، كلا شكرًا، شكرًا لك! فقط كنت أتخلص من توتري".

قال الآخر بلطف:

"ولكني أعتقد أنه يمكنني مساعدتك. هل أنا مصيب أم مخطئ في إرجاع مشكلاتك إلى السيدتين الجالستين في الشرفة الآن؟".

حدق هارولد إليه.

وقال: "هل تعرف شيئًا عنهما؟"، على أية حال، مَن تكون؟".

كأنما يعترف بأصوله الملكية، قال الرجل الضئيل بتواضع:

"أنا هيركيول بوارو. هل نأخذ جولة صغيرة في الغابة وتخبرني بقصتك؟ مثلما قلت لك، أعتقد أنه يمكنني مساعدتك".

في هذا اليوم، لم يكن هارولد متأكداً تماماً ما الذي جعله يروي القصة كاملة لرجل لم يتكلم غير دقائق قليلة. ربما كان ذلك بسبب إرهاق بالغ. على أية حال، هذا ما حدث. فقد أخبر هيركيول بوارو بالقصة كلها.

استمع الأخير في صمت. ومرة أو مرتين أومأ رأسه بجدية. عندما انتهى هارولد، تحدث الآخر بغموض:

"طيور ستيمفاليان، بمناقيرها الحديدية، التي تتغذى على لحم الإنسان والتي تسكن في بحيرة ستيمفاليان ... نعم، هذا متوافق تماماً".

قال هارولد محدقاً إليه: "أستميحك عذراً يا سيدي".

ربما ظن من المظهر الغامض للرجل الضئيل أنه مجنون!

ابتسم هيركيول بوارو.

"كل ما في الأمر أنني أتأمل. لديّ طريقتي الخاصة في النظر إلى الأشياء، فهمت. والآن بالنسبة لمشكلتك، أنت في وضع سيئ جداً".

قال هارولد بنفاد صبر:

"لا أريدك أن تخبرني بذلك!".

مضى هيركيول بوارو يقول:

"موضوع خطير، ابتزاز. إن هاتين القبيحتين ستجبرانك على الدفع - والدفع - والدفع مرة أخرى! وإن قاومتهما، فماذا يحدث؟".

قال هارولد بمرارة:

"ينكشف الأمر كله، فتدمر حياتي المهنية، والفتاة البائسة التي لم تؤذ أحداً سوف تذهب للجحيم، والله وحده يعلم ماذا ستكون النهاية!".

قال هيركيول بوارو: "لذلك، يجب أن نفعل شيئاً!".

قال هارولد بعفوية: "ماذا؟".

مال هيركيول بوارو للخلف، بعينين نصف مفتوحتين.

وقال (ومرة أخرى ساور هارولد شك في سلامة عقله):

"حان وقت صناجات البرونز".

قال هارولد:

"هل أنت مجنون؟".

هز الآخر رأسه نفيًا وقال:

"مطلقًا! إنني فقط أكافح لكي أتبع نموذج جدي الأعظم هرقل. تحل ببعض الصبر يا صديقي، وبحلول غد ربما أكون قادراً على تحريرك من اللتين تبتزانك".

9

خرج هارولد وارنج في صباح اليوم التالي ليجد هيركيول بوارو جالسًا وحده في الشرفة. وبصرف النظر عن شخصية هيركيول بوارو، فقد أعجب هارولد بوعوده.

جاء إليه وسأله بقلق:

"حسنًا؟".

ابتسم له هيركيول بوارو وقال:

"حسنًا".

"ماذا تعني؟".

"لقد تم كل شيء بطريقة مُرضية".

"لكن ماذا حدث؟".

أجاب هيركيول بوارو بغموض:

"شغلت صناجات البرونز. أو، بتعبير حديث، استخدمت الأسلاك المعدنية في الدندنة - باختصار استخدمت التلغراف! طائرا ستيمفاليان يا سيدي نُفيا إلى حيث سيكونان عاجزين عن ممارسة إبداعهما لبعض الوقت".

"هل كانت السيدتان مطلوبتين من الشرطة؟ هل ألقي القبض عليهما؟".

"بالضبط".

أخذ هارولد نفسًا عميقًا.

"إن هذا أمر رائع! لم أفكر في ذلك قط"، ثم وقف قائلًا: "يجب أن أعثر على السيدة رايز وابنتها إلسي لكي أخبرهما".

"إنهما تعرفان".

"أوه، حسنًا" ثم جلس مرة أخرى وأردف: "أخبرني فقط ماذا...".

ثم قطع كلامه.

فقد ظهر في الممر المؤدي إلى البحيرة جسدان يرتديان عباءتين فضفاضتين، ولهما هيئة الطير.

قال هارولد:"أعتقد أنك قلت إنه تم التخلص منهما".

ألقى هيركيول بوارو نظرة سريعة وقال:

"أوه، تلك السيدتان؟ إنهما غير مؤذيتين بالمرة؛ سيدتان بولنديتان من عائلة كريمة، مثلما أخبرك البواب. وربما مظهرهما غير جميل، لكن هذا كل شيء".

"ولكنني لا أفهم!".

"ألا تفهم؟! إن السيدتين الأخريين هما المطلوبتان من الشرطة - السيدة رايز الداهية، والسيدة كلايتون الباكية! هاتان هما من قصدت بالطائرين الجارحين. هاتان السيدتان تكسبان معيشتهما من الابتزاز، يا عزيزي".

شعر هارولد بأن الأرض تدور من حوله. وقال بوهن:

"ماذا عن الرجل... الرجل الذي قتل؟".

"لم يُقتل أحد. ولم يكن هناك رجل!".

"ولكنني رأيته!".

"أوه، كلا. السيدة رايز الطويلة ذات الصوت الجهوري، ناجحة جداً في تجسيد شخصية الرجال. وكانت هي التي لعبت دور الزوج - بدون باروكتها الرمادية ومكياجها الملائم لدور الأم".

مال للأمام ونقر الآخر على ركبته.

وقال:"يجب ألا تعيش الحياة بسذاجة يا صديقي. إن شرطة البلاد لا يمكن رشوتها بسهولة - ربما لا يتلقون رشوة على الإطلاق - خاصة إن كانت جريمة قتل! هاتان السيدتان تتاجران بجهل الرجل الإنجليزي العادي باللغات الأجنبية. ولأنها تتحدث الفرنسية أو الألمانية، كانت السيدة رايز دائماً هي التي تحاور المدير وتتولى الأمور. لقد وصلت الشرطة وصعدت إلى غرفتها، نعم! ولكن ماذا حدث بالفعل؟ أنت لا تعرف. وربما قالت إنها فقدت دبوساً مزخرفاً - أو شيئاً من هذا القبيل. إنها تظهر أيه حجة لكي ترتب لحضور الشرطة حتى تراهم أنت. والباقي، ماذا حدث فعلياً؟ أنت أرسلت في طلب مال، مال كثير، وسلمته إلى السيدة رايز التي تولت كل المفاوضات! وهذا ما حدث! لكن الطائرين كانا جشعين. فقد استغلتا كرهك غير المبرر للسيدتين البولنديتين غير المحظوظتين. ثم جاءت السيدتان وأجرتا محادثة بريئة مع السيدة رايز التي لم تستطع منع نفسها من تكرار اللعبة؛ فهي تعرف أنه لا يمكنك فهم ما قيل.

"لذا عليك أن ترسل في طلب المزيد من المال... ذلك المال الذي تظاهرت السيدة رايز بأنها ستوزعه على عدد من الأشخاص".

استنشق هارولد نفسًا عميقًا، وقال:

"وإلسي... إلسي؟".

تفادى هيركيول بوارو النظر إلى عينيه.

وقال: "هي تلعب دورها ببراعة. ودائمًا تفعل ذلك. إنها ممثلة صغيرة شديدة البراعة، وتستميل الرجال ذوي الشهامة وليس عن طريق الإغراء".

أضاف هيركيول بوارو بسرعة:

"إن هذا ينجح دائمًا مع الإنجليز".

أخذ هارولد وارنج نفسًا عميقًا، وقال بصوت واهن:

"سوف أعود إلى عملي، وأتعلم كل اللغات الأوروبية! لن يسخر مني أحد مرة أخرى!".

الفصل السابع

ثور كريت

1

نظر هيركيول بوارو بتمعن إلى زائرته.

فرأى وجهًا شاحبًا بذقن مدبب، وعينين تميلان للون الرمادي أكثر من اللون الأزرق، وشعر أزرق مشوب بخصل سوداء طبيعية... تلك الخصل الياقوتية المعروفة في اليونان القديمة.

وقد لاحظ المعطف الريفي الدافئ متقن الصنع، وحقيبة اليد الرثة، والأسلوب المتعجرف غير المقصود المختفي وراء عصبية الفتاة الواضحة. ففكر في نفسه:

"آه نعم، إنها ريفية ولكنها لا تملك نقودًا! ولا بد أن هناك شيئًا غير عادي قد أحضرها إلى هنا".

قالت ديانا مابرلي، بصوت مرتجف قليلًا:

"أنا لا أعرف إن كان بإمكانك مساعدتي أم لا يا مسيو بوارو. إنها حالة شديدة الغرابة".

قال بوارو:

"لكن ماذا تكون؟ أخبريني".

قالت ديانا مابرلي:

"لقد جئت إليك لأنني لا أعلم ماذا أفعل! لا أعلم حتى إن كان يوجد ما يمكن عمله!".

"هل تركت لي الحكم على ذلك؟".

ازداد احمرار وجه الفتاة فجأة، وقالت بسرعة ودون توقف:

"جئت إليك لأن الرجل الذي خُطبت له لأكثر من سنة، فسخ خطبتنا".

ثم توقفت ونظرت إليه بتحدٍّ.

وأخيرًا قالت: "لا بد أنك تراني مجنونة".

هز هيركيول بوارو رأسه نفيًا ببطء، وقال:

"على العكس يا آنسة، ليس عندي شك في أنك شديدة الذكاء. مؤكد أن مهنتي في الحياة ليست حل خلافات الأزواج، وأعلم جيدًا أنك على علم بذلك. ومعنى هذا أن هناك شيئًا غير معتاد وراء فسخ هذه الخطبة. أليس كذلك؟".

أومأت الفتاة، وقالت بصوت واضح ومحدد:

"فسخ هيو خطبتنا لأنه يظن نفسه على وشك الجنون، وأن المجانين يجب ألا يتزوجوا".

ارتفع حاجبا هيركيول بوارو قليلًا.

وقال: "ألا توافقينه على ذلك؟".

"لا أعرف ... ما الجنون على أية حال؟ فكل شخص به لمحة جنون".

وافق بوارو بحرص: "هكذا يقال".

"يحدث هذا فقط عندما تبدأ بالتفكير في أنك بيضة مسلوقة أو أن هناك مَن يريد إخراسك".

"وخطيبك لم يصل إلى هذا الحد؟".

قالت ديانا مابرلي:

"لا أرى شيئًا خطأ في هيو على الإطلاق. إنه أعقل شخص عرفته؛ فهو سليم التفكير ويعتمد عليه ...".

"إذن، لماذا يظن نفسه على وشك الجنون؟".

توقف بوارو دقيقة قبل أن يمضي في حديثه:

"هل هناك حالات جنون في عائلته؟".

هزت ديانا رأسها كرهًا بالموافقة، وقالت:

"كان جده مجنونًا، وأعتقد أن إحدى عماته كذلك. ولكن ما أريد قوله أن كل عائلة بها شخص غريب. إما أن يكون محدود الذكاء أو فائق الذكاء أو شيئًا من هذا القبيل!".

عبرت عينا بوارو عن الموافقة.

ولكنه هز رأسه بحزن، وقال:

"أنا آسف جدًا من أجلك يا آنسة".

برز ذقنها إلى الأمام وصاحت:

"لا أريدك أن تأسف لحالي! أريدك أن تفعل شيئًا!".

"ماذا تريدين مني أن أفعل؟".

"لا أعلم، ولكن هناك شيئًا خطأ".

"هلا أخبرتني يا آنسة بكل شيء عن خطيبك!".

تحدثت ديانا بسرعة:

"اسمه هيو تشاندلر، عمره أربع وعشرون سنة، وأبوه هو الأدميرال تشاندلر، وهم يعيشون في ليد مانور. وقد عاشت هناك عائلة تشاندلر منذ عهد حكم الملكة إليزابيث الأولى. هيو هو الابن الوحيد لوالديه. وقد التحق بالبحرية - كل عائلة تشاندلر بحارة - وهذا نوع من التقاليد منذ أن كان السير جيلبرت تشاندلر يبحر مع السير والتر في إحدى سنوات القرن السادس عشر. وكان أمرًا طبيعيًا أن يلتحق هيو بالبحرية؛ فلم يكن أبوه قد سمع بأي شيء غير البحرية. ورغم ذلك كان أبوه هو من أصر على إخراجه من البحرية!".

"متى كان ذلك؟".

"تقريبًا منذ سنة. وكان أمرًا مفاجئًا تمامًا".

"هل كان هيو تشاندلر سعيدًا بمهنته؟".

"بالتأكيد".

"ألم تحدث فضيحة من أي نوع؟".

"فضيحة تخص هيو؟ بالطبع نعم. كان يبلي بلاءً حسنًا جدًا. هو لم يستطع أن يفهم أباه".

"ما المبرر الذي أعطاه إياه الأدميرال تشاندلر؟".

قالت ديانا ببطء:

"لم يعطه أي مبرر. أوه! قال من الضروري أن يتعلم هيو إدارة المزرعة، لكن ذلك مجرد مبرر وهمي. حتى جورج فروبيشر أدرك ذلك".

"ومَن يكون جورج فروبيشر؟".

"الكولونيل فروبيشر. إنه أقدم صديق للأدميرال تشاندلر والأب الروحي لهيو؛ فقد قضى أغلب وقته في مانور".

"وما رأي الكولونيل فروبيشر في إصرار الأدميرال تشاندلر على ترك ابنه البحرية؟".

"كان مذهولًا، ولم يفهم ذلك على الإطلاق، ولا أحد غيره استطاع أن يفهم".

"ولا حتى هيو تشاندلر نفسه؟".

لم تجب ديانا في الحال، فانتظر بوارو دقيقة، ثم استطرد يقول:

"في ذلك الوقت، ربما كان هو أيضًا مذهولًا. ولكن ماذا عن الآن؟ ألم يقل أي شيء على الإطلاق؟".

تمتمت ديانا بتردد:

"قال منذ أسبوع مضى إن أباه كان على حق - وإن هذا كان ما يجب عمله".

"هل سألته عن السبب؟".

"طبعًا، لكنه لم يخبرني".

أمعن هيركيول بوارو التفكير لدقيقة أو اثنتين، ثم قال:

"هل حدث أي شيء غير معتاد في محيطكما؟ ربما شيء بدأ منذ عام؟ شيء تسبب في انطلاق الأقاويل والتكهنات؟".

لمعت عيناها وهي تقول: "لا أعلم ماذا تقصد!".

قال بوارو بهدوء ولكن بصوت متسلط:

"من الأفضل أن تخبريني".

"لم يحدث أي شيء من هذا النوع الذي تقصده".

"إذن من أي نوع؟".

"أعتقد أنك بغيض بعض الشيء! فالأشياء الغريبة عادة ما تحدث في المزارع. مثل حالة انتقام أو تصرف يصدر عن معتوه القرية أو شخص آخر".

"إذن ماذا حدث؟".

قالت على مضض:

"كان هناك جدل حول بعض الخرفان ... قُطعت رقابها. أوه! كان أمرًا فظيعًا!

كانت جميعها ملكًا لمزارع واحد وهو رجل صلب جدًا. ففكر رجال الشرطة أن ما حدث من شخص يحمل ضغينة لهذا المزارع".

"ولم يمسكوا بالفاعل؟".

"نعم".

وأضافت بعنف: "لكن إن كنت تظن...".

رفع بوارو يده وقال:

"أنتِ لا تعرفين مطلقًا ما أفكر فيه. أخبريني، هل استشار خطيبك طبيبًا؟".

"كلا، أنا واثقة أنه لم يفعل".

"أليس هذا أبسط عمل يمكنه فعله؟".

قالت ديانا ببطء:

"لن يفعل؛ إنه يكره الأطباء".

"وماذا عن والده؟".

"لا أعتقد أن الأدميرال يؤمن كثيرًا بالأطباء هو الآخر. فهو يقول إنهم مجموعة من التجار المحتالين".

"كيف حال الأدميرال؟ هل هو بخير؟ هل هو سعيد؟".

قالت ديانا بصوت منخفض:

"أصبح شديد الهرم في ... في ...".

"في السنة الأخيرة؟".

"أجل. لقد أصبح حطامًا - مجرد شبح لما كان عليه سابقًا".

أومأ بوارو بتدبر، ثم قال:

"هل وافق على خطبتك لابنه؟".

"أوه، أجل. إن أراضي عائلتي مجاورة لأرضه، وعائلتنا تقطن هناك من أجيال متعاقبة. وقد شعر بسعادة بالغة عندما ارتبطت أنا وهيو".

"والآن؟ ما رأيه في فسخ الخطبة؟".

اضطرب صوت الفتاة قليلًا وقالت:

"إنني قابلته في صباح أمس. وقد بدا مروعا، وصافحني بحرارة، ثم قال: "صعب

عليك تحمل ما حدث يا بنيتي. ولكن الولد تصرف بشكل صحيح - لا يمكنه فعل شيء آخر".

قال هيركيول بوارو: "وبعدها جئت إليّ؟".

أومأت الفتاة وسألت: "هل يمكنك عمل شيء؟".

أجاب هيركيول بوارو:

"لا أعرف، لكن يمكنني على الأقل أن آتي وأنظر الأمر بنفسي".

2

إن بنية هيو تشاندلر الجسدية كانت هي الشيء الذي حاز إعجاب هيركيول بوارو أكثر من أي شيء آخر؛ فهو طويل، متناسق الجسم هائل الصدر والأكتاف، ورأسه كثيف الشعر - كان يفيض بالقوة والنشاط.

وعندما وصلا إلى منزل ديانا، اتصلت ديانا على الفور بمنزل الأدميرال تشاندلر، ثم ذهبا في الحال إلى ليد مانور، حيث وجدا الشاي بانتظارهما في الشرفة الكبيرة. ومع الشاي كان هناك ثلاثة رجال. وكان الأدميرال تشاندلر رجلًا أبيض الشعر، يبدو أكبر من عمره، ومنحني الأكتاف من العبء الثقيل الذي يحمله، وكانت عيناه سوداوين وكئيبتين. وعلى النقيض منه كان صديقه الكولونيل فروبيشر؛ رجلًا جافًا وصلبًا، ضئيل الجسم ذا شعر أحمر يميل إلى الرمادي من الجانبين، وكان عصبيًا وكثير الغضب، وسريعًا مثل كلب التريير، ولكنه يملك عينين حادتين جدًا. وكانت لديه عادة أن يخفض حاجبيه فوق عينيه مع رفع رأسه، ودفعه إلى الأمام، بينما تتفحصك عيناه الصغيرتان الداهيتان تفصيليًا. أما الرجل الثالث فكان هيو.

قال الكولونيل فروبيشر: "عينة جيدة من الرجال، أليس كذلك؟".

كان يتحدث بصوت منخفض، وهو يراقب فحص بوارو الدقيق للسيد الشاب.

أومأ هيركيول بوارو، وكان هو وفروبيشر جالسين بجوار بعضهما، أما الثلاثة الآخرون فكان لكل منهم مقعده الخاص في الناحية الأخرى من طاولة الشاي، يتجاذبون أطراف الحديث بطريقة حيوية، ولكنها مصطنعة بعض الشيء.

همس بوارو: "نعم، إنه رائع. إنه الثور الصغير... يمكنني القول إنه ثور ... عينة مثالية من الرجولة".

"يبدو في كامل اللياقة البدنية، أليس كذلك؟".

تنهد فروبيشر، واختلست عيناه الصغيرتان الحادتان نظرات جانبية إلى هيركيول بوارو. وقال في الحال:

"أعرف مَن تكون".

"آه، إنه ليس سرًا!".

ولوح بيده بإشارة ملكية، كأنه يقول إنه لم يكن متنكرًا. كان ذاهبًا بشخصيته الحقيقية.

بعد دقيقة أو اثنتين سأل فروبيشر: "هل الفتاة هي التي أحضرتك لتقوم بهذا العمل؟".

"العمل...؟".

"العمل الخاص بهيو ... نعم، أرى أنك تعلم كل شيء عن الموضوع. ولكني لا أفهم لماذا ذهبت إليك ... لا أعتقد أن هذا النوع من الأعمال في مجال تخصصك... أعني أن هذا عمل طبي بنسبة أكبر".

"كل أنواع الأعمال في تخصصي ... لا بد أنك متفاجئ".

"ما أقصده هو أنني لا أفهم ماذا تتوقع منك أن تفعله".

قال بوارو: "الآنسة مابرلي محاربة".

أومأ الكولونيل فروبيشر موافقًا بحرارة.

وقال: "أجل، إنها محاربة؛ فهي طفلة جميلة، لا تستسلم أبدا. على أية حال، هناك بعض الأشياء لا يمكن القتال والمحاربة من أجلها ...".

فجأة، بدا وجهه عجوزًا ومتعبًا.

خفض بوارو صوته وتكلم بتروٍّ:

"لقد فهمت أن هناك حالات خلل عقلي في العائلة، هل هذا صحيح؟".

أومأ فروبيشر برأسه إيجابًا وقال: "تظهر حالات من حين لآخر، عبر جيل أو جيلين، وكانت آخر حالة هي جد هيو".

ثم ألقى بوارو نظرة خاطفة باتجاه الثلاثة الآخرين. كانت ديانا قادرة على إدارة الحوار، تضحك وتمزح مع هيو. ويمكنك القول من مظهرهم إن ثلاثتهم لا يحملون همًا في الحياة.

سأل بوارو برفق: "ماذا كانت أعراض حالة الجنون هذه؟".

"لقد أصبح الرجل العجوز عنيفًا في مراحله الأخيرة. رغم أنه كان طبيعيًا حتى سن الثلاثين من عمره. فإنه بعد ذلك بدأت تظهر عليه أعراض غريبة. واستغرق بعض الوقت حتى لاحظ عليه الناس هذه الأعراض، ثم انطلقت شائعات كثيرة في المنطقة وبدأ الناس يتكلمون كثيراً. ولكن تم التكتم على الأمر..." رفع كتفيه واستطرد يقول: "وانتهت الحال بذلك المسكين البائس إلى حالة جنون دموية! وفي النهاية كان لا بد من إيداعه إحدى المصحات".

توقف دقيقة ثم أضاف:

"وهناك عاش حتى صار رجلًا عجوزًا جدًا! أعتقد ... أن هذا هو ما يخاف منه هيو؛ ولهذا هو لا يريد زيارة طبيب. أنا قلق من انغلاقه على نفسه، وأن يعيش هكذا لسنوات، ولا يمكنني القول إنني ألومه، فأنا أشعر بشعوره نفسه".

"وبماذا يشعر الأدميرال تشاندلر؟".

قال فروبيشر باختصار: "لقد تحطم تماماً".

"هل يحب ابنه كثيراً؟".

"إن الأب غارق في حب ابنه. أترى؟ لقد غرقت زوجته في قارب عندما كان الولد عمره عشر سنوات. ومنذ ذلك الوقت، عاش الرجل لابنه فقط".

"هل كان مخلصاً كثيراً لزوجته؟".

"كان يحبها، وكل من يعرفها كان يحبها. وكانت واحدة من أكثر النساء الجميلات اللاتي عرفتهن في حياتي". ثم توقف لدقيقة وقال بحماقة: "هل تود رؤية صورتها؟".

"أود رؤيتها كثيراً".

دفع فروبيشر مقعده للخلف ونهض، وقال بصوت مرتفع:

"سأذهب لأري المسيو بوارو بعض الأشياء يا تشارلز. إنه خبير".

رفع الأدميرال يده بشكل مبهم، وسار فروبيشر بطول الشرفة، وسار بوارو خلفه. سقط قناع المرح عن وجه ديانا وظهر بدلًا منه تساؤل قلق. وهيو أيضاً، رفع رأسه ونظر بثبات إلى الرجل الضئيل ذي الشارب الأسود.

بعد ذلك تبع بوارو فروبيشر إلى داخل المنزل. وكان المكان بالداخل معتماً جداً في البداية بسبب دخولهما من ضوء الشمس، ما صعب على بوارو التمييز بين الأغراض، ولكنه أدرك أن المنزل كان ممتلئاً بالأشياء العتيقة والجميلة.

ثم قاد الكولونيل الطريق إلى معرض الصور. فوق الحوائط المزدانة، علقت صور

للراحلين من عائلة تشاندلر، وهناك وجوه متشددة ومبتهجة، ورجال يرتدون ملابس رسمية أو يرتدون زي البحرية، ونساء يرتدين الحرير والجواهر.

وأخيراً توقف فروبيشر عند صورة في نهاية المعرض،

وقال بصوت أجش: "رسمها الفنان أوربن".

وقفا ينظران إلى صورة سيدة طويلة تضع يديها حول رقبة كلب سلوقي. وكانت امرأة ذات شعر كستنائي ووجه يشع بالحيوية.

قال فروبيشر: "إن ابنها صورة طبق الأصل منها. ألا ترى ذلك؟".

"في بعض الجوانب، بلى".

"بالطبع لم يأخذ رقتها ولا أنوثتها؛ فهو قوي البنية ولكن في كل الأشياء الأساسية..." ، ثم قطع جملته وقال: "المؤسف أنه قد ورث من عائلة تشاندلر الشيء الوحيد الذي كان في غنى عنه ...".

وقفا صامتين. وكان هناك حزن يخيم على المكان من حولهما كما لو أن الراحلين من عائلة تشاندلر يتحسرون على العدوى التي تكمن في دمائهم والتي نقلوها بقسوة من جيل إلى آخر ...

في ذلك الوقت أدار هيركيول بوارو رأسه لكي ينظر إلى رفيقه. وكان جورج فروبيشر ما زال يحدق إلى صورة المرأة الجميلة المعلقة على الحائط. قال بوارو بلطف:

"أنت تعرفها جيداً ...".

تحدث فروبيشر بحماقة، قائلًا:

"نشأنا معا منذ الصغر. وقد سافرتُ إلى الهند كملازم أول في الجيش حينما كانت هي في السادسة عشرة من عمرها ... وعندما عدت كانت قد تزوجت من تشارلز تشاندلر".

"إذن، فأنت تعرفه جيداً؟".

"تشارلز واحد من أقدم أصدقائي. إنه صديقي المقرب - كان دائماً صديقي المقرب".

"هل كنت تراهما كثيراً بعد الزواج؟".

"إنني اعتدت قضاء أغلب إجازاتي هنا؛ فهذا المكان يعتبر بيتي الثاني. وكان تشارلز وكارولين دائماً ما يحتفظان لي بغرفة هنا جاهزة بانتظاري ..." ، عدل كتفيه، وفجأة دفع رأسه إلى الأمام بشراسة واستطرد يقول: "ولهذا أنا هنا الآن لكي أكون جاهزاً

تحت الطلب. وإذا احتاج تشارلز إليّ فسيجدني هنا".

ومرة أخرى خيم الحزن على المكان.

سأل بوارو: "وما رأيك في كل ما حدث؟".

وقف فروبيشر بصلابة، وغطى حاجباه عينيه.

"رأيي أن خير الكلام ما قل ودل. ولكي أكون صريحاً، لا أفهم ما الذي تفعله في هذا الموضوع يا مسيو بوارو. ولا أعلم لماذا ورطتك ديانا وأحضرتك إلى هنا".

"تعلم أن خطبة ديانا مابرلي وهيو تشاندلر قد فسخت؟".

"أجل، أعلم ذلك".

"وهل تعلم السبب؟". أجاب فروبيشر بخشونة:

"لا أعلم شيئًا عن ذلك؛ فالشباب يتدبرون هذه الأشياء بينهم، وليس من شأني التدخل في شئونهم".

قال بوارو:

"هيو تشاندلر أخبر ديانا بأن زواجهما لن يكون قراراً سليماً؛ لأنه سوف يفقد عقله".

لقد رأى قطرات عرق تتساقط على جبهة فروبيشر وهو يقول:

"هل يجب أن نتكلم عن هذا المرض اللعين؟ ما الذي تعتقد أنك تستطيع فعله؟ هيو قام بالتصرف السليم، هذا المسكين، إن هذا لم يكن ذنبه، فهو مرض وراثي يصيب خلايا المخ ... ولكن بمجرد أن علم بالأمر، ماذا كان بإمكانه أن يفعل سوى فسخ الخطبة؟ كان هذا هو ما يجب عمله".

"لو أنني اقتنعت بذلك...".

"يمكنك أن تثق بكلامي".

"ولكنك لم تخبرني بشيء".

"أقول لك إنني لا أريد التحدث في هذا الموضوع".

"لماذا أجبر الأدميرال تشاندلر ابنه على ترك البحرية؟".

"كان هذا هو ما يجب عمله".

"لماذا؟".

هز فروبيشر رأسه المتصلب.

قال بوارو برفق:

"هل كان ذلك بسبب قتل بعض الخرفان؟".

فقال الرجل بغضب:

"إذن فقد سمعت بهذا الأمر؟".

"ديانا أخبرتني".

"كان من الأفضل أن تمسك هذه الفتاة لسانها".

"هي لم تعرف أن هذا دليل قاطع".

"إنها لا تعرف".

"ما الذي لا تعرفه؟".

تحدث فروبيشر بغضب وحماقة وعلى مضض:

"أوه حسنًا، إذا كان لا بد أن تعرف ... سمع تشاندلر صوتًا في تلك الليلة، وفكر في أن هناك شخصًا ما دخل البيت وذهب لكي يتحرى الأمر، فوجد غرفة ابنه مضاءة. ثم دخل تشاندلر الغرفة، فوجد هيو نائمًا في سريره مستغرقًا في النوم بملابسه. ورأى دمًا في الملابس، وكان الحوض الذي في الغرفة ممتلئًا بالدم. ولم يستطع والده أن يوقظه. وفي صباح اليوم التالي، سمع عن الخرفان التي وجدت مذبوحة. سأل هيو، فوجد الفتى لا يعرف أي شيء عن الموضوع؛ فهو لا يتذكر أنه خرج ولكنه وجد حذاءه بجوار الباب ملطخًا بالطين، ولم يستطع الشاب تفسير وجود الدم في الحوض، ولم يستطع تفسير أي شيء. ذلك البائس لم يعرف.

"جاءني تشارلز وتحدث إليّ بخصوص الأمر، وسألني ما أفضل شيء يمكن عمله، ثم حدث الأمر مرة أخرى بعد ثلاث ليالٍ. حسنًا، يمكنك أن تفهم بنفسك. وكان الفتى مجبرًا على ترك الخدمة. فإذا بقي هنا، تحت عين تشارلز، فسيتمكن من مراقبته، فلا يمكن تحمل وقوع فضيحة في البحرية. نعم، كان هذا أفضل ما يمكن عمله".

سأل بوارو: "ومنذ ذلك الحين؟".

قال فروبيشر بعنف: "لن أجيب عن مزيد من الأسئلة. ألا تعتقد أن هيو يعلم حالته جيدًا؟".

لم يجب هيركيول بوارو. وكان كارهًا لفكرة أن هناك من يمكن أن يعرف أكثر من هيركيول بوارو.

3

بينما كانا يدخلان البهو، قابلا الأدميرال تشاندلر وهو يدخل من الشرفة. وقف لدقيقة، وظل جسمه يحجب ضوء الشمس الذي يدخل من الخارج.

قال بصوت منخفض وخشن:

"ها أنتما الاثنان يا سيد بوارو، أود التحدث إليك، تعال إلى مكتبي".

خرج فروبيشر من الباب المفتوح، وتبع بوارو الأدميرال. وحينها، تملك بوارو إحساس كما لو أنه مستدعى إلى قمرة القائد لكي يعطي تبريراً لوجوده.

عندئذ أشار الأدميرال إلى بوارو بأن يجلس على أحد المقاعد الكبيرة المريحة، وجلس الأدميرال على مقعد آخر. بينما كان بوارو مع فروبيشر، تأثر بعصبيته وتهيجه الذي لا يهدأ وكل علامات الضغط العصبي الشديد. لكنه مع الأدميرال تشاندلر، شعر بإحساس من اليأس والإحباط الشديدين.

قال تشاندلر وهو يتنهد بعمق: "لا يمكنني أن أخفي استيائي لأن ديانا أقحمتك في هذا الأمر ... تلك الفتاة المسكينة، أعرف كم يؤلمها ما حدث. ولكن هذه مأساتنا الخاصة، وأعتقد أنك تفهم يا مسيو بوارو أننا لا نريد دخول شخص غريب بيننا".

"يمكنني تفهم مشاعرك بدون شك".

"ديانا، تلك الطفلة المسكينة، لا يمكنها تصديق الأمر ... وأنا لم أصدق في البداية. وربما لم أكن لأصدق لو لم أعرف...".

توقف عن الكلام.

فقال بوارو: "تعرف ماذا؟".

"أعني العدوى الموجودة في الدم".

"ورغم ذلك وافقت على الخطبة؟".

لمعت عينا الأدميرال تشاندلر، وقال:

"تعني أنه كان ينبغي أن أرفض الخطبة حينها؟ ولكني لم تكن لديّ أية فكرة في هذا الوقت. هيو يشبه والدته... ليست به صفات تذكرك بعائلة تشاندلر. أتمنى لو أنه أخذ من والدته كل شيء؛ فمنذ طفولته وطوال عمره، لم يكن هناك أثر لتصرفات غير طبيعية حتى تلك اللحظة. ولم أكن أعرف أن هذا المرض يهاجم فجأة، وهناك أثر لخلل عقلي في كل العائلات القديمة تقريبا!".

قال بوارو برفق: "ألم تستشر طبيبًا؟".

زمجر تشاندلر قائلًا: "نعم، ولن أفعل! الولد في أمان معي هنا؛ لأنني أعتني به. لن أجعلهم يحبسونه بين أربعة جدران مثل الحيوان البري ...".

"أنت ترى أنه في أمان هنا. ولكن هل الآخرون في أمان؟".

"ماذا تعني بكلامك هذا؟".

لم يجب بوارو ونظر بثبات في عيني الأدميرال تشاندلر السوداوين الحزينتين.

فقال الأدميرال بمرارة:

"كل شخص له مهنته. وأنت مهنتك البحث عن مجرم! ابني ليس بمجرم يا مسيو بوارو".

"ليس بعد".

"ماذا تعني بعبارة "ليس بعد"؟".

"هذه الحالات المرضية تسوء ... تلك الخرفان... ".

"من أخبرك بقصة الخرفان؟".

"ديانا مابرلي. وصديقك الكولونيل فروبيشر".

"لو كان جورج قد أغلق فمه لكان أفضل".

"إنه صديق قديم لك، أليس كذلك؟".

قال الأدميرال بخشونة: "إنه صديقي المقرب".

"وكان صديقًا لزوجتك أيضًا؟".

ابتسم تشاندلر وقال:

"نعم، أعتقد أن جورج أحب كارولين وهي في سن صغيرة. هو لم يتزوج مطلقًا وأعتقد أن حبه لـ كارولين هو السبب. حسنًا، لقد كنت محظوظًا أو هكذا اعتقدت. لقد فزت بها فقط لكي أخسرها".

تنهد وانخفضت كتفاه.

قال بوارو: "هل كان الكولونيل فروبيشر معك عندما غرقت زوجتك؟".

أومأ تشاندلر بالإيجاب وقال: "أجل، كان معنا في كورنوال عندما وقعت تلك الحادثة. كنت أنا وهي في القارب معًا ومكث هو بالمنزل في ذلك اليوم. لم أفهم كيف انقلب هذا القارب ... لا بد أن انتشر به تسرب مفاجئ. بينما كنا نبحر في

الخليج حدث مد وجزر شديد. حملتها لأعلى قدر طاقتي ..." انكسر صوته وأكمل: "عانى جسدها لمدة يومين من التعب. حمداً لله أننا لم نأخذ هيو معنا! على الأقل، هذا ما فكرت فيه ذلك الوقت. الآن ربما كان الأفضل لهيو، المسكين، أن يأتي معنا. فلو كان معنا، لانتهى كل شيء منذ ذلك الوقت ...".

ومرة أخرى تنهد بعمق ويأس.

وقال: "نحن آخر أفراد عائلة تشاندلر يا مسيو بوارو. لن يكون هناك أفراد آخرون من عائلة تشاندلر في ليد بعد موتنا. عندما خطب هيو ديانا، تمنيت... حسنًا، لا جدوى من الحديث عن الأمر. حمداً لله أنهما لم يتزوجا. ولا يسعني قول المزيد!".

4

جلس هيركيول بوارو على مقعد في حديقة الورود، وجلس بجواره هيو تشاندلر، وكانت ديانا مابرلي قد تركتهما للتو.

أدار الشاب وجهه الوسيم المعذب إلى رفيقه.

وقال له:

"يجب أن تشرح لها الأمر يا مسيو بوارو".

توقف دقيقة واستطرد يقول:

"ديانا مقاتلة، لن تستسلم أبداً. لن تقبل ما أعرضت عن قبوله. وسوف تصر على تصديق أنني سليم العقل".

"بينما أنت نفسك متأكد تماماً من أنك مجنون؟".

جفل الشاب، وقال:

"لم أعتبر بعد أنني فقدت عقلي تماماً، ولكن حالتي العقلية تسوء، وديانا لا تعرف ذلك . إنها لا ترى غير صورتي وأنا في حالة جيدة".

"وعندما تكون في حالة سيئة، ماذا يحدث؟".

أخذ هيو تشاندلر نفساً عميقاً، ثم قال:

"يحدث شيء واحد... أحلم. وعندما أحلم، أكون مجنوناً. الليلة الماضية، على سبيل المثال، لم أكن آدمياً. كنت ثوراً - ثوراً مجنوناً - أتسابق تحت أشعة الشمس أتذوق

التراب والدم في فمي... التراب والدم ... ثم أصبحت كلبًا يسيل لعابه. وكنت أعاني فوبيا الماء... تشتت الأطفال وهربوا بمجرد وصولي، وحاول بعض الرجال أن يطلقوا عليّ الرصاص... شخص ما وضع سلطانية ماء كبيرة من أجلي ولم أستطع أن أشرب.. لم أستطع أن أشرب ...".

توقف عن الكلام، ثم قال: "استيقظت. وكنت أعلم أن ذلك حدث بالفعل. ذهبت مباشرة إلى الحمام. كان فمي ظمآن جدًا وجافًا. وكنت عطشان جدًا، لكنني لم أستطع الشرب يا مسيو بوارو ... لم أستطع البلع ... أوه، يا إلهي، لم أكن قادرًا على الشرب ...".

تمتم هيركيول بوارو برفق، ومضى هيو تشاندلر في حديثه. كانت يداه قابضتين على ركبتيه، ووجهه ممتدًا إلى الأمام، وعيناه نصف مغلقتين كأنه رأى شيئًا قادمًا نحوه:

"وهناك أشياء لم تحدث على هيئة أحلام. وأشياء أراها وأنا مستيقظ. وهناك أشباح، أشكال مخيفة تنظر إليّ شزرًا. وأحيانًا أكون قادرًا على الطيران، أترك سريري، وأطير في الهواء، أركب الرياح وتحملني الطيور معها!".

قال هيركيول بوارو: "عجبًا، عجبًا".

كانت مجرد تمتمة احتجاج خافتة.

التفت هيو تشاندلر إليه.

وقال: "أوه، ما من شك في الأمر؛ فالمرض في دمي، إنه إرث عائلتي. لا يمكنني الهرب منه؛ فأنا أحمد الله أنني اكتشفته قبل أن أتزوج ديانا. فافترض أننا أنجبنا طفلًا ونقلنا إليه هذا المرض المخيف!".

وضع يده فوق ذراع بوارو.

وأردف: "يجب أن تفهمها، ويجب أن تخبرها. يجب أن تنساني.. يجب أن يحدث ذلك. سوف تقابل شخصًا آخر يومًا ما. هناك شخص يدعى ستيف جراهام... إنه متيم بحبها، وهو شاب جيد جدًا، وستكون سعيدة معه وآمنة؛ فأنا أريدها أن تكون سعيدة. صحيح أن جراهام مفلس، وكذلك عائلتها، لكنهم سيكونون بخير بعد رحيلي".

قاطعه صوت هيركيول بوارو.

"لماذا سيكونون "بخير" بعد رحيلك؟".

ابتسم هيو تشاندلر. وكانت ابتسامة رقيقة ومحبوبة.

وقال:

"إنها أموال أمي. لقد ورثت ثروة ضخمة، وهذه الثروة آلت إليّ. لقد تركتها بالكامل لـ ديانا".

اعتدل هيركيول بوارو في مقعده، وهو يقول: "آه!".

ثم قال:

"ولكن ربما تعيش حتى تصبح رجلًا عجوزًا يا سيد تشاندلر".

هز هيو تشاندلر رأسه نفيًا وقال بحدة:

"كلا، يا مسيو بوارو، لن أعيش حتى أصبح رجلًا عجوزًا". ثم تراجع للوراء بارتجافة شديدة، وقال:

"يا إلهي! انظر!"، كان يحدق وراء كتفي بوارو، وأردف: "هناك ... إنه يجلس معك ... إنه هيكل عظمي... إنها عظام ترتعش. هي تناديني... ".

اتسعت حدقتا عينيه كثيراً، وشردتا في ضوء الشمس، ومال فجأة على جنبه كأنه ينهار.

ثم اتجه إلى بوارو، وقال بصوت طفولي:

"أنت لا ترى أي شيء؟".

هز بوارو رأسه نفيًا ببطء.

قال هيو تشاندلر بصوت أجش:

"لا أمانع أبداً في رؤية هذه الأشياء. إن الدم هو الذي يخيفني. الدم في غرفتي وعلى ملابسي ... كان لدينا ببغاء. ذات صباح وجدته مذبوحاً في غرفتي، وكنت راقداً فوق السرير، وفي يدي شفرة حلاقة مبللة بالدماء!".

اقترب أكثر من بوارو.

وهمس: "ومؤخراً قتلت حيوانات أخرى... في أنحاء القرية... فوق التلال... خرفان وحملان وكلب كولي.. أبي يحبسني في الليل، لكن أحياناً أجد الباب مفتوحاً في الصباح. لا بد أنني أخبئ مفتاحاً في مكان ما، ولكني لا أعرف أين أحتفظ به. لا أعرف. لست أنا من يفعل تلك الأفعال؛ إنه شخص آخر منفصل عني... شخص يتملكني ويحولني من رجل إلى وحش جامح تتملكه شهوة الدم ولا يستطيع شرب الماء ...".

فجأة غطى وجهه بيديه.

بعد دقيقة أو اثنتين، سأله بوارو:

"ما زلت لا أفهم لماذا لم تزر طبيباً؟".

هز هيو تشاندلر رأسه، وقال:

"حقًا لا تفهم؟ أنا سليم بدنيًا. أنا قوي مثل الثور. ويمكن أن أعيش لسنوات وسنوات محبوسًا بين أربعة جدران! هذا ما لا أقدر على مواجهته! سيكون من الأفضل الابتعاد تمامًا ... تعرف أن هناك سبلًا لذلك. إما عن طريق حادثة في أثناء تنظيف بندقية ... أو شيء من هذا القبيل. ديانا سوف تتفهم ... أفضل أن أختار وسيلة الرحيل بنفسي!".

نظر بتحدٍّ إلى بوارو، لكن بوارو لم يستجب إلى هذا التحدي. وبدلًا من ذلك سأله بلطف:

"ماذا تأكل وتشرب؟".

دفع هيو تشاندلر رأسه للخلف، وانفجر بالضحك.

وقال: "رؤية الكوابيس تسبب عسر الهضم؟ هل هذه فكرتك؟".

أعاد بوارو السؤال بلطف:

"ماذا تأكل وتشرب؟".

"لا شيء غير ما يأكله ويشربه كل الناس".

"ألا تأخذ أدوية معينة؟ كبسولات؟ أقراصًا؟".

"يا إلهي، نعم. هل تظن حقًا أن الأقراص يمكنها أن تعالج حالتي؟"، ثم اقتبس كلمات لـ شكسبير: "هل يمكنك أن تشفي عقلًا معتلًا؟".

قال هيركيول بوارو بلهجة جافة:

"إنني أحاول. هل يعاني أي شخص في هذا المنزل مشكلة في النظر؟".

حدق إليه هيو تشاندلر، وقال:

"إن عيني أبي بهما مشكلات كثيرة؛ ولذلك يذهب بانتظام إلى طبيب عيون".

آه! استغرق بوارو في التفكير لدقيقة أو اثنتين، ثم قال:

"أفترض أن الكولونيل فروبيشر قضى معظم حياته في الهند؟".

"أجل، كان مجندًا في الجيش الهندي. وهو مولع بالهند ويتحدث عنها كثيرًا عن تقاليدها وعن كل مظاهر الحياة هناك".

تمتم بوارو مرة ثانية: "آه!".

ثم علق:

"أرى أنك جرحت ذقنك".

رفع هيو يده وقال:

"أجل، إنه جرحٍ بغيض. لقد دهش أبي مني ذات يومٍ حينما شاهدني وأنا أحلق ذقني؛ فقد أصبحت عصبيًا بعض الشيء هذه الأيام، وكان لديّ بعض الطفح الجلدي فوق ذقني ورقبتي، ما يصعب الحلاقة".

قال بوارو:

"لا بد أن تستخدم كريمًا ملطفًا".

"أوه، أفعل ذلك؛ فالعم جورج أعطاني واحدًا".

ثم أطلق ضحكة مفاجئة، وأضاف:

"نحن نتكلم كما لو كنا في صالونات تجميل السيدات - الغسول، والدهانات الملطفة، والأقراص، ومشكلات النظر. ما علاقة كل هذه الأشياء ببعضها؟ إلام تريد أن تصل يا مسيو بوارو؟".

قال بوارو بهدوء:

"أحاول أن أبذل قصارى جهدي من أجل ديانا مابرلي".

تبدلت حالة هيو المزاجية، وهدأ وجهه، ووضع يده على ذراع بوارو.

وقال: "نعم، افعل ما بوسعك من أجلها، وأخبرها بأنها من الأفضل لها أن تنساني، وأخبرها بأنه لا جدوى من التعلق بأمل واه ... أخبرها ببعض من الأشياء التي أخبرتك بها ... أخبرها ... أخبرها بأن تبتعد عني بالله عليك! هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن تفعله من أجلي الآن! أن تبتعد عني وتحاول أن تنساني!".

5

"هل لديك الشجاعة يا آنسة؟ شجاعة كبيرة؟ سوف تحتاجين إليها".

صاحت ديانا بحدة:

"إذن هذا صحيح. هل هذا صحيح؟ هل هو مجنون؟".

قال هيركيول بوارو:

"أنا لست طبيب أمراض عقلية يا آنسة. ولست من يستطيع أن يقول: "هذا الرجل

مجنون، أو هذا الرجل عاقل".

اقتربت منه.

وقالت: "الأدميرال تشاندلر يعتقد أن هيو مجنون، وجورج فروبيشر يعتقد أنه مجنون، وهيو نفسه يعتقد أنه مجنون...".

كان بوارو يراقبها.

وقال: "وأنتِ يا آنسة؟".

"أنا؟ أنا أقول إنه ليس مجنونًا! هذا لأن... ".

توقفت عن الكلام.

فقال بوارو: "وهذا هو سبب مجيئك إليّ؟".

"أجل. ليس لديّ سبب آخر للذهاب إليك، أليس كذلك؟".

قال هيركيول بوارو: "هذا هو ما أسأل نفسي عنه يا آنسة!".

"لا أفهمك".

"مَن ستيفن جراهام؟".

حدقت إليه، وقالت:

"ستيفن جراهام؟ أوه، هو مجرد شخص".

أمسكته من يده وقالت:

"ماذا يدور بعقلك؟ فيم تفكر؟ أنت تقف هناك خلف شاربك الكبير، تومض عينيك في ضوء الشمس، ولا تخبرني بأي شيء. أنت تخيفني، تخيفني كثيراً. لماذا تخيفني؟".

قال بوارو: "ربما لأنني أنا نفسي خائف".

اتسعت العينان الرماديتان وحدقتا إليه.

وقالت بهمس:

"مم تخاف؟".

أخذ هيركيول بوارو نفسًا عميقًا وقال:

"الإيقاع بقاتل أسهل بكثير من منع جريمة".

صاحت: "جريمة؟ لا تستخدم هذه الكلمة".

قال هيركيول بوارو: "لكنني أستخدمها".

ثم غير من نبرة صوته، وتحدث بسرعة وتحكم.

وقال: "آنستي، من الضروري أن نقضي الليلة في ليد مانور. أريد منك أن ترتبي لهذا الأمر. هل يمكنك ذلك؟".

"نعم، أظن أنه يمكنني ذلك. لكن لماذا؟".

"لأنه لا وقت لدينا لكي نضيعه. أخبرتني بأنك شجاعة. فبرهني الآن على شجاعتك. افعلي ما أطلبه منكِ دون أية أسئلة".

أومأت برأسها دون أن تنطق بكلمة ثم سارت.

تبعها بوارو إلى داخل المنزل بعد مرور دقيقة أو اثنتين. بعدها سمع صوتها في المكتبة وصوت ثلاثة رجال؛ فصعد الدرج. ولم يكن هناك أحد في الطابق العلوي.

لقد وجد حجرة هيو تشاندلر بسهولة. وفي زاوية الغرفة، وجد حوضًا به مياه ساخنة وباردة. وفوق الحوض، على رف زجاجي، وجد أنابيب وأوعية وزجاجات متنوعة.

بدأ هيركيول بوارو العمل بسرعة ومهارة ...

ما كان عليه عمله لم يستغرق منه وقتًا كثيرًا، ثم هبط الدرج ونزل إلى البهو في اللحظة التي خرجت فيها ديانا من المكتبة، وهي تبدو متوردة ومتمردة.

قالت: "كل شيء على ما يرام".

أدخل الأدميرال تشاندلر بوارو المكتبة وأغلق الباب، ثم قال: "انظر يا مسيو بوارو، أنا لا يعجبني هذا".

"ما الذي لا يعجبك أيها الأدميرال تشاندلر؟".

"ديانا تصر على أن تقضي أنت وهي الليلة هنا. وأنا لا أريد أن أكون غير مضياف...".

"إنها ليست مسألة ضيافة".

"مثلما أخبرتك، لا أريد أن أكون غير مضياف، لكن بصراحة لا يعجبني هذا الأمر يا مسيو بوارو؛ فأنا لا أريده، ولا أفهم السبب من ورائه، وما جدوى ذلك؟".

"هل يمكن أن نعتبرها تجربة أقوم بها؟".

"أي نوع من التجارب؟".

"اعذرني، هذا عملي ...".

"اسمعني يا مسيو بوارو، لم أطلب منك أن تأتي إلى هنا من البداية...".

قاطعه بواور قائلًا.

"صدقني أيها الأدميرال تشاندلر، أنا متفهم تمامًا وأقدر وجهة نظرك. إنني هنا فقط ببساطة بسبب عناد فتاة محبة لخطيبها. أنت أخبرتني بأشياء معينة. وهيو نفسه أخبرني بأشياء معينة. والآن أريد أن أرى بنفسي".

"نعم، لكن ترى ماذا؟ أقول لك ليس هناك شيء لتراه! أنا أحبس هيو في غرفته كل ليلة وهذا كل شيء".

"ورغم ذلك، أخبرني بأنه أحيانًا يجد الباب غير موصد في الصباح؟".

"ما هذا؟".

"ألم تر بنفسك الباب غير موصد؟".

عبس تشاندلر وقال:

"دائمًا كنت أتخيل أن جورج هو من فتح الباب. ماذا تعني؟".

"أين تترك المفتاح - في المزلاج؟".

"كلا، أضعه في الصندوق بالخارج. أنا أو جورج أو ويثرز الخادم نأخذ المفتاح من الصندوق في الصباح. لقد أخبرنا ويثرز بذلك؛ لأن هيو يمشي في أثناء نومه ... يمكنني القول إنه يعرف الكثير، ولكنه شخص أمين، يخدمني منذ سنوات".

"هل هناك مفتاح آخر؟".

"لا أعرف بوجود مفتاح آخر".

"يمكن للفرد أن يصنع واحدًا".

"ولكن من...".

"ابنك يظن أنه هو نفسه من يخبئ مفتاحًا في مكان ما، بالرغم من أنه لا يعرف عنه شيئًا وهو في حالة يقظته".

تحدث الكولونيل فروبيشر من نهاية الغرفة، قائلًا:

"لا يعجبني ذلك يا تشارلز ... هذه الفتاة...".

قال الأدميرال تشارلز لـ بوارو بسرعة: "هذا ما كنت أفكر فيه. ويجب ألا تعود الفتاة معك. وعد أنت، إن كنت تريد".

قال بوارو: "لماذا لا تريدون للآنسة مابرلي أن تبقى هنا هذه الليلة؟".

قال فروبيشر بصوت منخفض:

"هذه مخاطرة كبيرة. ففي هذه الحالات...".

ثم توقف عن الكلام.

قال بوارو: "إن هيو مخلص في حبه إياها ...".

صاح تشاندلر: "هذا هو السبب! اللعنة عليك يا رجل، كل شيء ينقلب رأساً على عقب، حيث توجد حبيبة شخص مجنون. هيو نفسه يعرف هذا. ويجب ألا تأتي ديانا إلى هنا".

قال بوارو: "يجب أن تقرر ديانا بنفسها هذا الأمر".

خرج من المكتبة. وكانت ديانا بانتظاره في السيارة. صاحت قائلة: "سوف نحضر ما نحتاج إليه في هذه الليلة ونعود وقت العشاء".

بينما كانا في طريقهما، أعاد بوارو على مسامعها المحادثة التي دارت بينه وبين الأدميرال والكولونيل فروبيشر، فضحكت باستياء، وقالت: "هل يظنان أن هيو بإمكانه أن يؤذيني؟".

وكان رد بوارو أنه طلب منها التوقف عند صيدلية القرية، ثم قال لها إنه نسي أن يحضر معه معجون أسنان.

كانت صيدلية القرية في منتصف شارع القرية الهادئ. وقد انتظرت ديانا بالخارج في السيارة، ولكنها اندهشت من أن بوارو استغرق وقتاً طويلاً في اختيار معجون أسنان ...

6

وفي غرفة النوم الكبيرة التي تحتوي على أثاث من البلوط ذي طراز إليزابيثي، جلس هيركيول بوارو وانتظر. ولم يكن بيده ما يفعله سوى الانتظار. وكان قد أعد كل ترتيباته.

لقد كان وقتاً مبكراً من الصباح عندما جاءه استدعاء.

عند سماع وقع أقدام بالخارج، سحب بوارو المزلاج وفتح الباب. فكان هناك رجلان في الممر بالخارج... رجلان في منتصف العمر ولكنها يبدوان أكبر من عمرهما. لقد كان الأدميرال عابس الوجه ومتجهماً، والكولونيل فروبيشر كان متشنجاً ومرتعشاً.

قال تشاندلر ببساطة:

"هل تسمح بمرافقتنا يا مسيو بوارو؟".

هناك جسم يرقد خارج غرفة نوم ديانا مابرلي. والضوء ساقط فوق رأس أسمر ذي شعر مجعد. وكان هيو تشاندلر يرقد هناك ويغط. كان مرتدياً ملابس النوم والخف، ويحمل في يده اليمنى سكيناً لامعة وحادة. ولم تكن السكين لامعة بالكامل إذ كانت ملطخة ببقع حمراء.

تعجب هيركيول بوارو قائلاً بهدوء:

"يا إلهي!".

فقال فروبيشر بحدة:

"إنها بخير. لم يلمسها"، ثم رفع صوته وقال: "ديانا! نحن هنا! دعينا ندخل!".

سمع بوارو الأدميرال يتأوه ويتمتم في نفسه:

"ابني... ابني المسكين".

وكان هناك صوت مزاليج تسحب، ثم انفتح الباب ووقفت ديانا باهتة الوجه.

تلعثمت وهي تقول:

"ماذا حدث؟ كان هناك شخص يحاول الدخول. لقد سمعته وشعرت بالمقبض يحك في الباب، أوه! إنه شيء فظيع ... كأنه حيوان ...".

قال فروبيشر بحدة:

"حمداً لله أن الباب كان موصداً!".

"طلب مني السيد بوارو أن أوصده".

قال بوارو:

"احملوه وأدخلوه الغرفة".

لذا وقف الرجلان وحملا الشاب فاقد الوعي، بينما حبست ديانا أنفاسها لاهثة وهما يمران بجوارها.

وقالت: "هيو؟ إنه هيو! ما هذا الذي في يديه؟".

كانت يدا هيو تشاندلر متصلبتين ومبللتين بلون أحمر مسمر.

قالت ديانا وهي تلهث: "هل هذا دم؟".

نظر بوارو - متسائلاً - إلى الرجلين. أومأ الأدميرال وقال:

"نحمد الله على أنه ليس دماً بشرياً! إنها قطة! وجدتها في البهو بالأسفل، مذبوحة.

بعد ذلك، مؤكد أنه كان سيصعد إلى هنا...".

صاحت ديانا بصوت منخفض ومرعوب: "إلى هنا؟ إلى غرفتي؟".

بعدها تحرك الشاب فوق الكرسي وتمتم، وكانوا يراقبونه باندهاش. وقف هيو تشاندلر، وطرف بعينيه وقال:

"مرحبًا" - كان صوته مذهولًا وأجش، وأردف يقول: "ماذا حدث؟ لماذا أنا ـ...؟".

ثم توقف عن الكلام. وأخذ يحدق إلى السكين التي ما زال يحملها في يده.

قال بصوت بطيء وغليظ:

"ماذا فعلت؟".

انتقلت عيناه من شخص إلى آخر، واستقرتا على ديانا المتراجعة إلى الخلف عند الحائط؛ فقال بهدوء:

"هل هاجمت ديانا؟".

هز أبوه رأسه نفيًا. قال هيو:

"أخبرني ماذا حدث؟ يجب أن أعرف!".

أخبروه بماذا حدث... أخبروه كرهًا وعلى مضض. وكانت مثابرته الهادئة تشجعهم على الكلام.

ثم بدأت الشمس تسطع خارج النافذة، فسحب هيركيول بوارو الستارة جانبًا، فدخل شعاع شمس الصباح إلى الغرفة.

كان وجه هيو تشاندلر رابط الجأش، وصوته متماسكًا.

وقال:

"فهمت".

ثم نهض، وابتسم وفرد جسمه، وكان صوته طبيعيًا وهو يقول:

"يا له من صباح جميل! أقترح أن نخرج إلى الغابة ونصطاد أرنبًا".

خرج من الغرفة وتركهم يحدقون إليه.

ثم بدأ الأدميرال يتبعه؛ أمسكه فروبيشر من ذراعه.

وقال: "كلا يا تشارلز، كلا. إنها أفضل وسيلة لهذا المسكين، إن لم تكن الأفضل لغيره".

ألقت ديانا بنفسها باكية فوق السرير.

قال الأدميرال تشاندلر بصوت متفاوت النبرة:

"أنت محق يا جورج، أعرف أنك محق. إن هذا الصبي لديه الشجاعة ...".

قال فروبيشر بصوت مكسور أيضًا:

"إنه رجل ...".

سادت لحظة صمت قبل أن يقول تشاندلر:

"تبًا، أين ذلك الغريب الملعون؟".

7

في غرفة السلاح، حمل هيو تشاندلر بندقيته من خزانة الأسلحة وكان يستعد لتعبئتها عندما هبطت يد هيركيول بوارو فوق كتفه.

وقد نطق هيركيول بوارو بكلمة واحدة بنبرة سلطوية غريبة:

"كلا!".

حدق هيو تشاندلر إليه، وقال بصوت غاضب وغليظ: "أبعد يدك عني، لا تتدخل. لقد أخبرتك، بأن الأمر سيبدو حادثة. وهذه الطريقة الوحيدة للخلاص".

كرر هيركيول بوارو تلك الكلمة الوحيدة:

"كلا".

"ألا تدرك أنه لو لم يكن باب غرفتها موصدًا، كنت سأذبح ديانا... أذبح ديانا! بتلك السكين؟".

"لم أدرك شيئًا من هذا القبيل، لم تكن لتقتل الآنسة مابرلي".

"لقد قتلت تلك القطة، أليس كذلك؟".

"نعم، لم تقتل تلك القطة، ولم تقتل الببغاء، وأيضًا لم تقتل الخرفان".

حدق هيو إليه وسأله:

"هل أنت المجنون، أم أنا؟".

"لا أحد منا مجنون".

في تلك اللحظة، دخل الأدميرال تشاندلر والكولونيل فروبيشر، وخلفهما ديانا.

قال هيو تشاندلر بصوت ضعيف ومذهول:

"هذا الرجل يقول إنني لست مجنونًا ...".

قال هيركيول بوارو:

"يسعدني أن أخبرك بأن عقلك سليم تمامًا".

ضحك هيو ضحكة غريبة، ربما كانت متوقعة من شخص مجنون.

وقال: "هذه دعابة حمقاء؛ سليم العقل، هل ذبح خرفان وحيوانات أخرى سلامة عقل؟ هل كنت سليم العقل عندما ذبحت ببغاء؟ وذبحت القطة الليلة؟".

"أخبرتك بأنك لم تقتل الخرفان ولا الببغاء ولا القطة".

"مَن قتلهم إذن؟".

"شخص لديه الدافع؛ لأن يثبت أنك مجنون. وفي كل مرة كنت تعطى مخدرًا قويًا ويوضع سكين أو شفرة حلاقة ملطخة بالدم في يدك. وكان هناك شخص آخر يداه ملطختان بالدم هو من يغسل يديه في حوض غرفتك".

"لكن لماذا؟".

"لكي تفعل ما كنت على وشك أن تفعله عندما أوقفتك".

شرد هيو بنظره، واستدار بوارو إلى الكولونيل فروبيشر.

"كولونيل فروبيشر، لقد عشت سنوات طويلة في الهند؛ ألم تتعرض لحالات أشخاص دُفعوا إلى الجنون تحت سيطرة أدوية مخدرة؟".

توهج وجه الكولونيل فروبيشر، وقال:

"لم أتعرض لحالة بنفسي، ولكن سمعت مرارًا بتلك الحالات. تناول نبات الداتورا السام يقود الشخص إلى الجنون".

"بالضبط...، حسنًا، إن تأثير نبات الداتورا يقترب من تأثير - إن لم يكن يطابقه - مركب الأتروبين شبه القلوي المستخرج من نبات البيلادونا أو الباذنجان القاتل. إن مستحضرات البيلادونا شائعة جدًا، ومستحضر أتروبين سلفات نفسه يوصف بحرية لعلاج أمراض العيون. وبمضاعفة الجرعة عن طريق تحضيرها في صيدليات مختلفة، تتوافر كمية كبيرة من السم دون إثارة شكوك. يمكن استخلاص مركب شبه قلوي منه ووضعه في كريم حلاقة ملطف. وبدهان الكريم خارجيًا يحدث طفح جلدي، وهذا يؤدي بسرعة إلى كشط للبشرة في أثناء الحلاقة ويبدأ المخدر بالتسرب إلى الجهاز العصبي. وهذا تنتج عنه أعراض معينة... مثل جفاف الفم والحلق، وصعوبة البلع،

والهذيان، وازدواج للرؤية وكل الأعراض التي مر بها السيد تشاندلر في الواقع".

ثم التفت إلى الشاب، وقال: "ولكي أتخلص من آخر شك في عقلي، أخذت عينة واختبرتها، وسأخبرك بأن ذلك لم يكن افتراضاً بل حقيقة. إن كريم الحلاقة الخاص بك مخلوط بنسبة كبيرة من مستحضر أتروبين سلفات".

سأل هيو وهو شاحب ومضطرب:

"مَن فعل هذا؟ ولماذا؟".

قال هيركيول بوارو:

"هذا ما كنت أبحث فيه منذ وصولي إلى هنا. وكنت أبحث عن دافع للجريمة. إن ديانا مابرلي سوف تجني ثروة في حالة موتك، ولكنني لم أفكر فيها جدياً...".

لمعت عينا هيو تشاندلر، وقال: "أتمنى ألا تكون هي!".

"تخيلت دافعاً آخر للجريمة، والذي يتمثل في المثلث العاطفي؛ رجلين وامرأة. وكان الكولونيل فروبيشر يحب أمك، وتزوجها الأدميرال تشاندلر".

صاح الأدميرال تشاندلر:

"جورج؟ جورج! لن أصدق هذا".

قال هيو بصوت يميل للشك:

"هل تعني أن تلك الضغينة يمكن أن تصل إلى الابن؟".

قال هيركيول بوارو:

"في ظروف معينة، أجل".

صاح فروبيشر:

"هذه كذبة حقيرة! لا تصدقه يا تشارلز".

ابتعد الأدميرال تشاندلر عنه وتمتم في نفسه:

"الداتورا ... الهند... نعم، فهمت ... ولم نكن لنفكر في السم مع وجود حالات جنون بالفعل في العائلة ...".

ارتفع صوت هيركيول بوارو بقوة: "هذا صحيح! حالات جنون في العائلة. رجل مجنون عزم على الأخذ بالثأر، يتمتع بدهاء المجانين هناك، ويخبئ جنونه لسنوات"، ثم دار حول فروبيشر وقال: "كان يجب أن تعرف، كان يجب أن تشك في أن هيو ابنك؟ لماذا لم تخبره بذلك من قبل؟".

تلجلج فروبيشر، وبلع ريقه، ثم قال:

"لم أكن أعرف، لم أستطع التأكد ...، جاءتني كارولين ذات مرة وهي خائفة من شيء. وكانت في ورطة كبيرة، ولا أعلم، لم أكن أعلم مطلقاً ما الأمر. أنا وهي فقدنا عقلنا، ووقعنا في الخطيئة بعد ذلك، رحلت إلى الجيش كان هذا ما يجب عمله، كلانا كان يعلم أن علينا الاستمرار في اللعبة. كنت أشك ولكني لم أتأكد. ولم تقل كارولين أي شيء يعرِّفني أن هيو كان ابني. وبعد أن ظهرت علامات الجنون، فكرت في أن هذا الأمر يقطع الشك باليقين".

قال بوارو:

"نعم، قطع الشك باليقين! لم تستطع أن تلاحظ عادة الولد في أن يدفع وجهه إلى الأمام ويخفض حاجبيه فوق عينيه - تلك العادة التي ورثها منك. ولكن تشارلز تشاندلر لاحظها. إنه لاحظها منذ سنوات وعلم الحقيقة من زوجته. وأعتقد أنها كانت خائفة منه؛ حيث بدأت تلاحظ عليه علامات الجنون وهذا ما جعلها تلجأ إليك أنت الشخص الذي أحبته كثيراً. وقد خطط تشارلز تشاندلر للأخذ بثأره. وماتت زوجته في حادث قارب. كانا في القارب وحدهما وعرف كيف ينفذ تلك الحادثة، ثم عمل بجد على تغذية كراهيته ضد الولد الذي يحمل اسمه ولم يكن ابنه. وقد وضعت قصصك الهندية فكرة الداتورا السامة في رأسه - يجب دفع هيو إلى الجنون ببطء، حتى يصل إلى مرحلة اليأس من حياته. شهوة الدم موجودة لدى الأدميرال تشاندلر وليس هيو. وكان تشارلز تشاندلر هو من لديه الرغبة في ذبح الخرفان في الحقول المنعزلة، ولكن هيو هو من كان عليه تحمل الجزاء!

"هل تعلم متى ارتبت في الأمر؟ عندما رفض الأدميرال تشاندلر بشدة أن يزور ابنه طبيباً. وكان من الطبيعي جداً أن يمانع هيو في الذهاب، ولكن أن يمانع الأب! محتمل أن يكون هناك علاج ينقذ ابنه. كان هناك مائة سبب يجعله يسعى إلى استشارة طبيب. لكن كلا، لا يجب السماح لطبيب بفحص هيو تشاندلر؛ لأن الطبيب سوف يكتشف أن هيو عاقل جداً!".

قال هيو بهدوء شديد:

"عاقل ... أنا عاقل؟".

أخذ خطوة باتجاه ديانا، وقال فروبيشر بصوت أجش:

"أنت عاقل جداً. لا توجد عدوى جنون في عائلتنا".

صاحت ديانا:

"هيو ...".

فقد التقط الأدميرال تشاندلر بندقية هيو، وقال:

"كل هذا هراء! أعتقد أنني سوف أذهب وأرى إن كان بإمكاني العثور على أرنب... ـــــــــ".

كان فروبيشر على وشك أن يتقدم، ولكن هيركيول بوارو منعه. وقال له:

"أنت قلت بنفسك منذ قليل إنها أفضل وسيلة ...".

خرج هيو وديانا من الغرفة.

أما الرجلان، الإنجليزي والبلجيكي، فقد شهدا آخر فرد من عائلة تشاندلر وهو يعبر الحديقة ويتجه إلى الغابة.

وبعد لحظات، سمعا صوت إطلاق الرصاص ...

الفصل الثامن

خيول ديوميد

1

رن جرس الهاتف.

"مرحبًا يا بوارو, أهذا أنت؟".

أدرك هيركيول بوارو أن هذا هو صوت الطبيب الشاب ستودارت؛ حيث كان بوارو يحب مايكل ستودارت, ويستطيب ابتسامته الخجولة, كما كان يسعد باهتمامه الساذج بعالم الجريمة, ويحترمه كرجل مجتهد وبارع في مهنته.

واصل ستودارت حديثه مترددًا: "أنا لا أريد أن أزعجك...".

فقال هيركيول بحدة: "هل هناك ما يزعجك أنت؟".

بدا الارتياح في صوت مايكل: "بالضبط, لقد أصبت!".

"حسنًا, ما الذي يمكن أن أفعله من أجلك يا صديقي؟".

تغير صوت ستودارت ليتلجلج قليلًا في إجابته.

وقال: "أظن أنها ستكون و..وقا..وقاحة بالغة مني أن أطلب منك أن تأتي في هذه الساعة من الليل...ل..لكن..لكنني في مأ..مأزق".

"سآتي بالطبع, هل آتي إلى منزلك؟".

"كلا... إنني في الواقع في المجمع السكني الذي يقع بالخلف من منزلي, كونينبي ... مجمع, في منزل رقم 17, هل يمكنك أن تأتي؟ سأكون ممتنًا جدًا لهذا".

فقال هيركيول بوارو: "سأصل في الحال".

2

سار هيركيول بوارو بطول منازل مجمع ميوز المظلمة يتفحص أرقامها. وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحاً، وكان يبدو أن معظم سكان مجمع ميوز قد خلدوا إلى النوم, رغم وجود بعض النوافذ المضاءة.

وعندما وصل بوارو للمنزل رقم 17, انفتح الباب وأطل منه الطبيب ستودارت.

وقال: "يا لك من رجل طيب, هلا صعدت!".

وقد كان هناك سلم صغير أشبه بالدرج يؤدي إلى الطابق العلوي الذي كان يضم في ناحية اليمين حجرة كبيرة نسبياً مفروشة بالأرائك, والسجاجيد, والوسائد الفضية المثلثية الشكل, إلى جانب عدد كبير من الزجاجات والأكواب.

وكانت الفوضى تعم المكان؛ فأعقاب السجائر ملقاة في كل ناحية, وكان هناك أيضاً الكثير من الزجاجات المكسورة.

فقال هيركيول بوارو: "ها! عزيزي ستودارت, أعتقد أنه كانت هناك حفلة هنا!".

فقال ستودارت متجهماً: "أجل, كانت هناك حفلة, ويا لها من حفلة!".

"ألم تحضرها؟".

"نعم, إنني هنا بصفتي المهنية".

"ماذا حدث؟"

فقال ستودارت:

"إن هذا المكان يخص امرأة تدعى باشنس جراس... السيدة باشنس جراس".

فقال بوارو: "يبدو اسماً عريقاً وساحراً".

"ليس هناك ما هو ساحر أو عريق بخصوص السيدة جراس, إنها جميلة لكن ملامحها قاسية, وقد تزوجت عدة مرات, ولديها حاليا خطيب تشك أنه يحاول هجرها. لقد بدأوا الحفل بتناول الكحوليات وأنهوه بتناول المخدرات, وتحديداً مخدر الكوكايين. وهذا المخدر يجعلك في البداية تشعر بالنشوة وبأن كل شيء حولك على ما يرام, كما أنه يزيد من معدل نشاطك ويشعرك بأنك تستطيع أن تبذل ضعف الجهد الذي تبذله في الأوقات العادية. وفي حال تناولك جرعة زائدة منه, تصاب باستثارة ذهنية عنيفة, وحالة من الهذيان والشرود. وقد حدث أن وقعت مشاجرة عنيفة بين السيدة جراس وخطيبها, وهو شخص بغيض يدعى هوكر, وعلى إثر ذلك تركها في الحال, فانحنت على النافذة وأطلقت عليه النار بمسدس جديد أعطاها إياه شخص أحمق

ظن أن هذه فكرة جيدة".

فرفع هيركيول بوارو حاجبيه.

وقال: "هل أصابته؟".

"كلا! فالرصاصة ذهبت لمسافة أبعد منه بعدة مترات لتصيب متشرداً بائساً - كان يتسكع بين منازل ميوز مفتشاً في صناديق القمامة. - في كتفه، ومن ثم دوت صرخاته فحمله الجمع سريعاً إلى هنار, وزاد الموقف توتراً مع الدماء التي كانت تنزف منه, فاستدعوني".

"أجل".

"ضمدت جراحه, إذ لم تكن إصابته خطيرة. وبعد ذلك هرع نحوه بعض الأشخاص ليوافق في النهاية على أن يأخذ عشرة جنيهات مقابل ألا ينطق ببنت شفة عن الأمر, فسعد بذلك واعتبر الأمر ضربة حظ".

"وماذا عنك؟".

"كان لديّ مزيد من العمل لأؤديه, إذ أصيبت السيدة جراس حينها بحالة من الهيستريا والهياج الشديد, فأعطيتها مهدئاً ووضعتها في السرير. وكانت هناك فتاة أخرى فقدت وعيها, كانت سنها صغيرة, فتوليت أمرها أيضاً. في ذلك الوقت كان الجميع يخرجون خلسة من المكان بأسرع ما يمكن".

ثم صمت.

فقال بوارو: "وبعد ذلك, كان لديك متسع من الوقت لتفكر مليّاً في الموقف".

فقال ستودارت: "بالضبط. فلو كانت حفلة سكر عادية, لكانت تلك نهايتها, لكن المخدرات أمر مختلف".

"هل أنت متأكد مما تقوله؟".

"أوه, بالطبع, لا شك في ذلك, إنه كوكايين. لقد وجدت بعضاً منه في علبة الورنيش, حيث كانوا يستنشقونه. لكن السؤال هو, من أين أتى هذا الكوكايين؟ أتذكر أنك كنت تتحدث قبل أيام عن موجة جديدة وكبيرة من تعاطي المخدرات وزيادة في أعداد مدمني المخدرات".

أومأ هيركيول بوارو وقال:

"ستهتم الشرطة بأمر هذه الحفلة".

فقال مايكل ستودارت بحزن:

"الأمر وما فيه...".

فنظر إليه بوارو في انتباه وقال:

"لكن...لكن ألا تريد للشرطة أن تهتم بالأمر؟".

فتمتم مايكل ستودارت:

"هناك أبرياء يتورطون في بعض الأمور... فحظهم السيئ هو من يوقعهم في ذلك".

"هل يعتريك القلق بشأن السيدة باشنس جراس؟".

"يا إلهي, كلا, إنها امرأة حادة الطباع وقاسية المشاعر!".

فقال هيركيول بوارو بلطف:

"أهي إذن الفتاة الأخرى؟".

فقال الطبيب ستودارت: "هي بالطبع حادة الطباع أيضًا بعض الشيء, أقصد أنها تصف نفسها بذلك، لكنها صغيرة جدًا في السن, وجامحة بعض الشيء, لكن هذا مجرد حماقة وطيش لصغر سنها. إنها تورط نفسها في عمل مثل هذا؛ لأنها تعتقد أنه ذكاء أو حداثة أو شيء من هذا القبيل".

ظهرت على شفتي بوارو ابتسامة باهتة, ثم قال بلطف: "هل قابلت هذه الفتاة قبل الليلة؟".

أومأ مايكل ستودارت برأسه إيجابًا، فبدا كطفل يظهر عليه الارتباك.

وقال: "التقيتها مصادفة في ميرتونشير, في حفل ساهر - والدها جنرال متقاعد, حاد الطباع, سريع الغضب, ولديه من البنات أربع, وكلهن يتسمن بحدة الطباع مثل والدهن. إنهم يعيشون في منطقة سيئة؛ حيث يجري بالقرب منهم تدريبات على الأسلحة, إلى جانب الثراء الذي عليه المنطقة, فلا تشعر فيها بالروح التي كانت تميز البلدات في الماضي, فهي تمتلئ بالأثرياء, ومعظمهم شخصيات بغيضة, كما أن البنات تربطهن علاقات برفقاء سوء".

نظر إليه بوارو في تمعن لعدة دقائق, ثم قال:

"أفهم الآن لماذا رغبت في حضوري, هل تريدني أن أتولى هذا الأمر؟".

"هل ذلك ممكن؟ أشعر بأنني ينبغي أن أفعل شيئًا بشأن هذا الأمر, لكنني أعترف بأنني أود أن أبعد شيلا جرانت عن الأنظار بقدر المستطاع".

"يمكنني تدبر هذا الأمر, لكن أود رؤية الفتاة الشابة".

"هلم بنا".

صحبه ستودارت إلى خارج الحجرة, فانطلق من الحجرة المقابلة صوت غاضب:

"أيها الطبيب, بالله عليك أيها الطبيب, سأصاب بالجنون".

دخل ستودارت الحجرة وتبعه بوارو؛ فوجدا حجرة نوم تعج بالفوضى؛ حيث كانت البودرة مسكوبة على الأرض, والأواني والجرار في كل مكان, والملابس ملقاة في كل ناحية من الغرفة. أما فوق السرير، فكانت هناك امرأة ذات شعر أشقر مصبوغ ووجه قاسي الملامح, فهتفت:

"هناك حشرات تزحف عليّ... إنها هنا, أقسم أنها هنا, سأصاب بالجنون... بالله عليك, أعطني مهدئًا".

وقف الطبيب ستودارت بجانب السرير, وكانت نبرة صوته هادئة ورسمية.

فخرج هيركيول بوارو بهدوء من الحجرة, حيث كان في مواجهتها حجرة أخرى، ففتح بابها.

وكانت حجرة صغيرة جدًا, بل أصغر من أن تكون حجرة, وكان أثاثها لا يحمل أي شيء مميز. أما السرير فرقدت فوقه فتاة نحيفة دون حراك.

لقد سار هيركيول بوارو على أطراف أصابعه إلى جانب السرير وألقى نظرة على الفتاة.

فوجدها ذات شعر داكن, ووجه شاحب وطويل, وبالفعل, كانت صغيرة في السن جدًا...

لقد كان هناك خيط من بياض عينيها يظهر بين جفونها. ففتحت الفتاة عينيها اللتين كانتا تمتلئان بالخوف والدهشة. وحدقت النظر, ثم نهضت, وأمالت رأسها لتزيح إلى الخلف شعرها الأسود الغزير، وكان يبدو عليها الخوف؛ فجفلت قليلًا, كما يجفل حيوان بري عندما يشك في غريب يعرض عليه الطعام.

وقالت بصوتها الشاب الرفيع والحاد:

"من أنت بحق الله؟".

"لا تخافي يا آنسة".

"أين الطبيب ستودارت؟".

في تلك اللحظة، دخل ستودارت؛ فقالت الفتاة والارتياح يبدو في صوتها:

"أوه! ها أنتذا! مَن هذا؟".

"إنه صديقي يا شيلا, كيف حالك الآن؟".

فقالت الفتاة:

"لست على ما يرام... لماذا تناولت هذا المخدر الكريه؟".

فقال ستودارت بطريقة جافة:

"لو كنت مكانك, لما فعلت ذلك ثانية".

"لن... لن أفعل ذلك مرة أخرى".

فقال هيركيول بوارو:

"من أعطاك إياه؟".

اتسعت عيناها, وارتجفت شفتها العلوية قليلًا, ثم قالت:

"تناولته هنا... في الحفل, فقد جربناه جميعًا, وكان... وكان رائعًا في البداية".

فقال هيركيول بوارو بلطف:

"لكن مَن الذي جلبه إلى هنا؟".

هزت رأسها نفيًا.

وقالت: "لا أعرف... ربما يكون توني... توني هوكر, لكنني لا أعرف في الواقع أي شيء عنه".

فقال بوارو بلطف:

"هل هذه هي المرة الأولى التي تتناولين فيها الكوكايين يا آنسة؟".

أومأت بالإيجاب.

فقال ستودارت بغلظة: "ومن الأفضل أن تكون الأخيرة".

"أجل... أظن ذلك... لكنه كان رائعًا".

فقال ستودارت: "انظري يا شيلا جرانت, أنا طبيب وأعرف ما أتحدث عنه؛ ما إن يبدأ المرء في تناول المخدرات, حتى يدخل في نفق مظلم. لقد رأيت بعض الأشخاص الذين تعرضوا لذلك, وأنا أتحدث عن دراية بالأمر. إن المخدرات تفسد البشر, والجسد, والروح؛ فتناول الكحوليات رحلة صغيرة ولطيفة مقارنة بالمخدرات، فتوقفي عن تناولها من هذه اللحظة. صدقيني, فالأمر ليس مزحة! ترى، ما الذي سيقوله والدك عن هذه الليلة؟".

ارتفع صوت شيلا جرانت وقالت: "والدي؟ والدي؟", ثم شرعت في الضحك قبل أن تردف: "أعرف ما سيكون عليه وجهه إذا عرف! يجب ألا يعرف عن الأمر شيئًا, فهذا

سيشعل نيران غضبه!".

فقال ستودارت: "وسيكون لديه كل الحق في ذلك".

انطلق صوت السيدة جراس بنحيب طويل من الحجرة الأخرى: "أيها الطبيب... أيها الطبيب...".

تمتم ستودارت بكلمات غير لطيفة ثم خرج من الحجرة.

عاودت شيلا جرانت التحديق إلى بوارو والحيرة تراودها, فقالت:

"من أنت حقًا؟ لم تكن من ضمن المدعوين إلى الحفل؟".

"نعم, لم أكن في الحفل, إنني صديق للطبيب ستودارت".

"هل أنت أيضًا طبيب؟".

فقال بوارو محاولًا كالعادة أن يجعل جملة بسيطة تبدو كأنها استهلال لأول فصل في إحدى المسرحيات: "اسمي هيركيول بوارو...".

وكان للجملة الوقع المطلوب. فبين الحين والآخر، كان بوارو يفجع عندما يكتشف أن الجيل الأصغر سنًا لم يسمع عنه مطلقًا.

لكن كان من الواضح أن شيلا جرانت سمعت عنه؛ فقد كانت مندهشة ومشدوهة, وظلت تحدق وتحدق...

3

لقد قيل - سواء بمبرر أو بدون مبرر - إن الجميع لديهم عمة في توركواي.

وقيل أيضًا إن الجميع لديهم على الأقل ابن عم في ميرتونشير, وهي لا تبعد كثيرًا عن لندن, ويمارس بها أنشطة الصيد البري, وصيد الأسماك, والرماية, كما تضم قرى بها مناظر طبيعية خلابة، لكنها تفتقر بعض الشيء إلى الوعي الذاتي. وتتميز ميرتونشير كذلك بمنظومة جيدة للسكك الحديدة وطريق رئيسي جديد يسهل الانتقال بالسيارة من وإلى العاصمة؛ فالخدم لا يعارضون العيش بها كما يفعلون مع مناطق أخرى أكثر ريفية في جزر بريطانيا. ونتيجة لذلك, من المستحيل العيش في ميرتونشير إلا إذا كان لديك دخل مرتفع مكون من أربعة أرقام, ومع خصم ضريبة الدخل وأشياء أخرى, من الأفضل أن يكون الراتب مكونًا من خمسة أرقام.

وبما أن هيركيول بوارو بلجيكيًا وليس إنجليزيًا, فلم يكن لديه أولاد عمومة في البلدة, لكنه استطاع أن يكوِّن دائرة كبيرة من الأصدقاء, ومن ثم لم يجد صعوبة في دعوة نفسه لزيارة هذا المكان. كما أنه اختار أن تكون مضيفته سيدة عزيزة تتمثل متعتها الرئيسية في الحديث عن أحوال جيرانها, لكن العقبة الوحيدة التي كانت تواجه بوارو هي أنه كان مضطرًا للاستماع إلى أحاديث كثيرة تتعلق بأناس لا يهتم بأمرهم, وذلك قبل أن تجنح هذه السيدة بحديثها إلى شئون الأشخاص الذين يثيرون اهتمام بوارو.

قالت الليدي كارمايكل:"آل جرانت؟ أوه أجل, الجنرال وبناته الأربع. لا أندهش من أن الجنرال المسكين لا يستطيع السيطرة عليهن", ثم رفعت يديها بطريقة مسرحية وأردفت: "فماذا يمكن أن يفعل رجل مع أربع بنات؟". فقال بوارو: "ماذا يفعل حقًا؟" وأردفت قائلة:

"كان الجنرال شخصًا منضبطًا جدًا في فرقته العسكرية, هكذا قال لي، لكن انضباطه هذا لم يجد مع هؤلاء البنات , فالأمر لم يعد مثلما كنت شابة؛ فالكولونيل ساندِيز كان ضابطًا متشددًا, أتذكر أن بناته المسكينات...".

(انحرف الحديث لفترة طويلة إلى مصائب بنات ساندِيز وإلى أصدقاء الليدي كارمايكل في فترة الشباب).

ثم قالت الليدي كارمايكل وهي تعود إلى موضوع حديثها الأول: "لا أقول إن هناك ما يشين هؤلاء البنات، فكل ما هناك هو أنهن طائشات، ولهن صداقات مع أشخاص غير مرغوب فيهم. فالمكان هنا لم يعد كما كان في الماضي، فأغرب الناس يأتون ويعيشون هنا، فليس هناك ما يمكن أن تطلق عليه "إقليم". إنه المال, المال, المال في هذه الأيام. كما أنك تسمع هنا أغرب القصص! من قلت؟ أنتوني هوكر؟ أوه، أجل, أعرفه. إنه رجل بغيض جدًا, لكن من الواضح أنه فاحش الثراء. لقد أتى إلى هنا للصيد, وإقامة الحفلات الساهرة, والحفلات الخاصة أيضًا, هذا إذا صدق المرء كل ما يقال له, وهذا ما لا أفعله؛ لأنني أعتقد أن الناس سيئو المعشر. إنهم يعتقدون الأسوأ دائمًا. أتدري؟ أصبح من الموضة أن تقول إن فلانًا يتناول الكحوليات أو المخدرات. فأحدهم قال لي قبل أيام إن بنات الجنرال يتناولن الكحوليات, ولا أعتقد أن ذلك شيء لطيف ليقال على الإطلاق. فإن كان هناك شخص غريب الأطوار أو شاذ في سلوكياته, تجد أن الجميع يقولون عنه إنه يتناول "المخدرات" وهذا غير عادل أيضًا. إنهم يقولون ذلك عن السيدة لاركن، ورغم أنني لا أهتم بهذه المرأة, فإنني أعتقد حقًا أن الأمر لا يتعدى كونه شرودًا ذهنيًا. إنها صديقة عزيزة لـ أنتوني هوكر الذي تتحدث عنه, وهذا هو السبب في أنها تكره بنات جرانت؛ إذ تقول إنهن يسعين خلف الرجال! يمكن القول إنهن يفعلن ذلك قليلًا, لكن لِمَ لا يفعلن ذلك؟ إنه أمر طبيعي؛ إذ يتمتعن بجمال ساحر".

قاطعها بوارو بسؤال.

فقالت الليدي كارمايكل: "السيدة لاركن؟ يا عزيزي, ليس من الجيد أن تسألني عنها، أو عن أي شخص في هذه الأيام، يقولون إنها تجيد ركوب الخيول وإنها ميسورة الحال. ويقال أيضًا إن زوجها كان له شأن كبير في المدينة, وقد ظلت معه حتى مات. وهي لم تأتِ إلى هنا منذ فترة طويلة, بل أتت مباشرة بعد مجيء آل جرانت, دائمًا ما كنت أعتقد أنها...".

توقفت الليدي كارمايكل عن الحديث, وانفتح فمها, وجحظت عيناها, ثم مالت إلى الأمام ووجهت لـ بوارو ضربة حادة في أصابعه بمقص الورق الذي كانت تمسك به، فتجاهلت ألمه وهتفت بانفعال:

"أوه! إذن فهذا هو سبب وجودك هنا! يا لك من مخلوق لئيم ومخادع, إنني أصر على أن تخبرني بكل شيء عن الأمر".

"لكن وما هذا الأمر الذي تريدين مني أن أخبرك به؟".

هنا، حاولت الليدي كارمايكل أن تسدد له ضربة أخرى, لكن بوارو تفاداها ببراعة.

وقالت له: "لا تكن أحمق يا هيركيول بوارو! أستطيع أن أرى ارتجاف شاربك, إن جريمة ما أتتِ بك إلى هنا بالطبع, إنك تبتزني بلا حياء! والآن دعني أخمن, أهي جريمة قتل؟ مَن الذي مات في الفترة الأخيرة؟ لا يوجد إلا لويزا جيلمور وكانت تبلغ من العمر خمسة وثمانين عامًا, كما كانت تعاني داء الاستسقاء, من المستحيل أن تكون هي. والمسكين ليو ستافيرتون كسر عنقه في أثناء الصيد, وقام بوضعه في الجبس, فلا يمكن أن يكون هو. ربما ليست جريمة قتل, يا له من أمر محزن! إنني لا أتذكر أية سرقة لمجوهرات وقعت في الفترة الأخيرة... ربما يكون مجرمًا فحسب تقتفي أثره...أهي بريل لاركن؟ هل سمت زوجها؟ ربما الإحساس بالذنب هو ما جعل سلوكياتها غامضة".

فهتف هيركيول بوارو: "سيدتي, سيدتي, إن خيالك ذهب بعيدًا".

"إن هذا لهراء, لا بد أن يكون وراءك شيء يا هيركيول بوارو".

"هل أنتِ مطلعة على أدب الإغريق والرومان يا سيدتي؟".

"ما علاقة أدب الإغريق والرومان بهذا الأمر؟".

"بالطبع للأمر علاقة به, إنني أحاكي سلفي هرقل, وأحد أعماله هو ترويض خيول ديوميد البرية".

"لا تقل لي إنك أتيت إلى هنا من أجل تدريب الخيول وأنت في مثل هذه السن, بل ودائمًا ما ترتدي أحذية جلدية! لا يبدو لي أنك امتطيت حصانًا من قبل في حياتك!".

"إن الخيول يا سيدتي كانت رمزية, فقد كانت خيولًا وحشية تتغذى على لحوم

البشر".

"يا لهم من بشعين, إنني أرى دائمًا أن قدماء الإغريق والرومان هؤلاء شخصيات بغيضة. لا أفهم لماذا يغرم رجال الدين بالاقتباس من أدبهم, إنني لا أفهم ما يعنونه، ودائمًا ما يبدو لي أن موضوعات هذا النوع من الأدب لا تناسب مطلقًا رجال الدين. لقد كان هؤلاء القدماء يرتكبون الآثام, وينحتون تماثيل غير محتشمة, لا أقول إنني أنزعج من ذلك شخصيًا لكنك تعرف طبيعة رجال الدين, إنهم ينزعجون جدًا إذا أتت البنات إلى دار العبادة دون جوارب, دعني أر, أين كنت؟".

"أنا لست متأكدة تمامًا".

"أظن أيها المخادع أنك لن تخبرني بما إذا كانت السيدة لاركن قد قتلت زوجها، أو ربما أنتوني هوكر هو سفاح برايتون الشهير" .

ثم نظرت إليه في أمل, لكن وجه هيركيول بوارو ظل جامدًا.

قالت الليدي كارمايكل متكهنة: "ربما يكون الأمر تزويرًا, لقد رأيت السيدة لاركن في البنك في صباح سابق، حيث كانت قد صرفت شيكًا بقيمة خمسين جنيهًا, بدا لي آنذاك أنها أموال كثيرة بالنسبة لكون السيدة لاركن تريدها نقدًا. أوه، كلا, لقد أخطأت, لو كانت لاركن مزورة لكانت أودعت الأموال في حسابها, أليس كذلك؟ انظر يا بوارو, إذا ظللت تجلس هكذا مثل البومة دون أن تنطق ببنت شفة, فسأرميك بشيء".

فقال هيركيول بوارو: "عليكِ أن تتحلي بقليل من الصبر".

4

لم يكن منزل أشلي لودج, الذي يقيم فيه الجنرال جرانت, كبيرًا في حجمه؛ فقد كان يقع على جانب التل, حاويًا بين جنباته إصطبلات جيدة, وحديقة مهملة.

أما بالداخل، فكان هناك ما يمكن لسمسار العقارات أن يصفه بأنه مكان "كامل الأثاث", إذ كان هناك تمثال يجلس, وصوانٍ وطاولات نحاسية على الطراز الهندي تشغل أرضية المكان, إلى جانب صف من الفيلة يزين رف الموقد, وأعمال نحاسية سيئة تزين الجدران.

وفي وسط هذا المنزل الإنجليزي - الهندي المريح, كان الجنرال جرانت يجلس فوق مقعد كبير ومتداعٍ, بينما يضع قدمه الملفوفة في ضمادة, فوق مقعد آخر.

فقال: "إنه التهاب المفاصل, ألم تعانِ هذا من قبل يا مسيو... إيه... بوارو؟ إنه يعكر مزاج المرء! هذا كله بسبب أبي؛ إذ كانَ يتناول الكحوليات طوال حياته, وكذلك فعل جدي, وقد أثر عليّ ذلك بالسلب. هل تريد أن تحتسي مشروبًا؟ هل من الممكن أن تدق هذا الجرس من أجل أن يأتي الخادم؟".

ظهر خادم يرتدي عمة هندية, فناداه الجنرال جرانت باسم عبدول وأمره بإحضار عصير، ثم أتى الخادم به وصب منه كمية كبيرة قبل أن يعترض بوارو على ذلك.

نظر الجنرال إلى دورق العصير بحزن وقال: "معذرة, لا أستطيع أن أشاركك في احتساء هذا الشراب يا مسيو بوارو, فطبيبي يقول إن تناوله يمثل خطرًا عليّ. لا أظن أنه طبيب جيد, فهناك أطباء جهلاء لا يعرفون إلا إفساد متعة الآخرين, بل ويستمتعون بمنع المرء عن طعامه وشرابه المعتاد ونصحه بتناول أطعمة بلا مذاق مثل السمك المطهو على البخار, السمك المطهو على البخار... تبًا!".

وفي وسط سخطه، حرك الجنرال سهوًا قدمه المصابة فصرخ ألمًا من جراء الوخزة الحادة التي نتجت عن هذه الحركة.

واعتذر عن الطريقة التي تحدث بها.

وقال: "إنني مثل دب سريع الغضب. إن بناتي يبتعدن عني عندما يصيبني ألم المفاصل, ولا ألومهن على ذلك! سمعت أنك قابلت واحدة منهن".

"أجل, لقد نلت شرف مقابلتها, لديك عدد كبير من البنات, أليس كذلك؟".

فقال الجنرال على نحو عابس: "أربع بنات, ليست لديّ أية صبية... أربع بنات, وهذا يعد سخافة في تلك الأيام".

"لقد سمعت أنهن فاتنات!".

"الأمر ليس سيئًا جدًا, ليس سيئًا جدًا. أتدري؟ أنا لا أعرف أبدًا ما ينتوين فعله. فمن الصعب السيطرة على البنات في هذه الأيام؛ فالانحلال أصبح في كل مكان, فماذا يمكن للمرء أن يفعل؟ فلا أستطيع أن أحبسهن في المنزل, أليس كذلك؟".

"أرى أنهن مشهورات في الحي".

فقال الجنرال جرانت: "بعض السيدات الخبيثات العجوزات يكرهوهن, فهناك كثير من البشر يتخفون في زي الحمل الوديع. ويجب على المرء أن يتخذ حذره, فإحدى تلك الأرامل كادت توقعني في شراكها, فقد كانت تأتي إلى هنا وتخرخر مثل الهرة: " أيها الجنرال المسكين, لا بد أنك شهدت حياة ممتعة", وغمز الجنرال ووضع إصبعه فوق أنفه وأردف: "لكن إذا نظرنا إلى الصورة في مجملها يا مسيو بوارو, فلن نجد أنه حي سيئ, رغم أنه يعج بالضوضاء. لقد كنت أحب البلدة عندما كانت بلدة هادئة, وليست مليئة بكل هذه السيارات وموسيقى الجاز وذلك الراديو البغيض. لن أشتري

واحداً، والبنات يعرفن ذلك. فمن حق المرء أن يتمتع بالقليل من السكينة في منزله".

حوّل بوارو بلطف دفة الحوار إلى أنتوني هوكر.

"هوكر؟ هوكر؟ ألا تعرفه؟ أجل, إنني أعرفه؛ فهو رجل سيئ المظهر وعيناه قريبتان من بعضهما, فلا تثق برجل لا يستطيع أن ينظر إلى وجهك".

"أهو صديق لابنتك شيلا؟".

"شيلا؟ لم أكن على علم بذلك؛ فالبنات لا يخبرنني بأي شيء", ثم قطب الجنرال حاجبيه الكثين حتى كادا يهبطان فوق أنفه, واحمر وجهه بينما كان ينظر مباشرة في وجه بوارو رامقاً إياه بعينيه الثاقبتين الزرقاوين وقال: "اسمع يا مسيو بوارو, ماذا هناك؟ هلا أخبرتني بما جئت من أجله!".

فقال بوارو ببطء:

"سيكون هذا صعباً, فأنا شخصياً لا أعرف. وسأقول هذا فحسب: ابنتك شيلا, وربما جميع بناتك, تربطهن صداقات بأشخاص لهم سمعة سيئة".

"إنهن يورطن أنفسهن في تصرفات سيئة, أليس كذلك؟ كنت أخشى ذلك؛ فالمرء يسمع كلمة من هنا ومن هناك", ثم نظر إلى بوارو في تأثر وقال: "لكن ماذا أفعل يا مسيو بوارو؟ ماذا أفعل؟".

هز بوارو رأسه في ارتباك.

فأردف الجنرال جرانت:

"ما الخطأ في الأشخاص الذين يرافقونهم؟".

أجابه بوارو بسؤال آخر:

"هل لاحظت يا جنرال جرانت أن بناتك أحياناً ما يكن في مزاج جيد ومفعمات بالنشاط, وأحياناً أخرى يصبن بالاكتئاب, والعصبية, ويصبحن في حالة مزاجية سيئة؟".

"يا إلهي, إنك تتحدث مثل الطبيب الشرعي. كلا لم ألحظ أي شيء من ذلك".

فقال بوارو بجدية: "هذا لحسن الحظ".

"ما معنى هذا كله بحق الله؟".

"المخدرات!".

"ماذا؟!".

دوت الكلمة في أرجاء المكان.

فقال بوارو:

"هناك محاولة لاستمالة ابنتك شيلا لأن تصبح مدمنة مخدرات. إن إدمان الكوكايين يحدث سريعاً؛ فالأمر لا يستغرق إلا أسبوعاً أو اثنين على الأكثر. وما إن يدمن المرء المخدر, حتى يكون على استعداد لأن يدفع أي شيء, أو أن يفعل أي شيء, ليحصل على مزيد منه. فلك أن تتخيل مدى الثراء الذي يصبح عليه الشخص الذي يتاجر في هذا المخدر".

استمع بوارو في صمت إلى الغمغمة, والغضب, والسباب الذي تفوهت به شفتا الجنرال. وبعد أن هدأت نيران غضبه, وحدد بالضبط ما سيفعله بهذا الرجل الذي فعل ذلك بابنته عندما يمسك به, قال هيركيول بوارو:

"يجب أولًا, كما قالت السيدة بيتون المثيرة للإعجاب, أن نمسك برأس الأفعى. فبمجرد أن نقبض على تاجر المخدرات, سأسلمه لك بكل سعادة يا جنرال".

نهض بوارو وكاد يتعثر في طاولة صغيرة شديدة التقوس, لكنه استعاد توازنه بعد أن تشبث بالجنرال متمتماً:

"أستسمحك وقد أتوسل إليك يا جنرال, إنك تفهم معنى أن أتوسل إليك, ألا تقول شيئاً عن هذا الموضوع لبناتك".

"ماذا؟ سأستنطق الحقيقة منهن, هذا ما سأفعله!".

"هذا بالضبط ما لا يجب أن تفعله؛ لأنهم سيكذبن عليك".

"لكن, يا سيدي...".

"يجب أن تمسك لسانك يا جنرال جرانت؛ فهذا مهم, أتفهم؟ مهم جداً!".

دمدم الجندي العجوز: "أوه، حسنًا, افعل ما يحلو لك".

استسلم الجنرال بطلب بوارو، ولكنه لم يكن مقتنعاً.

تلمس هيركيول بوارو طريقه بحذر بين الأعمال النحاسية الهندية وغادر.

5

إن حجرة السيدة لاركن كانت مليئة بالناس. أما السيدة لاركن نفسها، فكانت تُعد المشروبات على طاولة جانبية - وكانت امرأة طويلة القامة، ذات شعر كستنائي شاحب

اللون مضموم خلف عنقها، وكانت عيناها ذواتي لون رمادي يميل إلى الخضرة، مع بؤبؤ عين كبير وأسود، وكانت تتحرك بسلاسة ونعومة, حتى إنها كانت تبدو كما لو أنها في عقود مبكرة من عمرها. ولكن نظرة واحدة متفحصة وعن قرب لوجهها كانت تكفي لرؤية الخطوط الموجودة عند زوايا عينيها والتي تشير إلى أنها أكبر عشر سنوات من مظهرها.

وكان هيركيول بوارو قد حضر برفقة إحدى صديقات الليدي كارمايكل, وهي امرأة رشيقة في أواسط عمرها، فوجد رفيقته تعرض عليه مشروباً، وتشير عليه بإعطاء واحد لفتاة تجلس في الواجهة. كانت الفتاة ضئيلة الحجم, حسنة المظهر, وكان لون وجهها مزيجاً بين الأبيض والوردي وتبدو عليه الرقة. وقد لاحظ بوارو في الحال أن عينيها في حالة تأهب وشك.

فقال:

"تفضلي يا آنسة".

فأومأت وشربت, ثم قالت فجأة:

"إنك تعرف أختي".

"أختك؟ آه, أنتِ إذن إحدى بنات الجنرال جرانت؟".

"أنا بام جرانت".

"وأين أختكِ اليوم؟".

"إنها تصطاد بالخارج, وستعود سريعاً".

"لقد قابلت أختكِ في لندن".

"أعلم ذلك".

"هل أخبرتك بذلك؟".

أومأت بام جرانت بالإيجاب وقالت فجأة:

"هل تقع شيلا في مشكلة؟".

"إذن، فهي لم تخبرك بكل شيء؟".

هزت الفتاة رأسها, نفياً وقالت متسائلة:

"هل كان أنتوني هوكر هناك؟".

وقبل أن يجيب بوارو, انفتح الباب ودخل هوكر وشيلا جرانت. كانا يرتديان ملابس الصيد، وكان على وجنة شيلا مسحة من الطين.

"مرحبًا بالجميع, لقد أتينا لنحتسي مشروبًا, ففم أنتوني جاف".

تمتم بوارو:

"ها قد حضر الطيبون عند ذكرهم".

فردت بام جرانت بعنف:

"تقصد الشياطين".

فقال بوارو بحدة:

"أهو من هذا القبيل؟".

تقدمت بريل لاركن وقالت:

"ها أنتذا يا توني, حدثني عن جولتك، هل اقتنصت صيدًا ثمينًا؟".

جذبته لاركن بمهارة نحو إحدى الأرائك، فشاهده بوارو يلتفت وينظر إلى شيلا قبل أن يذهب.

كانت شيلا قد شاهدت بوارو, فترددت للحظة, ثم أتت نحو بوارو وأختها وقالت:

"إذن أنت من أتى إلى المنزل بالأمس؟".

"هل أخبرك والدك بالأمر؟".

فهزت رأسها نفيًا وقالت:

"عبدول وصفك. وأنا... خمنت".

فهتفت بام: "هل ذهبت لرؤية أبي؟".

فقال بوارو: "آه... أجل, فلدينا أصدقاء مشتركون".

فقالت بام بحدة: "لا أصدق ذلك".

"ما الذي لا تصدقينه؟ أن والدك وأنا لدينا أصدقاء مشتركون؟".

احتقن وجه الفتاة.

ثم قالت: "لا تتظاهر بالحمق... أعني أن هذا لم يكن حقًا سبب زيارتك...".

والتفتت إلى أختها قائلة:

"لِمَ لا تقولين شيئًا يا شيلا؟".

فقالت شيلا:

"ألم يكن... ألم يكن الأمر يتعلق بتوني هوكر؟".

فقال بوارو: "لماذا ينبغي أن يكون متعلقًا به؟".

تخضب وجه شيلا بالحمرة وذهبت إلى الناحية الأخرى من الغرفة لتنضم إلى غيرها.

فقالت بام بحدة مفاجئة لكن بصوت منخفض:

"لا أحب أنتوني هوكر, أشعر بأن نفسه تحمل نيات شريرة, وكذلك السيدة لاركن, فانظر إليهما الآن".

ثم تبع بوارو نظراتها.

وكان رأس هوكر ملاصقًا لرأس مضيفته السيدة لاركن, فبدا أنه يهدئ من روعها؛ فارتفع صوتها لدقيقة.

وقالت: "... لكني لا أستطيع الانتظار, أريده الآن!".

فقال بوارو بابتسامة خفيفة:

"يا للجنس اللطيف! أيًا كان ما يردنه، فإنهن يردنه في الحال, أليس كذلك؟".

لكن بام جرانت لم ترد, بل كانت مطرقة الوجه تثني وتفرد تنورتها الصوفية في توتر.

فهمهم بوارو محدثًا إياها:

"إنك طراز مختلف تمامًا عن أختك يا آنسة".

رفعت بام رأسها في حدة، جازعة من التفاهات التي يتبادلها بوارو في حديثه معها وقالت:

"مسيو بوارو, ما المخدر الذي يعطيه توني لشيلا؟ ما ذلك المخدر الذي يجعلها مختلفة؟".

فنظر لها مباشرة وقال:

"هل تناولت الكوكايين من قبل يا آنسة بام؟".

فهزت رأسها نفيًا.

وقالت: "كلا! أهذا هو المخدر إذن؟ الكوكايين؟ لكن أليس ذلك خطيرًا جدًا؟".

تقدمت شيلا جرانت نحوهما وفي يدها مشروب وقالت:

"ما هو الخطير؟".

فقال بوارو:

"نحن نتحدث عن آثار تعاطي المخدرات, عن الموت البطيء للعقل والروح, عن تدمير كل ما هو جيد وحقيقي في الإنسان".

انقطعت أنفاس شيلا, وترنح في يدها المشروب الذي كانت تحمله حتى انسكب على الأرض، فأكمل بوارو:

"أعتقد أن الطبيب ستودارت أوضح لك معنى أن يموت المرء وهو على قيد الحياة ... إنه طريق من السهل قطعه, لكن من الصعب جداً الرجوع فيه؛ فالشخص الذي يتكسب عمداً من معاناة الآخرين ليس إلا مصاص دماء يتغذى على لحومهم ودمائهم".

ابتعد بوارو, إذ سمع خلفه صوت بام جرانت تقول: "شيلا!", ثم تناهى إلى مسامعه همس خافت نطقت به شيلا جرانت؛ كان همسها منخفضاً جداً حتى إنه لم يستطع سماعه:

"القنينة...".

ودع هيركيول بوارو السيدة لاركن وخرج إلى البهو, حيث كانت فوق طاولته قنينة صيد وسوط وقبعة، فالتقط بوارو القنينة ليجد محفوراً عليها بالحروف الأولى: أيه.إتش.

فقال بوارو لنفسه مهمهماً:

"هل قنينة أنتونى فارغة؟".

هزها بلطف, لكنه لم يسمع صوتاً لسائل بداخلها, ففتح غطاءها العلوي.

لم تكن قنينة أنتوني هوكر فارغة, بل كانت مليئة بالبودرة البيضاء...

6

وقف هيركيول بوارو في شرفة منزل الليدي كارمايكل مجادلاً إحدى الفتيات.

وقال:

"أنت صغيرة جداً يا آنسة, أعتقد أنك لست على علم حقّاً, بما تفعلينه أنت وأخواتك. أنتن تتغذين, مثل فرسات ديوميد, على لحوم البشر".

ارتجفت شيلا ونشجت قائلة:

"يبدو الأمر فظيعاً حين تتحدث عنه بهذا الشكل, ومع ذلك فهو حقيقي! لم أدركه حتى تلك الليلة في لندن عندما تحدث إليّ الطبيب ستودارت؛ فقد كان جاداً وصادقاً جداً. وحينها أدركت مدى بشاعة ما كنت أفعله... قبل ذلك، كنت أعتقد أنه مثل مشروب يتم احتساؤه بعد ساعات العمل - شيء يدفع الناس الأموال للحصول عليه, لكنه غير ذي أهمية على الإطلاق!".

فقال بوارو:

"والآن؟".

فقالت شيلا جرانت:

"سأفعل أي شيءٍ تقوله, س- ... سأتحدث إلى الآخرين... لا أظن أن الطبيب ستودرات سيتحدث إليّ مرة أخرى...".

فقال بوارو: "على العكس, فالطبيب ستودرات وأنا مستعدان لمساعدتكِ بكل الطرق وبكل ما أوتينا من قوة لتستعيدي ذاتكِ. يمكنكِ الوثوق بنا, لكن هناك شَيئًا يجب أن نفعله, فهناك شخص واحد يجب أن يتم تدميره نهائيًا, وأنت وأخواتكِ فحسب تستطعن تدميره, إنها شهادتكِ وشهادتكِ وحدها هي التي ستدينه وتلقي به في السجن".

"تعني...أبي؟".

"إنه ليس والدكِ يا آنسة, ألم أقل لكِ إن هيركيول بوارو يعرف كل شيء؟ فالجهات الرسمية تعرَفت على صورتكِ بسهولة. أنت شيلا كيلي, سارقة المعروضات التي أرسلت إلى الإصلاحية منذ عدة سنوات. وحين خرجتِ منها, تقربتِ إلى رجل يسمي نفسه الجنرال جرانت, وقد عرض عليكِ هذه الوظيفة, وظيفة "الابنة". ووعدكِ بالتمرغ في الأموال وألوان البهجة. وكل ما كان عليكِ فعله هو تقديم "المخدر" لأصدقائكِ, متظاهرة دائمًا بأن شخصًا آخر هو من أعطاكِ إياه, وكانت "شقيقاتكِ" يسرن على المنوال ذاته".

صمت لوهلة ثم قال:

"هيا يا آنسة, يجب أن يتم كشف هذا الرجل وإيداعه في السجن, بعدئذ...".

"أجل, بعدئذ ماذا؟".

سعل بوارو وقال بابتسامة:

"ينبغي أن تكرسي وقتكِ للعبادة...".

7

حدق مايكل ستودارت إلى بوارو في دهشة وقال:

"الجنرال جرانت؟ الجنرال جرانت؟".

"بالضبط يا عزيزي, فكل شيء كان "مزيفًا", التماثيل, والأعمال النحاسية الهندية, والخادم الهندي! وحتى التهاب المفاصل! فالعجائز هم من يعانون التهاب المفاصل, وليس الآباء الذين لديهم فتيات في سن التاسعة عشرة.

"وقد تأكدت من ذلك, فعند انصرافي من عنده, تعثرت, فتشبثت بقدمه المصابة، لكنه ارتبك جدًا حينما قلت له إنه لم يلحظ ذلك ولم يشعر بي وأنا أتشبث بساقه. أجل, هذا الجنرال مزيف جدًا! رغم أنها فكرة ذكية؛ فقد تقمص دور الجنرال المتقاعد الإنجليزي - الهندي, الشخص الهزلي المعروف الذي يعاني الصفراء في كبده ويتسم بسرعة الغضب, ولم يستقر وسط ضباط الجيش المتقاعدين من الإنجليز - الهنود؛ بل ذهب ليعيش في حي مرتفع المستوى بالنسبة لرجل الجيش المتقاعد. فهناك يعيش أناس أثرياء, أناس من لندن, وهو ما يجعل من الحي بيئة ممتازة لترويج بضاعته من المخدرات. فمن الذي سيشك في أربع بنات صغيرات ساحرات؟ فإذا انكشف أي شيء, فسينظر لهن على أنهن ضحايا, هذا مؤكد!".

"ماذا كانت فكرتك بالضبط حينما ذهبت لزيارة الشيطان العجوز؟ أكنت تريد إرباكه؟".

"أجل, أردت أن أرى ما سيحدث, فلم أنتظر طويلًا؛ إذ كانت الفتيات لديهن الأوامر بأن يتخذن أنتوني هوكر كبش فداء, وهو في الواقع أحد ضحاياهن. كانت شيلا ستقول لي عن القنينة التي كانت في البهو. وكادت تمنع نفسها عن فعل ذلك, لكن الفتاة الأخرى نطقت فجأة في غضب وقالت: "شيلي", فتلعثمت ونطقت بالكلمة".

لذا نهض مايكل ستودارت وذرع المكان جيئة وذهابًا, ثم قال:

"لن يجعلني هذا أغير نظرتي في تلك الفتاة, فلديّ نظرية سليمة جدًا عن ميول هؤلاء المجرمين المراهقين, فإذا نظرت داخل المنازل, فستجد دائمًا...".

فقاطعه بوارو.

وقال:

"يا عزيزي, إنني أقدر علمك كثيرًا, وليس لديّ شك في أن نظرياتك ستعمل على نحو رائع مع مشكلة الآنسة شيلا كيلي".

"ومع الآخرين, أيضًا".

"ربما, لكن الشخصية الوحيدة التي أتيقن أنك ستفعل هذا معها هي الصغيرة شيلا. فلا شك أنك ستروضها! في الواقع إنك تسيطر عليها بالفعل...".

كست وجه مايكل ستودارت حمرة الخجل وقال:

"ما هذا الهراء الذي تتحدث عنه يا بوارو؟".

الفصل التاسع

حزام هيبوليتا

1

هناك أمر يقود لآخر, هكذا يحب هيركيول بوارو أن يقول دون أن يكون في العبارة شيء من التميز.

لكنه يضيف أن أكثر تجليات هذا الأمر وضوحًا كان في قضية روبنس.

لم يكن روبنس يثير اهتمامه كثيرًا؛ أولًا لأنه ليس من بين الرسامين الذين يعجب بهم, ثانيا لأن ملابسات سرقة إحدى لوحاته كانت عادية جدًا، لكنه قبل القضية مجاملة لـ ألكسندر سيمبسون الذي كان صديقا له, وكذلك من أجل سبب محدد وخاص به يتعلق بأدب الإغريق والرومان!

بعد أن وقعت السرقة, أرسل ألكسندر سيمبسون في طلب بوارو وأفصح له عن كل الويلات التي انصبت عليه. وكانت اللوحة التي سرقت حديثة الاكتشاف, وتحفة فنية غير معروفة من قبل. وقد كانت معروضة في معرض سيمبسون حيث سرقت في وضح النهار. وذلك في الوقت الذي كان العاطلون عن العمل ينفذون فيه خططهم في الاستلقاء على معابر الشوارع والتسلل إلى فندق ريتز. وكان أحدهم قد دخل معرض سيمبسون وافترش الأرض رافعًا لافتة تقول: "الفن رفاهية، أطعموا الجوعى". عندئذ استدعيت الشرطة, وتجمهر الناس يراقبون المشهد في فضول, وبعد أن أجبر المتظاهرون على مغادرة المكان وفضت الشرطة تجمعاتهم, لوحظ أن لوحة روبنس حديثة الاكتشاف اقتلعت بدقة من إطارها وغادرت المكان أيضًا!

فقال السيد سيمبسون: "كانت لوحة صغيرة, استطاع أحدهم أن يضعها أسفل ذراعه ويخرج من المكان بينما كان الجميع مشغولين بمتابعة هؤلاء المغفلين التعساء من العاطلين عن العمل".

وقد اتضح أن المتظاهرين كان قد دُفِعَ لهم من أجل تأدية دورهم البريء في

السرقة؛ إذ طُلبَ منهم أن يتظاهروا في معرض سيمبسون, لكنهم لم يكونوا على علم بالسبب حتى حَدثت السرقة.

وكان هيركيول بوارو يرى أنها خدعة ظريفة لكنه لم يكن يعرف ما يمكن أن يفعله بهذا الشأن، فأشار إلى أن الشرطة يمكن الوثوق بها للتعامل مع هذه السرقة البسيطة.

فقال ألكسندر سيمبسون:

"أنصت لي يا بوارو, أعرف من سرق اللوحة وأين ذهب بها".

فوفقًا لمالك معرض سيمبسون, هناك عصابة من المحتالين العالميين قد سرقوا اللوحة من أجل أحد المليونيرات الذي لا يتورع في الحصول على أعمال فنية بثمن منخفض لدرجة تثير الدهشة, دون أن يسأله أحد عن ذلك! وقد قال سيمبسون إن لوحة روبنس ستهرب إلى فرنسا، حيث ستنتقل إلى حيازة أحد المليونيرات. وكانت الشرطة الإنجليزية والفرنسية في حالة تأهب, رغم أن سيمبسون كان يرى أنها لن تنجح في كشف غموض القضية؛ حيث قال: "وما إن تصبح في حيازة هذا الكلب القذر, سيزداد الأمر تعقيداً. إن الرجال الأثرياء يجب أن يعاملوا باحترام, وهذا هو سبب استدعائك؛ فالموقف يحتاج إلى كياسة, وأنت أنسب رجل لذلك".

في النهاية, ودون إبداء حماسة نحو الأمر, اقتنع هيركيول بوارو بقبول المهمة, ووافق على السفر في الحال إلى فرنسا. لم يكن بوارو يهتم كثيراً بهذه القضية, ولكن بسببها, عُرضت عليه قضية الطالبة المفقودة التي أثارت اهتمامه كثيراً.

وكان قد سمع عنها لأول مرة من المفتش جاب الذي كان في زيارة له بينما كان بوارو يشرف على حزم حقائبه.

فقال جاب: "هار, ستذهب إلى فرنسا, أليس كذلك؟".

فقال بوارو:

"يا عزيزي, إنك على دراية كبيرة جداً بالمعلومات".

ضحك جاب بينه وبين نفسه وقال:

"نحن لدينا جواسيسنا! لقد نجح سيمبسون في إقناعك بقبول قضية سرقة لوحة روبنس, يبدو أنك لا تثق بنا! حسناً, ليس هذا ما جئت إليك من أجله. فما أريدك أن تفعله يعد شيئاً مختلفاً تماماً. بما أنك ستذهب إلى باريس على أية حال, أعتقد أنك قد تستطيع كذلك أن تضرب عصفورين بحجر واحد. فالمفتش هيرن موجود هناك من أجل التعاون مع الفرنسيين في كشف لغز إحدى القضايا. هل تعرف هيرن؟ إنه رجل جيد, لكنه قد لا يكون واسع الخيال؛ ولذا أريد رأيك في القضية التي يحقق فيها".

"ما القضية؟".

"هناك صَبِيّة قد اختفت, سينشر الخبر في صحف هذا المساء. يبدو أنها اختُطفت؛ فهي ابنة أحد رِجال الدين بمنطقة كرانشيستير, وتدعى ويني كينج".

وهكذا مضى في رواية القصة.

وكانت ويني في طريقها إلى باريس للالتحاق بمعهد الآنسة بوب الراقي من أجل الفتيات الإنجليزيات والأمريكيات. وكانت قد انطلقت من كرانشيستير في قطار الصباح الباكر, حيث رافقها عبر لندن أحد الأعضاء المسئولين عن مرافقة الفتيات من محطة إلى الأخرى, فتم تسليمها إلى الآنسة برشوا في فيكتوريا, وهي مساعدة الآنسة بوب, وبعد ذلك, وبصحبة ثماني عشرة فتاة أخرى, غادرت فيكتوريا بالقطار المائي، فعبرت تسع عشرة فتاة القناة, ومررن بالجمارك في بلدة كاليه, ودخلن قطار باريس, وتناولن الغداء في عربة الطعام، لكن عندما وصل القطار إلى ضواحي باريس, عدت الآنسة بورشوا الفتيات, لكنها اكتشفت أن الموجودات فحسب هن ثماني عشرة فتاة!

أومأ بوارو وقال: "أهاً, هل توقف القطار في أي مكان؟".

"إنه توقف في مدينة أميان, لكن حينئذ كانت الفتيات في عربة الطعام, وقد قال الجميع إن ويني كانت معهن في ذلك الوقت. لقد اختفت الفتاة في وقت العودة إلى المقصورات. وهذا يعني أنها لم تدخل مقصورتها مع الفتيات الخمس الأخريات اللائي كن بداخلها. لكن أحداً لم يشك في الأمر؛ إذ ظنوا أنها في إحدى العربتين الأخريين اللتين كانتا محجوزتين للفتيات.

أومأ بوارو.

وقال:"إذن متى كانت آخر مرة شوهدت فيها؟".

قال جاب: "بعد حوالي عشر دقائق من مغادرة القطار لأميان"، ثم سعل قليلاً: وأردف: "آخر مرة شوهدت فيها عندما... دخلت الحمام".

فتمتم بوارو:

"هذه أمور عادية جداً, هل هناك شيء آخر؟".

تجهم وجه جاب وقال: "أجل, هناك شيء واحد وهو أن قبعتها وجدت على جانب شريط القطار؛ عند نقطة تبعد حوالي مترين عن مدينة أميان".

"لكن ألم تكن هناك جثة؟".

"نعم, لم نجد أية جثة".

فقال بوارو:

"ما رأيك في ذلك؟".

"من الصعب أن أحدد رأيًا في ذلك؛ إذ لا يوجد أثر لجثتها, فلا يمكن أن تكون قد سقطت من القطار".

"هل توقف القطار ثانية بعد مغادرة أميان؟".

"كلا, قلل من سرعته مرة واحدة من أجل الإشارة, لكنه لم يتوقف, وأنا أشك في أن هذه السرعة كانت كافية لأن يقفز أحد من القطار دون أن يلحق به ضرر. هل تعتقد أن الفتاة أصيبت بالذعر وحاولت أن تهرب؟ إن ذلك كان الفصل الدراسي الأول لها وربما شعرت بالحنين إلى الوطن والأسرة, هذا حقيقي بما يكفي, لكنها تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا ونصف العام, أي أنها راشدة, إلى جانب أنها كانت في حالة معنوية مرتفعة طوال الرحلة, وكانت تتبادل الأحاديث مع الفتيات الأخريات, وكل ما هو من هذا القبيل".

فقال بوارو:

"هل تم البحث عنها في القطار؟".

"أجل, لقد فتشوا القطار قبل أن يصل إلى محطة الشمال, لكنها لم تكن على متنه, هذا مؤكد تمامًا".

ثم أضاف جاب في غضب:

"لقد اختفت كأن الأرض انشقت وبلعتها! هذا ليس منطقيًا يا مسيو بوارو, إنه جنون!".

"أي نوع من الفتيات كانت؟".

"فتاة عادية جدًا بقدر ما يمكن أن ألحظ".

"أقصد أوصافها؟".

"لديّ صورة لها, فجمالها لم ينضج بعد".

أعطى الصورة لـ بوارو الذي ظل يتفحصها في صمت.

لقد كانت الفتاة طويلة القامة، نحيفة القوام، تتدلى من رأسها جديلتان نحيلتان وترتدي نظارة. ولم تكن وضعيتها في الصورة وضعية تصوير, بل كان يبدو أنها التقطت على حين غرة, إذ كانت تأكل تفاحة, وكان يظهر من بين شفتيها أسنانها البارزة قليلًا التي كان يحيط بها تقويم الأسنان.

فقال جاب:

"إنها طفلة ذات مظهر عادي, لكن هكذا يكون مظهرهن في تلك السن! لقد كنت

بالأمس عند طبيب الأسنان, ورأيت صورة لـ مارسيا جانت في مجلة الإسكتش, وهي ملكة الجمال لهذا العام. وأتذكرها حينما كانت في الخامسة عشرة من عمرها عندما كنت أحقق في واقعة السطو الذي حدثت لقصرهم؛ فقد كان مظهرها أخرق, وكانت بشرتها تمتلئ بالحبوب, وأسنانها بارزة, وكان شعرها قليلًا وغير مرتب؛ فالنساء يكتسبن جمالهن بين عشية وضحاها, لا أعرف كيف يفعلن ذلك! فالأمر يشبه المعجزة".

ابتسم بوارو.

وقال: "إن النساء جنس خارق! ماذا عن عائلة الطفلة؟ هل كان لديهم أي شيء مفيد ليقولوه؟".

هز جاب رأسه نفيًا.

وقال: "لم يقولوا شيئًا مفيدًا, فالأم مقعدة, والأب المسكين أصيب بالدهشة، فقد أقسم أن الفتاة كانت تتوق وتتطلع إلى الذهاب إلى باريس, إذ كانت تريد أن تدرس الرسم والموسيقى. ففتيات الآنسة بوب يلتحقن بالمعهد من أجل تعلم الفن. فكما تعرف, فإن معهد الآنسة بوب مشهور جدًا, وكثير من فتيات المجتمع يلتحقن به؛ فهي شخصية صارمة, وعنيفة, وتختار بعناية طلابها, كما أن مصاريف معهدها باهظة الثمن".

تنهد بوارو، وقال: "أعرف النماذج التي تلتحق بالمعهد, والآنسة بورشوا هي من أخذت الفتيات من إنجلترا!".

"إنها امرأة محدودة الذكاء, وهي مرتعبة من أن تقول الآنسة بوب إن ذلك كان خطأها".

فقال بوارو في تفكر:

"أليس هناك شاب في القضية؟".

فأشار جاب إلى الصورة.

وقال: "هل يشي مظهرها بذلك؟".

"كلا, لكن برغم مظهرها, فقد يكون لها قلب رومانسي, فعمر الخامسة عشرة لا يعد سنًا صغيرة".

فقال جاب: "حسنًا, لو أن هناك قلبًا رومانسيًا خطفها خفية من ذلك القطار, سأبدأ في قراءة الروايات الرومانسية".

ثم نظر في أمل إلى بوارو.

وقال: "ألا يوجد شيء يثير انتباهك...ها؟".

هز بوارو رأسه ببطء وقال:

"ألم يجدوا أيضًا بجانب شريط القطار حذاءها؟".

"حذاؤها؟ نعم, لكن لماذا؟".

فهمهم بوارو:

"مجرد فكرة...".

2

كان هيركيول بوارو يستعد للنزول إلى سيارة الأجرة المنتظرة أمام منزله عندما رن جرس الهاتف, فرفع السماعة وقال:

"مرحبًا؟".

وكان صوت المفتش جاب هو مَن يتحدث:

"أنا سعيد لأنني لحقت بك, الأمر انتهى يا عزيزي؛ فقد وجدت رسالة في شرطة سكوتلاند يارد عند عودتي تفيد بأن الفتاة ظهرت على جانب الطريق الرئيسي على بعد أربعة وعشرين مترًا من مدينة أميان. وكانت مصابة بالدوار ولم يستطيعوا أخذ أية معلومات مفيدة منها, فقد قال الطبيب إنها كانت مخدرة, لكنها على ما يرام, فليس هناك أي ضرر بها".

فقال بوارو ببطء:

"إذن فأنت لست بحاجة إلى خدماتي؟".

"لا أظن ذلك للأسف! في الواقع... أعتذرر عن إززعاجك".

ضحك جاب على طرفته وأنهى المحادثة الهاتفية.

لكن هيركيول بوارو لم يضحك, بل وضع سماعة الهاتف ببطء، وبدا على وجهه القلق.

3

نظر المفتش هيرن إلى بوارو في فضول.

وقال:

"لم تكن لديّ فكرة أنك ستهتم كثيراً بهذه القضية يا سيدي".

فقال بوارو:

"هل قال لك المفتش جاب إنني قد أتبادل معك الآراء بشأن هذه القضية؟".

أومأ هيرن بالإيجاب.

وقال: "لقد قال إنك ستأتي إلى باريس من أجل عمل ما, وإنك ستساعدنا على حل لغز اختفاء الفتاة, لكني لم أتوقع أن تأتيني أيضاً بعد أن ظهرت الفتاة وانتهى كل شيء؛ فقد ظننت أنك ستكون مشغولاً بعملك".

فقال هيركيول بوارو:

"يمكن لعملي أن ينتظر, فما يثير اهتمامي الآن هو هذه القضية. إنك تقول إنها كانت لغزاً تم التوصل إلى حله حالياً, لكن يبدو أنه لم يحل بعد".

"حسناً يا سيدي, لقد استرجعنا الطفلة, وهي لا تعاني من أية إصابات أو جروح, وهذا هو الأمر المهم".

"لكن ذلك لم يقدم حلاً لمشكلة كيف استطعتم إرجاعها, أليس كذلك؟ ماذا تقول هي؟ إن الطبيب فحصها, أليس كذلك؟ ماذا قال؟".

"لقد قال إنها كانت مخدرة, وكان لا يزال تأثير المخدر واضحاً عليها, لكن من الواضح أنها لا تستطيع أن تتذكر أي شيء بعد أن انطلقت من كرانشيستر؛ إذ يبدو أن كل الأحداث اللاحقة محيت من ذاكرتها. يعتقد الطبيب أنها ربما كانت تعاني ارتجاجاً بسيطاً, إذ كانت هناك كدمة خلف رأسها, وأن ذلك يفسر فقدانها التام للذاكرة".

فقال بوارو:

"وهذا التفسير مريح جداً بالنسبة لأحدهم!".

فقال المفتش هيرن في صوت يشوبه الشك:

"أتظن أنها تتظاهر بفقدان الذاكرة يا سيدي؟".

"هل تظن أنت ذلك؟".

"كلا, إنني متأكد من أنها لا تفعل ذلك؛ فهي طفلة لطيفة, وصغيرة جداً على مثل هذه الأمور".

فهز بوارو رأسه وقال: "كلا, إنها لا تتظاهر بفقدان الذاكرة". لكنني أود أن

أعرف كيف نزلت من القطار, أريد أن أعرف من المسئول, ولماذا؟".

"تفسيراً لسبب نزولها, أظن أنها كانت محاولة خطف يا سيدي؛ فقد كانوا سيطلبون فدية مقابل إطلاق سراحها".

"لكنهم لم يفعلوا ذلك!".

"لأنهم فقدوا أعصابهم من الضجة الكبيرة التي تلت اختفاء الفتاة, فأعادوها سريعًا على جانب الطريق".

فقال بوارو في حيرة:

"وما الفدية التي كانوا سيحصلون عليها من رجل دين يخدم في دار عبادة كرانشيستر؟ فأصحاب المقام الرفيع في دار العبادة الإنجليزية ليسوا مليونيرات".

فقال المفتش هيرن في ابتهاج:

"أرى يا سيدي أن الأمر برمته عمل أخرق".

"أهار, هذا رأيك".

تورد وجه هيرن قليلًا وقال:

"ماذا عن رأيك أنت يا سيدي؟".

"أريد أن أعرف كيف اختفت من القطار".

عندئذ، عبس وجه المفتش.

وقال:"هذا لغز حقيقي! ففي لحظة، كانت في القطار تجلس في عربة المطعم وتتبادل الأحاديث مع الفتيات الأخريات, وبعد مرور خمس دقائق اختفت بسرعة البرق كما تختفي الأشياء في ألعاب الحواة".

"تمامًا مثلما تختفي الأشياء في ألعاب الحواة! مَن كان موجودًا أيضًا في عربة القطار التي كانت فيها المقصورات المحجوزة للآنسة بوب وفتياتها؟".

أومأ المفتش هيرن.

وقال: "هذه نقطة جيدة يا سيدي, بل مهمة... مهمة لأن هذه العربة كانت آخر عربة في القطار، وفور أن عاد الجميع من عربة المطعم, أغلقت الأبواب بين العربات, وذلك كي لا يتكدس الناس على طول عربة الطعام ويطلبوا الشاي قبل انتهائهم من تناول الغداء. فعادت ويني كينج إلى العربة مع الآخرين, حيث كانت المقصورات الثلاث المحجوزة لمعهد الآنسة بوب".

"وبالنسبة للمقصورات الأخرى في العربة؟".

أخرج هيرن دفتر ملاحظاته.

وقال: "كانت هناك الآنسة جوردان والآنسة بترز, وهما عانستان في أواسط عمرهما كانتا في طريقهما إلى سويسرا, وليس هناك غبار عليهما, بل إنهما تحظيان بتقدير كبير وشهرة واسعة في مقاطعة هامبشير، مسقط رأسهما. وكان هناك أيضًا تاجران فرنسيان, أحدهما من ليون, والآخر من باريس, وكلاهما رجلان محترمان في منتصف عمرهما. وكان هناك أيضًا شاب يدعى جيمس إليوت بصحبة زوجته التي كانت مبهرجة في ملابسها. ولزوجها سمعة سيئة, إذ تشتبه الشرطة في أنه متورط في صفقات مشبوهة, لكنه لم يتورط مطلقًا في عمليات خطف. وعلى أية حال، لقد تم تفتيش مقصورته, ولم يكن هناك أي شيء في حقائبه يشير إلى أنه متورط في الأمر, ولا أرى كيف يمكن له أن يكون متورطًا. وهكذا لم يتبق إلا السيدة الأمريكية التي تدعى فان سويدر, وقد كانت ذاهبة إلى باريس, لا أحد يعرف عنها شيئًا, لكنها تبدو على ما يرام. وهؤلاء هم كل ركاب القطار".

فقال هيركيول بوارو:

"أمن المؤكد أن القطار لم يتوقف بعد مغادرته أميان؟".

"إطلاقًا, لقد قلل من سرعته مرة واحدة, لكنها لم تكن سرعة كافية لأن تسمح لأحد بأن يقفز من القطار دون أن يلحق بنفسه ضررًا شديدًا, بل ويعرض نفسه للموت".

تمتم هيركيول بوارو:

"وهذا ما يجعل المشكلة مثيرة للاهتمام جدًا؛ فالفتاة اختفت فجأة بعد أن خرج القطار من أميان كأن الأرض انشقت وبلعتها, ثم ظهرت فجأة خارج أميان, فأين ذهبت خلال هذه الفترة؟".

هز المفتش هيرن رأسه في حيرة.

وقال: "إن الأمر يثير الجنون. آه! بالمناسبة, لقد قالوا لي إنك كنت تستفسر عن شيء يتعلق بحذاء الفتاة. وعندما وُجدت, كانت ترتدي حذاءها وكان على ما يرام, لكن كان هناك زوج من الأحذية على شريط القطار وجده عامل الإشارة, وأخذه معه إلى المنزل, إذ كان في حالة جيدة, كان حذاء أسود وضخمًا".

فقال بوارو والرضا يبدو على وجهه: "آه".

وقال المفتش هيرن في فضول:

"لا أفهم معنى الحذاء يا سيدي! هل يعني أي شيء؟".

فقال هيركيول بوارو: "إنه يؤكد النظرية... نظرية كيف حدثت لعبة الحواة".

4

كان معهد السيدة بوب - مثل كثير من المعاهد الأخرى التي تنتمي إلى النوع ذاته, يقع في نويي، وكان هيركيول بوارو يحدق إلى واجهة مبناه الفخمة عندما غمره فجأة تيار من الفتيات اللاتي خرجن من بوابات المبنى.

عد منهن خمسًا وعشرين فتاة, جميعهن يرتدين الزي ذاته الذي كان يتكون من معطف أزرق قاتم اللون وتنورة غير مريحة في مظهرها, وقبعات إنجليزية من القطيفة الزرقاء القاتمة، وكان ملفوفًا حولها شريط باللونين الأرجواني والذهبي اللذين تحبهما الآنسة بوب. وكانت أعمارهن تتروح بين الأربعة عشر إلى الثمانية عشر عاما, وكانت منهن من هي بدينة, ومن هي نحيفة, من هي فاتحة البشرة, ومن هي ذات بشرة داكنة, ومن هي خرقاء, ومن هي لطيفة. وفي النهاية, كانت تسير مع إحدى الفتيات الأصغر سنًا امرأة ذات شعر رمادي ومظهر منمق، خمن بوارو أنها السيدة بورشوا.

ثم وقف بوارو يتتبعهما بنظراته لدقيقة, بعدها رن الجرس وطلب مقابلة الآنسة بوب.

كانت الآنسة لافينيا بوب شخصية مختلفة تمامًا عن مساعدتها الآنسة بورشوار, فقد كانت للآنسة بوب شخصيتها المهيبة والآسرة, وحتى عندما كانت تتعامل بسماحة ولطف مع أولياء الأمور, كانت تحتفظ بسموها وعلو شأنها, وهو ما كان يمنحها ميزة كبيرة كناظرة مدرسة.

وكان شعرها الرمادي منمقًا جدًا, أما ثيابها فقد كانت بسيطة لكنها أنيقة. وإذا تحدثنا عن شخصيتها, فسنجد أنها كانت ذات كفاءة ومعرفة غير محدودتين.

إن الحجرة التي استقبلت فيها بوارو كانت توحي بأن صاحبتها ذات ثقافة عالية؛ فأثاثها يدل على ذوق رفيع, وكانت تمتلئ بالزهور, وبعض الصور ذات الإطارات، والتي وقّع عليها تلميذات السيدة بوب ذوات الشهرة في العالم, واللاتي كن يرتدين ثيابًا ذات ريش. أما الجدران فكان معلقًا عليها نماذج لروائع العالم الفنية وبعض اللوحات المائية الجيدة.

أما المكان بأكمله فكان نظيفًا جدًا لدرجة أن المرء كان يشعر بأن ذرة الغبار لن تجرؤ على دخول مثل هذا المكان.

وقد استقبلت السيدة بوب بوارو بكفاءة امرأة نادرًا ما يخطئ حكمها على الأشخاص.

قالت:"مسيو هيركيول بوارو؟ أعرف اسمك بالطبع. وأظن أنك أتيت بشأن المشكلة التي حدثت لـ ويني كينج؛ فقد كانت حادثة مؤلمة جدًا".

لم يبد الحزن على الآنسة بوب؛ فقد تعاملت مع الكارثة كما ينبغي أن يتم التعامل معها, إذ تعاملت معها بكفاءة، وبالتالي قللت من أهميتها.

ثم قالت بوب: "إن هذا الحادث لم يقع من قبل".

وكان أسلوبها في الحديث يبدو كأنه يقول: "ولن يحدث مرة أخرى!".

فقال هيركيول بوارو:

"هذا هو أول فصل دراسي للفتاة هنا, أليس كذلك؟".

"بلى".

"هل أجريت مقابلة أولية مع ويني, وأقربائها؟".

"ليس مؤخراً. فمنذ عامين، كنت أمكث بالقرب من كرانشيستر... مع رجل الدين".

كان أسلوب الآنسة بوب في الحديث يوحي بأنها تقول:

("انتبه إلى هذا من فضلك, إنني من الشخصيات التي تجلس مع رجال الدين!").

وأردفت: "عندما كنت هناك، تعرفت على السيد كينج والسيدة حرمه, وهي للأسف امرأة مقعدة. وبعدها قابلت ويني, فهي فتاة ذات أخلاق جيدة, ولها تذوق واضح للفن. لقد أخبرت السيدة والدتها بأنني سأكون سعيدة إذا التحقت ويني بالمعهد خلال عام أو اثنين, وذلك عندما تنتهي من دراستها العامة. فنحن نتخصص هنا يا مسيو بوارو في الفن والموسيقى. فالمعهد هنا يأخذ الفتيات لحضور عروض الأوبرا, والمسرح الفرنسي, ومحاضرات بمتحف اللوفر. إن أمهر الأساتذة يأتون إلى هنا لتعليمهن الموسيقى, والغناء, والرسم؛ فهدفنا هو توسيع الأفق الثقافي".

تذكرت الآنسة بوب فجأة أن بوارو ليس ولي أمر, فأضافت:

"ما الذي يمكن أن أفعله من أجلك يا مسيو بوارو؟".

"سأكون مسروراً إذا عرفت ما الوضع الحالي لـ فيني؟".

"أتى السيد كينج إلى أميان وأخذها معه, وهذا أفضل شيء يمكن فعله بعد الصدمة التي تعرضت لها الطفلة".

وأكملت تقول:

"نحن لا نستقبل هنا فتيات معتلات, فليست لدينا تسهيلات خاصة للعناية بالمرضى؛ ولذلك أخبرت السيد كينج بأنني أرى أن من الأفضل أن يأخذ معه الفتاة إلى المنزل".

فقال هيركيول بوارو بخشونة:

"ما الذي حدث في رأيك يا آنسة بوب؟".

"ليست لديّ أدنى فكرة يا مسيو بوارو, فالأمر برمته, كما نقل لي, يبدو غير معقول. ولا أرى أن الآنسة بورشوا التي كانت مسئولة عن الفتيات تتحمل أي ذنب, باستثناء أنها ربما لم تكتشف غياب الفتاة سريعًا".

فقال بوارو:

"هل زارتك الشرطة؟".

ظهرت قشعريرة خفيفة على الهيئة الأرستقراطية للآنسة بوب, فقالت بفتور:

"طلب المسيو ليفارج، من مكتب المفتشين، أن يقابلني ليرى إذا ما كنت أستطيع أن ألقي أي ضوء على الموقف. وبالطبع لم أستطع أن أفعل ذلك, فطلب أن يفتش حقيبة ويني التي وصلت بالطبع إلى هنا مع حقائب الفتيات الأخرى, فأخبرته بأن ذلك تم بالفعل من قِبَل أحد أفراد الشرطة الآخرين. وأظن أنه يجب أن يكون هناك تنسيق بينهم. فبعد ذلك بوقت قصير, تلقيت مكالمة هاتفية تصر على أنني لم أسلم لهم كل متعلقات ويني. لقد كنت حادة جداً معهم فيما يتعلق بذلك, فالمرء يجب ألا يستسلم إلى التنمر الذي يمارسه عليه المسئولون الرسميون".

أخذ بوارو نفسًا طويلًا وقال:

"إن لديك طبيعة حماسية, وهو ما يعجبني فيك يا آنسة. يفترض أن حقيبة ويني فتحت وفرغت عند الوصول!".

اهتزت رزانة الآنسة بوب قليلًا.

وقالت: "إنه الروتين, فنحن نلتزم بشدة بالروتين الذي ينص على أن حقائب الفتيات تفرغ عند الوصول، وتوضع متعلقاتهن بالطريقة المحددة. فقد فرغت حقيبة ويني مع حقائب الفتيات الأخريات, وبعد ذلك أعيدت المتعلقات إلى الحقيبة, حتى يتم تسليمها تمامًا كما وصلت".

فقال بوارو: "تمامًا؟".

تفحص بوارو الجدران.

وقال: "من المؤكد أن هذه هي صورة جسر كرانشيستر الشهير وفي الخلف منه تظهر دار العبادة".

"أنت على حق يا مسيو بوارو؛ فقد رسمتها ويني لتحضرها لي كمفاجأة, إذ كانت في حقيبتها مغلفة ومكتوبًا عليها"'من ويني إلى الآنسة بوب". إنها لفتة رائعة من الفتاة".

فقال بوارو: "آه!, وما رأيك بها كلوحة مرسومة؟".

إن بوارو قد شاهد الكثير من اللوحات لجسر كرانشيستر. فدائمًا ما كانت تعرض هذه اللوحات كل عام في الأكاديمية, فكانت أحيانًا ترسم بالزيت, وأحيانًا أخرى بالألوان المائية. فتارة ما كان يجدها بوارو جيدة, وتارة متوسطة, وتارة أخرى سيئة ومملة، لكنه لم يكن قد رأى من قبل لوحة بهذا السوء لجسر كرانشيستر، مثلما كان يرى اللوحة التي أمامه.

وكانت الآنسة بوب تبتسم على نحو متساهل.

ثم قالت:

"يجب ألا أثبط من عزيمة الفتيات يا مسيو بوارو, من المؤكد أن ويني ستتحمس لتنجز عملًا أفضل".

فقال بوارو في تفكر:

"كان من الطبيعي لها أن ترسمها بالألوان المائية!".

"أجل, لم أكن أعرف أنها تحاول أن ترسم بالألوان الزيتية".

فقال هيركيول بوارو: "آه, هل تسمحين لي بأن أراها يا آنسة؟".

ثم أنزل الصورة وأخذها نحو النافذة, ففحصها ورفع بصره وقال:

"أطلب منك يا آنسة أن تعطيني هذه الصورة".

"حسنًا, يا مسيو بوارو...".

"لا يمكن أن تتظاهري بأنك مرتبطة جدًا بها؛ إذ إنها سيئة".

"أوه, أوافق على أنها خالية من الذوق الفني, لكنها عمل لإحدى الطالبات و...".

"أؤكد لك يا آنسة أنها صورة غير لائقة تمامًا لأن تعلق على جدار حجرتك".

"لا أعرف لماذا تقول ذلك يا مسيو بوارو".

"سأثبت لكِ ذلك خلال دقائق".

أخذ زجاجة, وقطعة من الإسفنج, وقطع قماش من جيبه, وقال:

"أولا سأخبرك بقصة صغيرة يا آنسة, إنها تشبه قصة فرخ البط القبيح الذي تحول إلى إوزة".

كان بوارو يعمل بهمة بينما يتحدث, فامتلأت الحجرة برائحة التربنتين.

وقال: "أنت لا تذهبين كثيرًا إلى العروض المسرحية؟".

"نعم, إنها تبدو لي متواضعة...".

"أجل, متواضعة, لكن أحيانًا ما تكون توجيهية. لقد شاهدت فنانة مسرحية ماهرة استطاعت أن تغير شخصيتها بطريقة عجيبة. ففي أحد المشاهد ظهرت نجمة فاتنة, وساحرة, وبعد عشر دقائق, تحولت إلى طفلة أصغر من الحجم العادي تعاني فقر دم وزائدة أنفية, وترتدي سترة رياضية قصيرة, وبعد عشر دقائق أخرى, تحولت إلى غجرية شعثاء تستشرق المستقبل".

"لا شك أن هذا ممكن, لكنني لا أرى...".

"لكنني سأريك كيف حدثت الخدعة على متن القطار. فويني, الطالبة, بجدائلها المنسدلة, ونظارتها, وتقويم أسنانها القبيح, دخلت الحمام، ثم ظهرت للعيان بعد ربع الساعة, ودعيني أستخدم كلمات المفتش هيرن "كتحفة مزخرفة". فكانت ترتدي جوارب حريرية شفافة, وحذاء ذا كعب عالٍ, ومعطفًا من الفرو يغطي زي المعهد, وقطعة صغيرة من القطيفة تسمى قبعة تستقرٍ فوق شعرها المجعد, أما وجهها, فكانت تضع عليه البودرة, وأحمر الشفاه, ... إلخ! ترى، ما الشكل الحقيقي لهذا الفنان الذي استطاع أن يغير شكله سريعًا؟ فالله وحده هو من يعلم ذلك! لكنك يا آنسة شاهدت كثيراً كيف أن الطالبة الخرقاء تتحول بشكل عجيب إلى فتاة جذابة وأنيقة".

شهقت الآنسة بوب.

وقالت: "هل تعني أن ويني كينج تخفت في زي...".

"ليست ويني كينج, كلا, لقد خطفت ويني على طريق لندن, وحلت مكانها الفنانة سريعة التغيير. الآنسة بورشوا لم تر ويني كينج من قبل, فكيف لها أن تعرف أن الطالبة ذات الجدائل الرفيعة وتقويم الأسنان ليست ويني كينج على الإطلاق؟ حتى الآن, الأمر جيد, لكن ويني المزيفة لا يمكن أن تصل إلى هنا, لأنك تعلمين ويني الحقيقية. وهكذا وبسرعة البرق, اختفت ويني في الحمام وظهرت كزوجة لرجل يدعى جيم إليوت كان جواز سفره يقول إنه بصحبة زوجته! فالضفائر الرخوة, والنظارة, والجوارب الحريرية, وتقويم الأسنان, كل ذلك يمكن أن يدخل مكانًا صغيراً, لكن الحذاء الضخم غير الجذاب والقبعة البريطانية التي لا تلين, يجب أن يتم التخلص منهما في مكان آخر, وهكذا تم إلقاؤهما من النافذة. لاحقًا, جلبت ويني الحقيقية عبر القناة؛ فلا أحد يبحث عن فتاة معتلة, ونصف مخدرة قادمة من إنجلترا إلى فرنسا, ووضعت في سيارة على جانب الطريق الرئيسي. فإذا كانت مخدرة كليًا بمادة السكوبولامين, فلن تتذكر ما حدث".

كانت الآنسة بوب تحدق إلى بوارو, وقالت:

"لكن لماذا؟ ما السبب وراء انتحال شخصية ويني دون طائل؟".

أجاب بوارو بجدية:

"حقيبة ويني! هؤلاء الناس كانوا يريدون أن يهربوا شيئًا من إنجلترا إلى فرنسا, هذا الشيء يبحث عنه كل رجل جمارك, في الحقيقة هذا الشيء هو بضاعة مسروقة. فما المكان الأكثر أمنًا من حقيبة طالبة؟ إنك مشهورة جدًا يا آنسة بوب, وكذلك معهدك, ولهذا في محطة الشمال مرت حقائب الآنسات دون تفتيش يُذكر. إنه المعهد الإنجليزي المشهور الذي تترأسه الآنسة بوب!, وبعد ذلك, بعد أن حدثت واقعة الخطف, أليس أمرًا طبيعيًا أن يتم إرسال حقيبة الفتاة إلى المقاطعة؟".

ابتسم هيركيول بوارو.

وقال: "لكن لحسن الحظ, كان هناك روتين المعهد في فض الحقائب عند الوصول, وكانت هناك هدية من ويني لأجلك, لكن ليست الهدية ذاتها التي وضعتها ويني في كرانشيستر".

ثم تقدم نحوها.

وقال: "أنت أعطيتني هذه اللوحة. لاحظي الآن, يجب أن تعترفي بأنها ليست مناسبة لمعهدك الراقي".

أظهر بوارو اللوحة.

كما لو أن الأمر بفعل السحر اختفاء جسر كرانشيستر, وظهور بدلًا منه مشهد كلاسيكي بألوان زاهية.

فقال بوارو في لطف:

"حزام هيبوليتا - هيبوليتا تعطي حزامها لـ هرقل... لوحة بريشة الفنان روبنس. إنها عمل فني رائع, لكنها ليست مناسبة لحجرتك".

احتقن وجه الآنسة بوب قليلًا.

كانت هيبوليتا تضع يدها على حزامها وليس هناك شيء في ملابسها مميز غيره... وكان هرقل يضع على كتفيه جلد أسد. كانت لوحة روبنس مبهجة وتشع بالحياة...

فقالت الآنسة بوب, وقد استعادت رباطة جأشها:

"عمل فني رائع... على المرء أن يهتم بمشاعر أولياء الأمور, فبعضهم يكون ضيق الأفق... إن كنت تعرف ما أقصده...".

عندما كان بوارو على وشك مغادرة المنزل، وقع الهجوم... إذ وجد نفسه محاطًا, ومطوقًا بحشد من الفتيات المتباينات في أشكالهن, بدءًا من البدينة, وحتى النحيفة, ومن ذات البشرة الداكنة, إلى ذات البشرة الفاتحة.

فتمتم: "يا إلهي! إنه حقًا هجوم من الأمازونيات!".

وكانت هناك فتاة جميلة وطويلة تهتف:

"لقد عرف الجميع بالأمر...".

اقترب منه الحشد أكثر, فاختفى بوارو وسط موجة من الفتيات الصغيرات الحيويات.

وارتفع صوت خمس وعشرين فتاة بنبرات مختلفة, لكن كلهن كن يصرخن بالجملة العظيمة ذاتها:

"يا مسيو بوارو, هل من الممكن أن تمضي لي في الأوتوجراف...؟".

الفصل العاشر

قطيع جيريون

1

"إنني أعتذر بشدة على إزعاجك بهذه الطريقة يا مسيو بوارو".

كانت الآنسة كارنابي تشبك يديها في حماسة حول حقيبتها وتنحني إلى الأمام محدقة إلى وجه بوارو بينما يشوب نظراتها القلق. وكالعادة, بدت منقطعة الأنفاس.

رفع هيركيول بوارو حاجبيه.

فقالت في قلق:

"أنت تتذكرني, أليس كذلك؟".

فغمز هيركيول بوارو بعينيه وقال:

"أتذكرك كإحدى أمهر المجرمات اللاتي صادفتهن في حياتي!".

"أوه يا مسيو بوارو, أيجب أن تقول مثل هذه الأشياء؟ لقد كنت لطيفًا جدًا معي؛ فأنا وإيميلي كثيرًا ما نتحدث عنك, وعندما نقرأ أي شيء ينشر عنك في الصحف, نقص الورقة المكتوب فيها الخبر ونلصقها في دفتر. أما فيما يتعلق بأوجسطس, فقد علمناه خدعة جديدة, إذ نقول له: "مت من أجل شارلوك هولمز, مت من أجل السيد فورشن, مت من أجل السير هنري ميرافل, ثم مت من أجل المسيو هيركيول بوارو" فيرقد مثل قطعة الخشب, ويظل ساكنًا دون حراك حتى نأذن له!".

فقال بوارو: "هذا يشعرني بالرضا, وكيف حال عزيزي أوجسطس؟".

شبكت الآنسة كارنابي يديها ومدحت في بلاغة كلبها البيكيني.

فقالت: "أوه يا مسيو بوارو, إنه أمهر من أي كلب آخر, فهو يعرف كل شيء. أتدري؟ قبل أيام كنت أعجب بطفل في عربته وفجأة شعرت بجذبة عنيفة فوجدت أن

أوجسطس يحاول جاهداً أن يعض طوقه, ألم يكن هذا ذكاء منه؟".

غمز بوارو بعينيه وقال:

"يبدو لي كما لو أن أوجسطس يشاركك الميول الإجرامية التي كنا نتحدث عنها للتو!".

لم تضحك الآنسة كارنابي, بل ساد القلق والحزن وجهها الممتلئ والجميل, فقالت لاهثة:

"أوه يا مسيو بوارو, إنني قلقة جداً".

فقال بوارو بلطف:

"ماذا هناك؟".

"أتدري يا مسيو بوارو؟ إنني خائفة... خائفة جداً من أن أكون قد أصبحت مجرمة عتية, إذا جاز لي أن أستخدم هذا المصطلح, فهناك أفكار تراودني!".

"أي نوع من الأفكار؟".

"أكثر الأفكار غرابة! على سبيل المثال, بالأمس, طرأ في ذهني مخطط عملي لسرقة أحد مكاتب البريد. ولم أكن أفكر في الأمر, بل طرأ على ذهني فحسب! وكذلك فكرت في طريقة مبتكرة للتهرب من الرسوم الجمركية... وكنت مقتنعة تمام الاقتناع بأن ذلك سينجح". .

"ربما ينجح, وهذا هو الخطر في أفكارك".

"إن هذا الأمر يقلقني كثيراً يا مسيو بوارو. فبعد أن تربيت على مبادئ صارمة, يكون من المزعج جداً أن تأتي إلى ذهني مثل هذه الأفكار الشريرة والخارجة عن القانون، فأنا أعتقد أن لديّ حالياً وقت فراغ كبيراً, إذ تركت الليدي هوجين وذهبت للعمل لدى سيدة عجوز أقرأ لها الكتب وأكتب خطاباتها كل يوم, لكنني أنتهي سريعاً من كتابة الخطابات, وما إن أبدأ في القراءة, حتى تغط السيدة في النوم, وهكذا أظل جالسة هناك بلا عمل يشغل ذهني, ونحن جميعاً نعرف كيف يستغل الشيطان هذا الفراغ الذهني".

فقال بوارو: "طبعاً، طبعاً".

"لقد قرأت مؤخراً أحد الكتب الحديثة جداً, والمترجمة من الألمانية, حيث كان يلقي الضوء بطريقة مثيرة على الميول الإجرامية. وقد فهمت منه أن المرء يجب أن يهذب دوافعه! وهذا هو سبب مجيئي إليك".

فقال بوارو: "أجل؟".

"أعتقد يا مسيو بوارو أن هذا ليس شراً بقدر ما هو حُب للإثارة ؛ فحياتي للأسف مملة جداً, فأحياناً يكون الوقت الوحيد الذي شعرت فيه بالحياة هو حملة سرقة الكلاب البيكيني.
إنه شيء بغيض جداً, لكن بالطبع, كما يقول الكتاب الذي أقرأه, ينبغي على المرء ألا يدير ظهره للحقيقة. لقد جئت إليك يا مسيو بوارو؛ لأنني أتمنى أن يكون من الممكن أن أهذب هذه الرغبة في أن أعيش جواً مثيراً وأوظفها في الخير".

فقال بوارو: "أهاً, هل تريدين إذن أن تكوني زميلة لي؟".

تورد وجه الآنسة كارنابي.

وقالت: "أعلم أنه تجرؤ مني, لكنك كنت طيب القلب جداً...".

ثم توقفت كارنابي عن الكلام, وكان يلوح في عينيها تضرع كلب يتوق إلى أن تأخذه في نزهة.

فقال هيركيول بوارو ببطء: "يا لها من فكرة!".

فقالت الآنسة كارنابي مفسرة: "أنا لا أتمتع بالطبع بذكاء خارق, لكن قدراتي على الخداع جيدة. ولا بد لها أن تكون كذلك, وإلا فستتم إقالتي في الحال من وظيفة الزمالة للمسيو هيركيول بوارو. كما أنني دائماً ما أجد أن التظاهر بالغباء أحياناً ما يكون له نتائج جيدة".

ضحك هيركيول بوارو وقال:

"إنك تسحرينني يا آنسة".

"مسيو بوارو, يا لك من رجل لطيف جداً! إنك تشجعني على التحلي بالأمل! لقد تسلمت لتوي ميراثاً صغيراً, صغيراً جداً, لكنه يعينني أنا وأختي على العيش بطريقة مقتصدة؛ ولذلك لا أعتمد كلياً على ما أكتسبه".

قال بوارو: "يجب أن أدرس أين يمكن توظيف قدراتك هذه, أظن أنه ليست لديك فكرة؟".

"أتدري يا مسيو بوارو؟ إنك حقاً قارئ للأفكار؛ فمؤخراً كنت أشعر بالقلق بشأن إحدى صديقاتي, وكنت سأستشيرك في هذا الأمر. قد تقول بالطبع إن ذلك مجرد وهم يراود خادمة, مجرد خيال؛ فالمرء عرضة للمبالغة, وللاعتقاد في أن الشيء مقصود ومتعمد, في حين أنه قد يكون مجرد مصادفة".

"لا أعتقد أنك ستبالغين يا آنسة كارنابي, أخبريني بما يدور في ذهنك".

"حسناً, لديّ صديقة عزيزة عليّ جداً, رغم أنني لم ألتقِ بها كثيراً في السنوات الأخيرة. اسمها إيميلين كليج؛ وكانت متزوجة برجل في شمال إنجلترا, وقد مات منذ

عدة أعوام وترك لها أموالًا تعينها على أن تعيش ميسورة الحال. لكن بعد موته باتت وحيدة وغير سعيدة، وهي للأسف امرأة حمقاء بعض الشيء وربما ساذجة. يمكن للمعتقدات الدينية يا مسيو بوارو أن تكون سنداً وعوناً عظيماً، ولكني أعني بذلك المعتقدات الدينية الصحيحة".

فقال بوارو: "هل تترددين على دار العبادة الشرقية؟".

بدت الصدمة على الآنسة كارنابي.

فقالت: "كلا، في الواقع أقصد دار العبادة الإنجليزية، ورغم أنني لا أميل لاتباع دار العبادة المحلية، فإنهم على الأقل معترف بهم. ما أتحدث عنه هو تلك الطوائف الغريبة التي تظهر؛ فهم لديهم نوع من النداء العاطفي لكن أحياناً ما تكون لديّ شكوك جادة في أن يكون بداخلهم أية مشاعر دينية حقيقية".

"هل تعتقدين أن صديقتك ضحية لطائفة من هذا النوع؟".

"أجل، أوه! بكل تأكيد، إنهم يسمون أنفسهم القطيع العظيم، ولهم مقرات في ديفونشير، وهي مقاطعة جميلة جداً تطل على البحر؛ فأنصار هذه الطائفة يذهبون إلى هناك من أجل ما يسمونه الاعتزال، وهي فترة تمتد إلى أسبوعين يمارسون فيها ممارساتهم الغريبة. كما أنهم يقيمون ثلاثة مهرجانات كبيرة في العام، وهي موسم الحصاد، واكتمال الحصاد، حصد الحصاد".

فقال بوارو: "هذا المهرجان الأخير له اسم أحمق... لأن المرء لا يحصد الحصاد".

فقالت الآنسة كارنابي بحماسة: "إن الأمر برمته نوع من الحمق؛ فالطائفة كلها تتمحور حول رئيس الطائفة، وهو يسمي نفسه الراعي الكبير، لكن اسمه الحقيقي هو الطبيب أندرسن، وهو رجل شديد الوسامة وله حضور".

"إنه جذاب للنساء، أليس كذلك؟".

تنهدت الآنسة كارنابي وقالت: "إنه كذلك للأسف، كان أبي رجلًا شديد الوسامة، وكان ذلك غير ملائم في دار العبادة، حيث كانت السيدات يتنافسن على تطريز الأثواب، وأعمال التنظيف...".

فهزت رأسها تذكراً للأحداث.

فقال بوارو: "هل أعضاء القطيع معظمهم من النساء؟".

"أظن أن ثلاثة أرباعه من النساء، ومعظم الرجال الموجودين بالطائفة أشخاص غرباء الأطوار! فنجاح الطائفة يعتمد على النساء، وعلى الموارد المالية التي يمدون بها الطائفة".

فقال بوارو: "آه، ها قد وصلنا لصلب الموضوع، بصراحة، هل تعتقدين أن الأمر

برمته خدعة للنصب؟".

"هذا ما أعتقده بصراحة يا مسيو بوارو, وهناك شيء آخر يقلقني, ألا وهو أنني علمت أن صديقتي المسكينة مرتبطة جداً بهذه الطائفة لدرجة أنها كتبت في وصيتها أن تذهب كل ممتلكاتها إليها".

فقال بوارو بحدة:

"هل اقترح أحدهم عليها ذلك؟".

"للإنصاف, لم يحدث ذلك, بل كانت فكرتها هي. وكان الراعي الكبير قد قدم لها طريقة جديدة للحياة, لذلك فكل ما تملكه سيذهب بعد موتها إلى الطائفة. فما يقلقني حقاً هو...".

"أجل... أكملي...".

"يوجد من بين أنصار هذه الطائفة العديد من النساء الثريات, وقد ماتت ثلاث منهن في العام الماضي".

"وهل تركن كل أموالهن لهذه الطائفة؟".

"أجل".

"ألم يعترض أقاربهن على ذلك؟ أعتقد أنه من المرجح أن يكون هناك نزاع قد وقع بشأن الأمر".

"كما ترى يا مسيو بوارو, فدائماً ما ينضم لهذه الطائفة نساء وحيدات, أي أشخاص ليس لديهم أقارب أو أصدقاء مقربون منهم".

أومأ بوارو في تمعن, فأسرعت الآنسة كارنابي تقول:

"ليس لديّ حق بالطبع لأن أقترح أي شيء على الإطلاق, لكن من منطلق ما استطعت معرفته, ليست هناك أية شبهة تتعلق بموت هؤلاء النساء الثلاث, إذ أعتقد أن إحداهن كانت تعاني الالتهاب الرئوي الذي يلي الإنفلونزا، والأخرى كانت تعاني قرحة في المعدة؛ فلم يكن هناك أية ظروف غامضة تتعلق بوفاتهن, ولم تحدث هذه الوفيات في ملاذ التلال الخضراء, بل في منازل هؤلاء النساء. فليس لديّ شك في أن هذا حقيقي, لكنني لا أود أن يحدث أي شيء لصديقتي إيميلين".

شبكت يديها وعيناها تتوسلان إلى بوارو.

ظل بوارو صامتًا لبضع دقائق, وعندما تحدث كان هناك تغير في صوته؛ إذ كان جاداً وعميقًا.

فقال:

"هل لك أن تعطيني, أو تعثري من أجلي على أسماء وعناوين أعضاء الطائفة الذين ماتوا مؤخراً؟" .

"أجل يا مسيو بوارو".

"أعتقد يا آنسة أنك امرأة شجاعة وذات عزيمة, وتتمتعين بقدرات تمثيلية جيدة, فهل أنت مستعدة لتولي مهمة قد تتضمن خطراً كبيراً؟".

فقالت المغامرة كارنابي: "لا أود شيئًا أفضل من ذلك".

فقال بوارو محذراً إياها:

"وإذا كان هناك خطر في الأمر, فسيكون خطراً جسيمًا, أتفهمين؟ فإما أن يكون الأمر وهماً وإما أن يكون حقيقيًا وخطيراً, ولكي نكتشف ذلك, سيكون من الضروري أن تصبحي عضوة في طائفة القطيع العظيم. كما أقترح أن تبالغي في وصف الميراث الذي تسلمت إياه مؤخراً؛ فأنت الآن امرأة ثرية بلا هدف محدد في الحياة. تجادلي مع صديقتك إيميلين بشأن هذه المعتقدات التي تعتنقها, وأكدي لها أنها مجرد أفكار فارغة. حينها ستتحمس لإقناعك باعتناقها, فأظهري أنك اقتنعت بالذهاب إلى ملاذ التلال الأخضر. وهناك ستقعين فريسة للقوة الإقناعية والتأثير المغناطيسي الذي يتمتع به الطبيب أندرسن. وأعتقد أنني أستطيع أن أترك لك هذا الجزء!".

فابتسمت الآنسة كارنابي بتواضع وقالت:

"أعتقد أنني أستطيع أن أتعامل مع هذا الأمر ببراعة!".

2

"حسنًا يا صديقي, ماذا لديك من أجلي؟".

نظر المفتش جاب بتمعن إلى الرجل الضئيل الذي طرح السؤال, وقال في أسف:

"ليس ما كنت أود أن أقوله لك على الإطلاق يا بوارو. إنني أكره مثل السم هؤلاء الأشخاص ذوي الشعر الطويل والسلوكيات الغريبة ممن ينتمون إلى هذه الطائفة؛ فهم يوقعون النساء بألاعيبهم الخادعة, لكن هذا الرجل الذي يدعى أندرسن حذر جداً, فليس هناك أي شيء يمكن للمرء أن يدينه به, فالأمر يبدو جنونًا لكنه لا ينجم عنه ضرر".

"هل عرفت أي شيء عن هذا الطبيب الذي يدعى أندرسن؟".

"لقد بحثت في ماضيه, فوجدت أنه كان كيميائيًا واعدًا وأنه فصل من جامعة ألمانية. وكانت والدته امرأة متدينة, وكان مولعًا بدراسة الأديان والأساطير الشرقية, إذ كان يقضي كل أوقات فراغه في ذلك, وكان يكتب مقالات مختلفة عن ذلك الموضوع, فبعض من هذه المقالات تبدو لي جنونًا".

"إذن من الممكن أن يكون متعصبًا أصيلًا!".

"يبدو لي أن الأمر كذلك!".

"ماذا عن الأسماء والعناوين التي أعطيتك إياها؟".

"ليس هناك ما هو مريب في هذا الأمر؛ فالآنسة إيفيرت ماتت بسبب التهاب القولون التقرحي, وقد أكد الطبيب أنه لم تكن هناك شبهة في الأمر. أما السيدة لويد فماتت بسبب الالتهاب الرئوي, في حين أن الليدي ويسترن ماتت جراء إصابتها بمرض السل, إذ كانت تعانيه منذ عدة سنوات قبل حتى أن تقابل هذه الطائفة. وقد ماتت الآنسة لي بمرض التيفويد نتيجة لتناولها سلطة ملوثة في أحد الأماكن بشمال إنجلترا. فثلاث منهن مرضن ومتن في منازلهن, أما السيدة لويد فماتت في أحد الفنادق في جنوب فرنسا. وليس هناك في هذه الوفيات ما يربطها بطائفة القطيع العظيم أو بمقر أندرسون في ديفونشير. فلابد أن الأمر كان مجرد مصادفة, فكل حالات الوفاة كانت طبيعية ".

تنهد هيركيول بوارو وقال:

"لكنني يا عزيزي لديّ شعور بأن هذا هو العمل العاشر
لـ هرقل وأن هذا الطبيب الذي يدعى أندرسن هو وحش جيريون الذي مهمتي أن أدمره".

نظر له جاب في قلق.

وقال: "اسمع يا بوارو, أنت لم تبدأ مؤخرًا في قراءة كتب غريبة الأفكار, أليس كذلك؟".

فقال بوارو بكرامة:

"إن ملاحظاتي, كالعادة, شديدة الذكاء, ودقيقة, وفي صميم الموضوع".

فقال جاب: "ربما ستؤسس طائفة جديدة يكون قانونها هو: "ليس هناك من هو أذكى من هيركيول بوارو"!".

3

قالت الآنسة كارنابي وهي تتنفس بقوة ونشوة: "أحس هنا بسكينة رائعة".

فقالت إيميلين كليج: "لقد قلت لكِ ذلك يا كارنابي".

كانت الصديقتان تجلسان فوق تل منحدر يطل على أحد البحار الجميلة والعميقة. وكانت الحشائش تكتسي باللون الأخضر الذي يبعث على الحيوية, بينما كانت الأرض والمنحدرات عميقة يكسوها اللون الأحمر المتوهج. فكانت الضيعة الصغيرة التي تعرف حاليًا بملاذ التلال الخضراء عبارة عن لسان بحري تبلغ مساحته تقريبًا ستة أفدنة. وكان كل ما يربطها باليابسة هو ممرًا ضيقًا؛ ولذلك فقد كانت تقريبًا جزيرة.

فقالت السيدة إيميلين بطريقة عاطفية:

"الأرض الحمراء... أرض النماء والوعد... حيث سيتحقق المصير الثلاثي".

تنهدت الآنسة كارنابي بعمق وقالت:

"أعتقد أن المعلم كان رائعًا ليلة أمس".

فقالت صديقتها: "انتظري مهرجان الليلة, النمو الكامل للحصاد!".

فقالت الآنسة كارنابي: "أتطلع إليه".

"ستجدينه تجربة روحية رائعة".

وكانت الآنسة كارنابي قد وصلت إلى ملاذ التلال الخضراء قبل أسبوع, وكان موقفها كالآتي: "ما كل هذا الهراء؟ حقًا يا إيميلين! امرأة عاقلة مثلك!... وما إلى ذلك".

وفي أول مقابلة لها مع الطبيب أندرسن, أوضحت موقفها بأمانة.

فقالت: "لا أريد أن أشعر بأنني هنا تحت حجج واهية أيها الطبيب أندرسن؛ فوالدي كان رجل دين في دار عبادة إنجلترا, ولم يسبق لي أن تشككت في إيماني, فأنا لا أؤيد الطوائف الغريبة".

ابتسم لها الرجل الضخم ذو الشعر الذهبي ابتسامة عذبة ومتفهمة، فكان ينظر في تسامح إلى تلك الشخصية المحاربة ممتلئة الجسم التي تجلس باستقامة شديدة في مقعدها.

فقال: "عزيزتي الآنسة كارنابي, أنت صديقة السيدة إيميلين، أهلاً بك في المكان, لكن صدقيني, طائفتنا ليست غريبة المعتقدات, فهنا كل الأديان مرحب بها ومكرمة على

حد سواء".

فقالت الابنة القوية لرجل الدين الراحل توماس كارنابي: "لا ينبغي أن تتساوى الأديان السماوية مع أية طوائف أخرى".

استند رئيس الطائفة إلى مقعده وقال بصوته القوي: "في الأرض متسع للجميع... تذكري ذلك يا آنسة كارنابي".

وعندما تركت الصديقتان الحضور, قالت الآنسة كارنابي لصديقتها: "إنه رجل شديد الوسامة".

فقالت لها إيميلين كليج: "أجل, وروحاني بطريقة رائعة".

وافقتها الآنسة كارنابي, فقد كان ذلك حقيقيًا؛ إذ شعرت بما تقوله صديقتها, شعرت بهالة من الروحانيات...

حاولت كارنابي السيطرة على مشاعرها, فهي ليست هنا لكي تسقط فريسة لسحر أو روحانيات الراعي الكبير، فاستحضرت في ذهنها صورة لـ هيركيول بوارو, فبدا لها مختلفًا تمامًا, وبعيدًا جدًا عن أية روحانيات...

فقالت الآنسة كارنابي إلى نفسها: "استيقظي يا كارنابي, تذكري ما جئت إلى هنا من أجله...".

ولكن مع مرور الأيام, وجدت نفسها تستسلم بسهولة شديدة إلى سحر التلال الخضراء, حيث السلام, والبساطة, والطعام العادي واللذيذ في الوقت ذاته, وجمال الجلسات وأناشيدها عن الحب والسلام, وكلمات المعلم المؤثرة والبسيطة, والاحتكام إلى كل ما هو أسمى وأرقى ما في الإنسانية, فهناك لم يكن لنزاعات العالم وقبحه وجود, لم يكن هناك إلا السلام والحب...

والليلة كان موعد مهرجان الصيف العظيم, مهرجان الحصاد الكامل, حيث ستلقن كارنابي مبادئ الطائفة لتصبح أحد أعضائها.

وقد أقيم المهرجان في مبنى أبيض ومتلألئ يطلق عليه الملقنون الساحة البديعة, حيث اجتمع أنصار الطائفة قبل غروب الشمس. وكانوا يرتدون عباءات من جلود الغنم, وأخفافًا في أقدامهم, أما أذرعهم فكانت عارية. في منتصف الساحة - فوق منصة مرتفعة - وقف الطبيب أندرسن, الرجل الضخم ذو الشعر الذهبي والعينين الزرقاوين واللحية المنمقة والوجه الحسن الذي لم يبد من قبل أكثر سحرًا وجاذبية من تلك المرة. وكان يرتدي ثوبًا أخضر ويحمل عصا الراعي الذهبية.

رفع عصاه عاليا فخيم صمت ثقيل على الجمع.

"أين جماعتي؟".

فأجاب الحشد:

"نحن هنا أيها الراعي".

"املأوا قلوبكم بالبهجة والشكر, فهذا هو يوم البهجة".

"يوم البهجة، ونحن مبتهجون".

"لن تشعروا بعد الآن بالحزن والألم, فحياتكم كلها ستصبح مبهجة!".

"كلها مبهجة..."

"كم رأسًا لدى الراعي؟".

"ثلاثة رءوس, رأس الذهب, ورأس الفضة, ورأس النحاس الأصفر الرنان".

"كم جسمًا لدى الخراف؟".

"ثلاثة أجسام, جسم من اللحم, وجسم من الفساد, وجسم من النور".

"كيف تصبحون جزءًا من القطيع؟".

"بالتضحية بالدماء".

"هل أنتم مستعدون لهذه التضحية؟".

"أجل".

"اعصبوا أعينكم ومددوا أذرعكم اليمنى إلى الأمام".

إذعانًا لأمره؛ عصب الجميع أعينهم بأوشحة خضراء، وكانت قد أعطيت إليهم لهذا الغرض. وكباقي الحشد, مددت الآنسة كارنابي ذراعها أمامها.

ثم سار الراعي الكبير بطول صفوف جماعته, فكان هناك بعض البكاء والنواح... إما من الألم أو من التلذذ.

فقالت الآنسة كارنابي لنفسها بعنف:

"إن الأمر برمته ليس إلا هرطقة! هذا النوع من الهيستريا يثير الأسى, ينبغي أن أبقى هادئة وألاحظ ردود فعل الآخرين. لن أنجرف إلى هذا الهراء, لن أنجرف...".

أتى نحوها الراعي العظيم, فشعرت بأن أحدًا يجذب ذراعها ثم أحست بألم حاد وشديد مثل وخزة الإبرة؛ فهمهم الراعي:

"التضحية بالدم تجلب البهجة...".

تابع الراعي سيره.

فجاء الأمر:

"أزيحوا الأوشحة وابتهجوا!".

كانت الشمس تغرب في الأفق, فنظرت الآنسة كارنابي حولها, وكواحدة منهم, تحركت الآنسة كارنابي ببطء خارج الساحة. وشعرت فجأة بأنها مبتهجة وسعيدة؛ فارتمت فوق منحدر رخو ومليء بالحشائش. لماذا كانت تعتقد أنها امرأة في منتصف عمرها وحيدة, ومنبوذة, فالحياة رائعة, وهي أيضًا رائعة! فقد كانت لديها القدرة على التفكير والحلم, فليس هناك شيء لا تستطيع تحقيقه!

شعرت بفورة من الابتهاج تسري في جسدها، وراقبت زملاءها حولها, فبدا فجأة أنهم ارتفعوا إلى مكانة عالية.

فقالت الآنسة كارنابي لنفسها في وقار: "إنهم مرتفعون كالشجر...".

ثم رفعت كارنابي يدها في إيماءة تظهر العزيمة والإرادة - إيماءة تستطيع بها أن تأمر كل الأشياء من حولها. قيصر الرومان, نابليون, وهتلر, جميعهم مساكين وبائسون! فهم لا يعرفون أي شيء عما يمكن أن تفعله كارنابي! غدًا ستجعل السلام والأخوة يسودان العالم. لا ينبغي أن يكون هناك مزيد من الحروب, والفقر, والمرض؛ فكارنابي ستصمم عالمًا جديدًا.

لكن لا داعي للعجلة, فالوقت لا نهاية له... إن الدقيقة تتبع الدقيقة, والساعة تلي الساعة! كان جسد الآنسة كارنابي ثقيلًا, لكن عقلها كان طليقًا ومبتهجًا؛ فقد كان يستطيع عند الرغبة أن يطوف أرجاء الكون. لقد نامت كارنابي, لكن في اللحظة نفسها حلمت... حلمت بمساحات كبيرة... بمبانٍ واسعة... بعالم جديد ورائع...

وانكمش ذلك العالم تدريجيًا, فتثاءبت الآنسة كارنابي, وحركت أعضاء جسدها المتيبسة. ماذا حدث منذ الأمس؟ في الليلة الماضية كانت قد حلمت...

إن القمر كان في السماء, وعلى ضوئه استطاعت الآنسة كارنابي أن تميز الأرقام في ساعتها, فدهشت عندما وجدت أنها تشير إلى العاشرة إلا الربع؛ فالشمس, مثلما تعرف, تغرب عند الثامنة وعشر دقائق. هل مرت فحسب ساعة وخمس وثلاثون دقيقة؟ مستحيل, ومع ذلك...

قالت الآنسة كارنابي لنفسها: "رائع جدًا".

قال هيركيول بوارو:

"يجب أن تنصاعي إلى تعليماتي بدقة شديدة, أتفهمين؟".

"أجل يا مسيو بوارو, يمكنك أن تعتمد عليّ".

"هل تحدثت عن نيتك في خدمة الطائفة؟".

"أجل يا مسيو بوارو, لقد تحدثت إلى المعلم... معذرة, مع الطبيب أندرسن، فأخبرته في تأثر شديد كم أن الأمر يمثل لي إلهامًا رائعًا, وكيف أنني في البداية كنت متشككة في أفكاره، ثم آمنت بها. يبدو من الطبيعي أن أقول كل هذه الأشياء، فالطبيب أندرسن, كما تعرف, يتميز بسحره الجذاب".

فقال هيركيول بوارو بطريقة جافة: "أرى ذلك".

"إن طريقته مقنعة جدًا, حتى إن المرء يشعر معه بأنه لا يهتم بالمال على الإطلاق؛ فقد قال بطريقته الرائعة: "أعطي ما في استطاعتك, وإن كنت لا تستطيعين إعطاء أي شيء, فلا يهم, ستظلين واحدة من المجموعة", فقلت له: "أوَه أيها الطبيب أندرسن, إنني لست فقيرة لهذه الدرجة. لقد ورثت قدرًا كبيرًا من الأموال من أحد أقاربي, ورغم أنني لا أستطيع فعليًا أن ألمس جنيهًا واحدًا من الأموال حتى تنتهي الإجراءات القانونية, فإن هناك شيئًا واحدًا أريد أن أفعله في الحال", وشرحت له أنني أكتب وصيتي وأريد أن أترك كل ما لديّ من أجل الطائفة, وأنني ليس لديّ أقارب من الدرجة الأولى".

"وقد وافق بلطف على ذلك!".

"لم يكن متلهفًا, بل قال إن أمامي عمرًا طويلًا, وإنني أمتلك كل ما يمكنني من أن أعيش حياة طويلة من البهجة والإشباع الروحي. لقد كان يتحدث بطريقة تحرك المشاعر".

فقال بوارو: "هكذا يبدو".

كانت نبرة بوارو جافة, وأكمل قائلًا:

"هل تحدثت إليه عن صحتك؟".

"أجل يا مسيو بوارو, لقد أخبرته بأنني كنت أعاني مشكلة في الرئة, وأن ذلك تكرر أكثر من مرة, لكن العلاج الأخير الذي تلقيته منذ عدة أعوام في إحدى المصحات كان سببًا في الشفاء".

"رائع!".

"لكن لماذا من الضروري أن أقول إنني عرضة للإصابة بمرض السل في حين أن

رئتي سليمة تمامًا, لا أفهم حقًا سبب ذلك".

"تأكدي أن هذا ضروري, هل تحدثت إليه عن صديقتك؟".

"أجل, لقد أخبرته (بثقة) بأن عزيزتي إيميلين, إلى جانب الثروة التي ورثتها من زوجها, سترث قريبًا قدرًا أكبر من الأموال من إحدى عماتها التي كانت مرتبطة بها كثيرًا".

"حسنًا, هذا سيبقي السيدة إيميلين آمنة في الوقت الحاضر!".

"أوه يا مسيو بوارو, هل تعتقد حقًا أن هناك أي شيء مريب في الأمر؟".

"هذا ما سأسعى لاكتشافه. هل قابلت السيد كول في الملاذ؟".

"كان موجودًا في آخر مرة ذهبت فيها إلى هناك. إنه رجل غريب الأطوار جدًا؛ إذ يرتدي سراويل قصيرة من اللون الأخضر، ولا يأكل إلا الكرنب, وهو مؤمن بشدة بأفكار هذه الطائفة".

"حسنًا, كل الأمور تسير على ما يرام, أهنئك على العمل الذي أديته, كل شيء جاهز الآن لمهرجان الخريف".

5

"الآنسة كارنابي, لحظة من فضلك".

أمسك السيد كول بالآنسة كارنابي, وكانت عيناه تشعان حماسًا وإشراقًا.

وأردف: "لقد رأيت رؤية... رؤية رائعة جدًا, ولا بد أن أخبرك بها".

فتنهدت الآنسة كارنابي, حيث كانت خائفة بعض الشيء من السيد كول ورؤياه؛ إذ كانت تمر عليها لحظات ترى فيها بلا تردد أنه مجنون.

فكانت تجد أن تلك الرؤى أحيانًا ما تكون سيئة جدًا؛ إذ تذكرها ببعض المقاطع من ذلك الكتاب الألماني الحديث الذي يتكلم عن العقل الباطن, والذي كانت قد قرأته قبل مجيئها إلى ديفون.

بدأ السيد كول, بعينيه اللامعتين, وشفتيه المرتجفتين, يتحدث بحماسة.

فقال: "كنت أتأمل, وأفكر في كمال الحياة, في البهجة الأسمى للسكينة الوجدانية, وبعد ذلك فتحت عينيّ ورأيت...".

تأهبت الآنسة كارنابي وأملت ألا يكون ما رآه السيد كول هو ما رآه في المرة الماضية, وهو بعض الطقوس الغريبة في سومرية القديمة.

مال السيد كول نحوها متنفساً بصعوبة بينما كانت تلوح في عينيه نظرات الجنون التام (أجل, هكذا كانت تبدو عيناه) وقال: "لقد رأيت حشوداً من الصالحين تتوافد على هذا المكان".

تنفست الآنسة كارنابي الصعداء, فقدوم الصالحين أفضل من أي شيء آخر.

فقال السيد كول: "وعلى الأرض كانت هناك المئات والمئات من الخراف، وقيل لي: "انظر إلى تلك الخراف التي تسير بغير هدى...".

توقف عن الحديث فقالت الآنسة كارنابي بأدب: "أجل!".

"ثم سيقت هذه الخراف، الواحدة بعد الأخرى، حتى ذبحت تحت أقدام فتيات صغيرات يرتدين ملابس بيضاء...".

ضغط السيد كول على شفتيه, فاحمر وجه الآنسة كارنابي.

"ثم أتت الغربان السوداء, غربان تطير من الشمال، وقد قابلت غربانًا أخرى قادمة من الجنوب وحامت معًا في السماء, ثم انقضت على حملان صغيرة كانت تمشي في سكينة واختطفتها إلى أعالي الجبال...".

ابتعدت الآنسة كارنابي في يأس عن معذبها الذي سال لعابه على فمه في نوع من الحماسة السادية:

وقالت: "لحظة من فضلك".

أسرعت كارنابي بمخاطبة ليبسكومب, وهو الرجل الذي يشغل الكوخ الذي يمثل المقر الأول للطائفة والذي تصادف أنه كان يمر بجانبها.

فقالت: " أتساءل عما إذا كنت قد وجدت البروش الخاص بي, لا بد أنه سقط مني في مكان ما على الأرض".

أقر ليبسكومب, الذي كان محصنًا من عذوبة وضوء التلال الخضراء, بأنه لم ير أية بروشات, وأنه ليس من عمله أن يبحث عن الأشياء. حاول ليبسكومب أن يتخلص من الآنسة كارنابي لكنها صاحبته, وثرثرت معه بشأن البروش الخاص بها, حتى ابتعدت بمسافة كافية عن حماسة السيد كول.

في تلك اللحظة, خرج رئيس الطائفة من الساحة الكبيرة, وشجع الآنسة كارنابي بابتسامته العطوفة أن تتحدث إليه عما يجول ببالها.

فسألته إن كان يعتقد أن السيد كول كان...

فوضع يده فوق كتفها.

وقال: "يجب أن تطردي الخوف من داخلك, فالحب المثالي يطرد الخوف...".

"لكني أعتقد أن السيد كول مجنون, وتلك الرؤى التي يراها...".

فقال رئيس الطائفة: "حتى الآن, بصيرة كول منقوصة...فهو يرى من خلال زجاج طبيعته الجسدية, لكن سيأتي اليوم الذي سيرى فيه الروحانيات وجهًا لوجه".

شعرت الآنسة كارنابي بالخجل, ومن ثم استعادت قواها لتبدي له احتجاجًا أصغر.

فقالت: "وهل حقًا ليبسكومب بحاجة إلى أن يكون وقحًا؟".

ابتسم رئيس الطائفة ابتسامته الروحانية مرة أخرى.

وقال: "ليبسكومب عبارة عن كلب حراسة مخلص, فهو فظ, وخشن, لكنه مخلص, مخلص جدًا".

ثم أسرع رئيس الطائفة خطاه, فرأته الآنسة كارنابي يقابل السيد كول, حيث أوقفه, ووضع يده على كتفه، فتمنت أن يكون لرئيس الطائفة تأثير على تعديل أفق رؤياه.

على أية حال, لم يتبق على موعد مهرجان الخريف إلا أسبوع واحد.

6

وبعد ظهر اليوم السابق للمهرجان, قابلت الآنسة كارنابي هيركيول بوارو في مقهى صغير في مدينة نيوتن ودبوري الصغيرة الخاملة. وكان وجه الآنسة كارنابي مخضبًا بالحمرة, وكانت لاهثة أكثر من المعتاد، فجلست ترتشف الشاي وتفتت الكعك بين أصابعها.

طرح عليها بوارو عدة أسئلة، وأجابت عنها بشكل مقتضب.

فقال:

"كم سيكون عدد الحاضرين للمهرجان؟".

"أعتقد سيكون مائة وعشرين شخصًا, ستذهب إيميلين بالطبع, والسيد كول... لقد كان غريب الأطوار جدًا مؤخرًا, إذ يرى رؤى, وقد وصف لي بعضًا منها, فهو حقًا غريب الأطوار, أتمنى ألا يكون مجنونًا. وكذلك سيكون هناك الكثير من الأعضاء

الجدد بالطائفة, حوالي عشرين شخصاً".

"جيد, هل تعرفين ما يجب أن تفعليه؟".

سادت لحظة من الصمت قبل أن تقول الآنسة كارنابي بصوت غريب بعض الشيء:

"أعلم ما قلته لي يا مسيو بوارو...".

"جيد جداً!".

فقالت كارنابي مباشرة:

"لكنني لن أفعله".

حدق إليها هيركيول بوارو, فوقفت وتحدثت بطريقة سريعة وهيسترية.

"لقد أرسلتني إلى هنا لأتجسس على الطبيب أندرسن؛ لأنك اشتبهت فيه في كل شيء, لكنه رجل رائع, ومعلم عظيم. لقد آمنت به بقلبي وعقلي! ولن أستمر في التجسس عليه يا مسيو بوارو! فأنا الآن أحد أتباعه, وهو لديه رسالة جديدة للعالم, ومن الآن فصاعداً, سأنتمي له بكل جوارحي, واسمح لي بأن أدفع ثمن الشاي الذي احتسيته".

بخيبة أمل طفيفة، رمت الآنسة كارنابي النقود وغادرت مسرعة المقهى.

فقال هيركيول بوارو: "يا له من أمر مزعج!".

كان على النادلة أن تنادي بوارو مرتين قبل أن يدرك أنها تقدم له الفاتورة. وقد لاحظ أن هناك رجلًا يبدو عليه الفظاظة يجلس على الطاولة المقابلة ويحدق إليه باهتمام, فاحتقن وجهه بالدماء, ودفع الفاتورة وغادر المقهى.

كان بوارو يفكر في غضب.

7

اجتمعت الطائفة مرة أخرى في الساحة العظيمة, وأنصتوا في صمت:

"هل أنتم مستعدون للتضحية؟".

"أجل".

"اعصبوا أعينكم ومدوا أذرعكم اليمنى".

تحرك الراعي الكبير, وكان يبدو مهيباً في ثوبه الأخضر, بطول الصفوف المنتظرة. وقد شعر السيد كول, آكل الكرنب وصاحب الرؤى, والذي كان يقف بالجوار من الآنسة كارنابي, بنشوة مؤلمة ما إن وخزت الإبرة جسمه.

وقف الراعي الكبير بجوار الآنسة كارنابي, ولمست يداه ذراعها...

ثم سمعت صوتاً يقول:"كلا, أنت لست, لا شيء من ذلك...".

انطلقت كلمات غير معقولة, وغير متوقعة, شجار, غضب عارم... أوشحة خضراء تنتزع من فوق العيون لترى مشهداً لا يصدق, الراعي الكبير يقاوم قبضة السيد كول بمساعدة عضو آخر من الطائفة.

فقال السيد كول سابقاً في نبرة سريعة واحترافية:

"...لديّ أمر بالقبض عليك, يجب أن أحذرك أن أي شيء ستقوله قد يستخدم ضدك في المحاكمة".

كان هناك أشخاص آخرون عند باب الساحة يرتدون زياً أزرق اللون.

فهتف أحد الأشخاص: "إنها الشرطة, إنهم يأخذون المعلم, يأخذون المعلم...".

أصيب الجميع بالصدمة, والرعب... فبالنسبة لهم كان الراعي الكبير شهيداً لقناعاته؛ أي أنه كان يكابد, مثل جميع المعلمين العظماء, جهل واضطهاد العالم الخارجي...

في الوقت ذاته كان المفتش كول يلملم بحذر الحقن الجلدية التي سقطت من يد الراعي الكبير.

8

"زميلتي الشجاعة!".

هز بوارو الآنسة كارنابي بيده في حماسة وقدمها للمفتش جاب.

فقال المفتش جاب: "عمل رائع يا آنسة كارنابي, لم نكن نستطيع أن نفعله بدونك، وهذه حقيقة".

فقالت الآنسة كارنابي: "يا إلهي! إنه لطف كبير منك أن تقول ذلك, لكن يقلقني أنني استمتعت حقاً بالأمر... استمتعت بالحماسة وبتأدية دوري. فأحياناً ما كنت

أنجرف وأفتتن بما يقوله رئيس تلك الطائفة, كنت أشعر حقًا بأنني واحدة من هؤلاء النساء الحمقاوات".

فقال جاب: "وهنا يكمن سر نجاحك! لقد كنت عبقرية, فلم يكن هناك شيء آخر يمكن أن يوقعه في قبضتنا! فهذا الوغد كان داهية".

التفتت الآنسة كارنابي إلى بوارو.

وقالت: "ما حدث في المقهى كان مريعًا, لم أكن أعرف ما أفعله, كان يجب فحسب أن أرتجل".

فقال بوارو في مودة: "لقد كنتِ رائعة, فقد اعتقدت للحظة أنه لا بد أن أحدنا قد فقد عقله؛ فقد ظننت لدقيقة أنكِ تعنَين ما تقولينه".

فقالت الآنسة كارنابي: "كانت مجرد صدمة! فعندما كنا نتحدث, رأيت في الزجاج أن ليبسكومب, الذي يشغل كوخ الملاذ, يجلس في الطاولة من خلفي. ولا أعرف الآن إذا ما كانت مصادفة أم أنه كان يراقبني بالفعل. كان عليّ أن أفعل ما بوسعي بطريقة ارتجالية وكنت أثق بأنك ستتفهم الأمر".

ابتسم بوارو.

وقال: "لقد فهمت, إذ كان هناك شخص واحد فحسب يجلس بالقرب منا بدرجة كافية تسمح له بأن يتنصت على أي شيء نقوله. وما إن غادرت المقهى، جعلت بعض معاونيّ يتبعونه, وحين رأيته يعود مباشرة إلى الملاذ، فهمت أنني أستطيع الاعتماد عليكِ وأنك لن تخذليني, لكن كنت خائفًا لأن ذلك زاد من الخطر الذي كنتِ تواجهيَنه".

"هل... هل كان هناك خطر حقًا؟ ما الذي كانت تحتوي عليه تلك الحقن؟".

فقال جاب:

"هل ستشرح أنت, أم أتولى أنا الأمر؟".

فقال بوارو في جدية:

"يا آنسة, هذا الطبيب يحسن الاستغلال والقتل, إنه قاتل علمي؛ فقد قضى معظم حياته في أبحاث الجراثيم, كما أنه يمتلك تحت اسم مختلف معملًا كيميائيًا في شيفلد, وهناك درس الكثير من البكتيريا المسببة للمرض. فقد كان يحقن أتباعه في المهرجانات بجرعة صغيرة لكنها كافية من عشب الكنب الهندي, والذي يعرف أيضًا باسم الحشيش أو البانج, وهو ما يمنح من يأخذه شعورًا زائفًا بالعظمة والمتعة. وهذا ما يجعل أنصاره مرتبطين به... فتلك هي البهجة الروحية التي كان يعدهم بها".

فقالت الآنسة كارنابي: "كان شعورًا رائعًا, شعورًا رائعًا حقًا".

أومأ هيركيول بوارو.

وقال: "كان ذلك رأس ماله العام في التجارة, شخصيته المهيمنة, وقدرته على خلق هيستريا جماعية, إلى جانب ردود الفعل التي تنجم عن هذا المخدر, لكن كان لديه هدف ثانٍ في الأفق".

"كانت هناك سيدات وحيدات كتبن في وصيتهن, في امتنان وحماس, أن تذهب أموالهن إلى الطائفة. ولكن بعد ذلك, ماتت الواحدة تلو الأخرى, وقد ماتت جميعهن في منازلهن وبأسباب طبيعية. ودون أن أدخل في تفاصيل فنية سأحاول شرح الأمر. من الممكن أن يتم تهجين بكتيريا معينة, على سبيل المثال, البكتيريا القولونية المسببة لالتهاب القولون التقرحي, وبكتيريا التيفوئيد, والمكورات الرئوية. وكان هناك أيضًا ما يسمى السلين الذي لا يضر صحة الشخص لكنه يحفز نشاط آفة السل. هل تتخيلين ذكاء الرجل؟ فهذه الوفيات تحدث في أجزاء مختلفة من الدولة, ومع أطباء مختلفين, ودون أن تكون هناك شبهة في الأمر. أعتقد أنه كان يزرع أيضًا مادة لها القدرة على تأخير نشاط البكتيريا المختارة، لكنها كانت تكثف من هذا النشاط".

فقال المفتش جاب: "إنه شرير جدًا!".

فتابع بوارو حديثه:

"وبناء على ما قلته لك, أخبرته بأنك تعانين السل, وقد كانت الحقنة التي سيحقنك بها تحتوي على مادة السلين عندما قبض كول عليه؛ لأنك إذا كنت لا تعانين المرض, فلن تضرك هذه المادة, وهذا هو السبب في أنني طلبت منك أن تؤكدي على إصابتك بالسل. رغم أنني كنت مرعوبًا من أن يختار جرثومة أخرى, لكنني احترمت شجاعتك، وكان عليّ أن أتركك تخوضين المخاطرة".

فقالت الآنسة كارنابي في ابتهاج: "أوه, هذا صحيح, أنا لا أمانع في أن أخوض المخاطر, فأنا أخاف فحسب من الثيران في الحقول وما شابه. لكن هل لديكم دليل كافٍ لإدانة هذا الشخص البغيض؟".

ابتسم جاب.

وقال: "العديد من الأدلة, فقد تحفظنا على معمله وتجاربه وكل شيء!".

فقال بوارو:

"أظن أنه ارتكب سلسلة طويلة من جرائم القتل, وأعتقد أنه لم يفصل من تلك الجامعة الألمانية بسبب معتقدات والدته. لكن ربما كانت تلك قصة مناسبة لتفسير مجيئه إلى هنا وكسب تعاطف الآخرين. في الواقع أعتقد أنه من أصل ألماني".

تنهدت الآنسة كارنابي.

فقال بوارو: "ماذا هناك؟".

فقالت الآنسة كارنابي: "كنت أفكر في حلم مدهش حلمت به خلال المهرجان الأول, أظن أنه كان بسبب الحشيش؛ فقد رأيت العالم جميلًا جدًا! بلا حروب, أو فقر, أو مرض, أو قبح...".

فقال جاب في غبطة: "لا بد أنه كان حلمًا جميلًا".

فهبت الآنسة كارنابي على قدميها وقالت:

"يجب أن أذهب إلى المنزل, فإيميلين قلقة جدًا, وعلمت أن أوجسطس يفتقدني كثيرًا".

فقال بوارو بابتسامة:

"ربما كان خائفًا أن تموتي - مثلما تظاهر هو بالموت من قبل - من أجل هيركيول بوارو".

الفصل الحادي عشر

تفاحات الهسبيريديا

1

عندما نظر هيركيول بوارو بتمعن إلى وجه الرجل الذي يجلس خلف المكتب الكبير المصنوع من خشب الماهوجني لاحظ الجبهة العريضة والفم الدقيق والفك ذا الأسنان الحادة والعينين الثاقبتين الحالمتين، فأدرك من خلال نظره إلى الرجل لماذا أصبح إميري باور أكبر قوة مالية.

ثم وقعت عيناه على اليدين الطويلتين الرقيقتين، رائعتي الشكل، المستقرتين على سطح المكتب، وفهم أيضاً لماذا اشتهر إميري باور بأنه جامع تحف عظيم. وقد اشتهر في البلاد على جانبي المحيط الأطلنطي بأنه خبير في الأعمال الفنية. كما أن شغفه الفني يعادل شغفه التاريخي؛ فلم يكن يكتفي بأن تكون المقتنيات جميلة إنما كان يحتاج أيضاً لأن تكون لها خلفية تراثية.

وكان إميري باور يتحدث، فصوته هادئ ومميز وله تأثير يفوق أي صوت آخر.

"أعرف أنك لا تقبل قضايا كثيرة هذه الأيام، ولكني أعتقد أنك سوف تقبل هذه القضية".

"إذن، لا بد أنها قضية ذات أهمية كبيرة!".

قال إميري باور:

"إنها مهمة بالنسبة لي".

ظل بوارو في وضع تساؤل، ورأسه يميل نسبيًا إلى أحد الجانبين. بدا أشبه بطائر أبي الحناء يتأمل ما حوله.

مضى الآخر في حديثه:

"الموضوع يخص استعادة عمل فني. وعلى وجه التحديد، كأس ذهبية منحوتة، يرجع تاريخها إلى عصر النهضة. وقد قيل إنها الكأس التي استخدمها ألكسندر السادس - رودريك دي بورخا، وإنه كان أحيانًا يقدم فيها الشراب إلى ضيف مفضل. وهذا الضيف عادة كان يموت يا مسيو بوارو".

همس بوارو: "تاريخ جميل".

"ارتبط مسار هذه الكأس دائمًا بالعنف. وقد سُرقت أكثر من مرة؛ حيث ارتكبت كثير من الجرائم من أجل اقتنائها وصاحبت ذلك سلسلة من سفك الدماء عبر العصور".

"بسبب قيمتها الجوهرية أم لأسباب أخرى؟".

"مؤكد أن قيمتها الجوهرية كبيرة؛ فهي متقنة الصنع (يقال إن بنفينوتو سيليني هو من صنعها). ويمثل تصميم الكأس شجرة مرصعة بالجواهر على شكل حية ملفوفة والتفاح فوق الشجرة مرصع بالزمرد الأخضر".

تمتم بوارو باهتمام بالغ:

"تفاح؟".

"إن الزمرد الأخضر رائع جدًا، وكذلك الحال في الياقوت الذي يزين الحية، ولكن من المؤكد أن القيمة الحقيقية للكأس تكمن في الأحداث التاريخية المرتبطة بها؛ فقد تم عرضها للبيع من قِبل فيراترينو ماركيز سان في عام 1929، وقد تنافس جامعو التحف في المزاد وحصلت عليها أخيرًا مقابل مبلغ (بسعر الصرف في ذلك الوقت) ثلاثين ألف جنيه".

رفع بوارو حاجبيه وهمس:

"إنه بالفعل مبلغ كبير! كان فيراترينو ماركيز سان محظوظًا".

قال إميري باور:

"عندما أريد شيئًا بشدة، أكون على استعداد لدفع الكثير من أجله يا مسيو بوارو".

قال هيركيول بوارو برفق:

"لا شك في أنك سمعت المثل الإسباني الذي يقول: "إذا أردت شيئًا يجب أن تدفع ثمنه، فهذه هي سنة الحياة".

لذا عبس الرجل الرأسمالي ولاحت علامات الغضب في عينيه، وقال ببرود:

"كان يجب أن تكون فيلسوفًا يا مسيو بوارو".

"لقد وصلت إلى عمر التأمل يا سيدي".

"بالتأكيد، لكن ليس التأمل هو ما سيعيد لي الكأس".

"أتظن هذا؟".

"أتخيل أن العمل سيكون ضروريًا".

أومأ بوارو بهدوء.

وقال: "إن أشخاصًا كثيرين يرتكبون الخطأ ذاته... ولكني أستميحك عذرًا يا سيد باور، لقد انحرفنا عن الموضوع الذي نحن بصدده. كنت تقول إنك اشتريت الكأس من فيراترينو ماركيز سان؟".

"بالضبط. ما أريد الآن أن أخبرك به هو أن الكأس قد سُرقت قبل أن تصبح في حيازتي".

"كيف حدث ذلك؟".

"تم اقتحام قصر الماركيز ليلة المزاد وسرق ثماني قطع أو عشر، من بينها الكأس".

"وما الإجراء الذي تم اتخاذه؟".

هز باور كتفيه في إحباط.

وقال: "بالطبع تولى الأمر رجال الشرطة، وتوصلوا إلى أن عملية السرقة قامت بها عصابة مجرمين دولية. وألقي القبض على اثنين من أعضائها، رجل فرنسي يدعى دوبلاي ورجل إيطالي يدعى ريكوفيتي، وقد حوكما... كما عثر على بعض البضائع المسروقة في حيازتهما".

"ولكن لم يعثر على كأس بورجيا؟".

"لم يعثر على كأس بورجيا، وبناء على تحريات الشرطة، عثر على ثلاثة رجال متورطين في السرقة - اثنان منهم ذكرتهما للتو، والثالث رجل أيرلندي يدعى باتريك كاسي. كان الأخير خبيراً في سرقة القطط. قيل إنه السارق الفعلي للتحف. كان دوبلاي العقل المدبر للعصابة ومخطط ضرباتهم الموفقة؛ أما ريكوفيتي فهو من قاد السيارة وجلس فيها بانتظار المسروقات".

"والقطع المسروقة؟ هل وزعت على ثلاثة؟".

"هذا محتمل. ومن ناحية أخرى، القطع التي اكتشفت كانت الأقل قيمة. ويبدو أن القطع الأكثر قيمة وجمالًا قد تم تهريبها بسرعة خارج البلاد".

"وماذا عن الرجل الثالث، كاسي؟ ألم تنله يد العدالة؟".

"ليس بالمعنى الذي تقصده. لم يكن شابًا صغيراً. وأصبحت عضلاته متيبسة. وبعد

أسبوعين من السرقة، سقط من الدور الخامس لأحد المباني ومات في الحال".

"أين وقع الحادث؟".

"في باريس. لقد كان يحاول سرقة منزل صاحب البنك، المليونير دوفالييه".

"ولم تظهر الكأس منذ سرقتها؟".

"نعم".

"ألم تعرض للبيع في مزاد؟".

"أنا واثق بأنها لم تعرض. ويمكنني القول إن رجال الشرطة ليسوا وحدهم هم من يبحثون عنها، وإنما يوجد محققون خصوصيون يشاركون في البحث".

"ماذا عن المبلغ الذي دفعته في شراء الكأس؟".

"عرض الماركيز، باعتباره شخصًا دقيقًا جدًا، أن يعيد إليّ هذا المبلغ؛ لأن الكأس سُرقت من منزله".

"وهل قبلت؟".

"كلا".

"وما السبب؟".

"هل لي أن أقول إن السبب هو أنني فضلت أن أبقي الأمر تحت سيطرتي؟".

"هل تعني أنك إذا قبلت عرض الماركيز، فستكون الكأس ملكه في حالة استرجاعها، في حين أنها الآن ملكك قانونًا؟".

"بالضبط".

"ما الدافع وراء تصرفك هذا؟".

قال إميري باور بابتسامة:

"أرى أنك تقدر هذا التصرف. حسنًا يا مسيو بوارو، فالأمر بسيط. إنني فكرت في أن أعرف مَن الذي استولى على الكأس".

"أمر مثير. ومن يكون؟".

"السير ريوبين روزنتال. إنه لم يكن مجرد جامع تحف، لكنه أيضًا كان في الوقت نفسه عدوًا شخصيًا؛ فقد كنا متنافسين في صفقات عمل عديدة، وفي الأغلب كنت أفوز بالصفقة. وقد بلغ الحقد بيننا أوجه بسبب صفقة كأس بورجيا، فكلانا كان يعتزم الحصول على الكأس؛ فالأمر كان بالنسبة لنا مسألة شرف. وقد تنافس ممثلانا في

المزاد".

"وهل ضمنت المزايدة الأخيرة لممثلك الفوز بالكأس؟".

"ليس على وجه التحديد. لقد أخذت احتياطاتي بأن عينت وكيلًا آخر لكي يتظاهر بأنه ممثل تاجر باريس. ولا أحد منا كان يريد أن يخسر أمام الآخر، ولكن أن تسمح لطرف ثالث بأن ينال الكأس، مع إمكانية الوصول إلى هذا الطرف لاحقًا، كان أمرًا مختلفًا تمامًا".

"في الواقع، لقد كانت خدعة لطيفة".

"تمامًا".

"وقد كانت خدعة ناجحة، ومن المؤكد أن السير ريوبين قد اكتشف على الفور تعرضه لخدعة؟".

ابتسم باور.

وكانت ابتسامة موحية.

فقال بوارو: "فهمت الوضع الآن. وأنت تؤمن بأن السير ريوبين عازم على ألا يهزم، ودبر للسرقة عن عمد؟".

رفع إميري باور يده، وقال:

"أوه كلا، كلا! لا يمكن أن تكون السرقة قد تمت بهذا الشكل الصريح، بل إن الأمر سوف يتطور حتى يصل إلى ذلك - فبعد السرقة بفترة قصيرة سوف يعلنون أن السير ريوبين ينوي شراء كأس من عصر النهضة، مجهولة المنشأ".

"وهل تداول رجال الشرطة أوصاف الكأس؟".

"لم تعرض الكأس في مكان مفتوح".

"هل تعتقد أن السير ريوبين سيكتفي بأن تكون الكأس في حوزته؟".

"أجل. علاوة على أنني إذا كنت قد قبلت عرض الماركيز، فسيكون من الجائز أن يعقد السير ريوبين ترتيبات خاصة معه في وقت لاحق، وبالتالي يتم السماح له بأن تنتقل إليه ملكية الكأس قانونًا".

توقف لدقيقة ثم قال:

"ولكن احتفاظي بحق الملكية القانونية، يجعل السبل ما زالت مفتوحة لاسترداد كأسي".

قال بوارو بصراحة "تقصد أنك كنت ترتب الأمر لكي تسرق الكأس مجددًا من

السير ريوبين".

"هذه ليست سرقة يا مسيو بوارو. ببساطة كنت سأسترد كأسي".

"لكن، أظن أنك لم تنجح، أليس كذلك؟".

"لسبب وجيه جداً. روزنتال لم يحصل على الكأس!".

"كيف عرفت؟".

"مؤخراً، حصل اندماج بين شركات نفطية... وصارت مصالحي ومصالح روزنتال مرتبطة الآن. أصبحنا حليفين ولم نعد عدوين؛ لذا تحدثت إليه صراحة في الموضوع، وهو أكد لي فورا أن الكأس ليست بحوزته".

"وهل تصدقه؟".

"أجل".

قال بوارو بتدبر:

"إذن، فقد كنت طوال عشر سنوات، تقريباً تتهم الشخص الخطأ؟".

قال الرجل الرأسمالي بمرارة:

"أجل، هذا ما كنت أفعله بالضبط!".

"والآن - عليك أن تبدأ من البداية؟".

أومأ الآخر، واستطرد بوارو:

"وهكذا يتضح دوري، أليس كذلك؟ فأنا الكلب الذي تريد إطلاقه لتتبع الرائحة الخافتة جداً".

قال إميري باور بطريقة جافة:

"لو كانت القضية سهلة، لما كان من الضروري أن أرسل في طلبك. بالطبع، لو ظننت أن الأمر مستحيل...".

وكان لكلماته مفعول السحر؛ فقد وقف هيركيول بوارو، وقال ببرود:

"لم أعرف كلمة مستحيل يا سيدي! أنا فقط أسأل نفسي - إن كانت هذه القضية مثيرة بدرجة كافية لكي أتولاها؟".

ابتسم إميري مرة ثانية، وقال:

"إنها مثيرة بالدرجة التي تريدها - أنت من ستحدد أتعابك".

نظر الرجل الضئيل إلى الرجل كبير الحجم، وقال برفق:

"هل تحتاج إلى هذه القطعة الفنية بهذا القدر؟ بالطبع لا!".

قال إميري باور:

"لنقل إنني مثلك لا أقبل الخسارة".

انحنى هيركيول بوارو, وقال:

"أجل - إنني أتفهم ما تقصده ...".

2

كان المفتش واجستاف مهتمًا وهو يتكلم:

"كأس فيراترينو؟ نعم، أتذكر كل شيء بخصوصها. لقد كنت مكلفًا بإنهاء هذا العمل. إنني أتحدث اللغة الإيطالية قليلًا، وسافرت إلى إيطاليا واستمتعت بتناول المكرونة. لم تظهر الكأس منذ ذلك اليوم. يا له من أمر غريب!".

"وما تفسيرك؟ هل بيعت في مزاد خاص؟".

هز واجستاف رأسه نفيًا.

وقال: "أشك في هذا. مؤكد أنه احتمال بعيد ... كلا، تفسيري أبسط بكثير. لقد تم إخفاء الكأس - والشخص الوحيد الذي كان يعرف مكانها قد مات".

"تقصد كاسي؟".

"أجل، ربما يكون قد أخفاها في مكان ما بإيطاليا، أو ربما نجح في تهريبها خارج البلاد. ولكنه أخفاها، وأيًا كان المكان الذي أخفاها به، فهي لا تزال هناك".

تنهد هيركيول بوارو وقال:

"هذه نظرية رومانسية. اللآلئ محشوة بداخل قوالب جبس - ما اسم هذه الرواية- تمثال نابليون، أليس كذلك؟ لكن في حالتنا هذه لا توجد جواهر، وإنما كأس ذهبية صلبة وكبيرة. قد يعتقد المرء أنه ليس من السهل إخفاؤها".

قال واجستاف بغموض:

"أوه، لا أعرف. أفترض أنه يمكن إخفاؤها؛ تحت ألواح الأرضية... شيء من هذا القبيل".

"هل يملك كاسي منزلًا خاصًا به؟".

ابتسم واجستاف وقال: "أجل، في ليفربول. لم تكن الكأس تحت ألواح الأرضية في منزله؛ نحن تأكدنا من ذلك".

"ماذا عن عائلته؟".

"كانت زوجته امرأة محترمة، ومريضة بمرض السل. كانت قلقة حتى الموت من طريقة زوجها في الحياة، وكانت متدينة - ومتعصبة - ولكنها لم تتخذ قراراً بترك زوجها. وماتت منذ عامين. وقد سلكت ابنتها المسلك ذاته وكرست وقتها لخدمة دار العبادة. أما الولد فكان مختلفاً - كان يسلك مسلك أبيه في الحياة. وآخر مرة سمعت أنه يقيم في أمريكا".

ودون هيركيول بوارو في دفتره كلمة أمريكا، وقال: "هل يحتمل أن يعرف ابن كاسي بمكان الكأس؟".

"لا أعتقد أنه يعرف. لو كان يعرف لوصلت الكأس إلى أيدي تجار السلع المسروقة الآن".

"ربما تعرضت الكأس للانصهار".

"ربما، يمكنني القول إنه احتمال غير بعيد. ولكني لا أعرف؛ فالكأس لها قيمة كبيرة لجامعي التحف - وهناك العديد من الأشياء المضحكة التي تحدث مع جامعي التحف - سوف تندهش!" وأردف بتعفف: "أعتقد أن جامعي التحف ليست لديهم أخلاق على الإطلاق".

"آه! هل ستتفاجأ لو كان السير روزنتال، على سبيل المثال، متورطًا فيما تصفه بأنه: "عمل غريب؟".

ابتسم واجستاف وقال:

"لن أنفي عنه هذا الاحتمال. غير متوقع منه النزاهة عندما يتعلق الأمر بالأعمال الفنية".

"ماذا عن بقية أفراد العصابة؟".

"ريكوفيتي ودوبلاي، كلاهما تلقى حكمًا قاسيًا. أتصور أنهما على وشك إنهاء العقوبة".

"دوبلاي رجل فرنسي، أليس كذلك؟".

"بلى، كان العقل المدبر للعصابة".

"أين بقية أفراد العصابة؟".

"كانت هناك فتاة - تدعى ريد كيت. وهي التي قامت بأعمال مربية المنزل، واهتمت بكل ما يخص المنزل الذي كان يختبئ به أفراد العصابة وما إلى ذلك. أعتقد أنها ذهبت إلى أستراليا، بعد أن تفككت العصابة".

"هل من أفراد آخرين؟".

"هناك شاب يدعى يوجويان يفترض أنه كان من ضمن تشكيل العصابة. وهو تاجر، مقر تجارته الرئيسي في إسطنبول ولكن لديه محلًا في باريس. ولم يثبت شيء ضده - ولكنه مجرم شديد المراوغة".

تنهد بوارو، ونظر إلى دفتره الصغير الذي دوّن فيه كلمات: أمريكا، أستراليا، إيطاليا، فرنسا، تركيا ...

همس قائلًا:

"سأضع حزامًا حول الأرض...".

قال المفتش واجستاف: "معذرة؟".

قال هيركيول بوارو: "كنت أقول إنني سأضطر للقيام بجولة حول العالم".

3

كانت عادة هيركيول بوارو أن يناقش قضاياه مع جورج، خادمه الكفء. والمقصد هو أن هيركيول بوارو أراد أن يفصح عن ملاحظات معينة يمكن لـ جورج أن يرد عليها بالحكمة الدنيوية التي اكتسبها في نطاق عمله كمرافق للنبلاء.

قال بوارو: "لو أنك يا جورج كنت بحاجة إلى عقد استثمارات في خمس مناطق مختلفة من الكرة الأرضية، فكيف ستتعامل مع الأمر؟".

"حسنًا يا سيدي، الطيران سريع جدًا، رغم أن البعض يقولون إنه يحدث اضطرابًا بالمعدة، لكنني لا أستطيع الجزم بذلك".

قال هيركيول بوارو: "المرء يسأل نفسه: ماذا كان هرقل؟".

"أتقصد الفتى الذي يقود الدراجة يا سيدي؟".

ثم تابع هيركيول بوارو: "وربما، المرء يسأل ببساطة: ماذا فعل هرقل؟ وتكون الإجابة يا جورج أنه سافر بنشاط، ولكنه أجبر في النهاية على جمع معلومات - كما

يقول البعض - من بروميثيوس - ومعلومات أخرى من نيريوس".

قال جورج: "حقًا يا سيدي؟ لم أسمع قط بهذين الرجلين. هل هذان اسمان لوكالتي سياحة يا سيدي؟".

بدا كأن هيركيول بوارو كان مستمتعًا بصوته، إذ أردف قائلًا:

"عميلي، إميري باور، يفهم شيئًا واحدًا فقط - العمل! ولا جدوى من تبديد الطاقة بعمل غير ضروري. هناك قاعدة ذهبية في الحياة: لا تفعل يا جورج أي عمل يمكن لغيرك القيام به من أجلك".

وأضاف بوارو "خاصة وهو ينهض ويتوجه إلى رف الكتب، عندما لا تكون النفقات عائقًا!".

بعد ذلك تناول من فوق الرف ملفًا معنونًا بحرف "و" وفتحه عند عبارة "وكالات تحر - موثوق بها".

وهمس: "بروميثيوس الحديث. فَلْتُسْدِ لي معروفًا يا جورج بأن تنسخ لي أسماء وعناوين معينة؛ السادة هانكرتون، نيويورك. والسادة لادن وبوشر، سيدني، سنيور جيوفاني ميزي، روما. والسيد ناعوم، إسطنبول. والسيد روجيه إيه. فرانكونا، باريس".

توقف بينما ينهي جورج المهمة، ثم قال:

"والآن، سيكون لطفًا بالغًا منك أن تحضر لي جدول مواعيد القطارات إلى ليفربول".

"نعم يا سيدي، هل أنت ذاهب إلى ليفربول؟".

"يؤسفني أن هذه هي الحقيقة. محتمل يا جورج أن أذهب أبعد من ذلك. ولكن ليس الآن".

4

لقد مرت ثلاثة أشهر قبل أن يقف هيركيول بوارو فوق بقعة صخرية ويعاين المحيط الأطلنطي، فارتفعت طيور النورس إلى أعلى ثم انقضت مرة أخرى وهي تطلق بصيحات طويلة كئيبة. كان الهواء عذبًا ورطبًا.

وقد انتاب هيركيول بوارو شعور، ليس غريبًا لهؤلاء الذين يزورون جزيرة إنيشوين لأول مرة، بأنه وصل إلى نهاية العالم. لم يتخيل في حياته مكانًا مهجورًا

ومنعزلًا مثل هذه الجزيرة. فهي تتمتع بالجمال - جمال كئيب مخيف، جمال الماضي البعيد المدهش. هنا، في غرب إيرلندا، التي لم تأت بها أقدام الرومان إليها، ولم يخيم بها معسكر، ولم يُشَيِّد بها طريق منظم وعملي ومفيد. وكانت أرضًا لم يعرف فيها الذوق العام ولا الطريقة المنظمة للحياة.

ثم نظر هيركيول بوارو إلى أطراف حذائه الجلد وتنهد. شعر بالوحشة والوحدة الشديدة؛ فالمعايير التي يعيش بها لم تقدر في هذا المكان.

وهنا مسحت عيناه الساحل المقفر جيئة وذهابًا، كما ألقى بعض النظرات على البحر. وقعت عيناه على مكان ما هناك - تقليدي جدًا، وهو جزيرة بليست، أرض الشباب ...

تمتم لنفسه قائلًا:

"شجرة التفاح، الغناء والذهب ...".

وفجأة، استعاد هيركيول بوارو نشاطه مرة أخرى - استفاق من غفلته، وعاد متناغمًا مرة أخرى مع حذائه الجلد وبذلته الأنيقة رمادية اللون.

ولم يمر زمن بعيد منذ أن سمع قرع الناقوس. وقد فهم المقصود من هذا الناقوس، فكان هذا الصوت مألوفًا له منذ أن كان شابًا.

فانطلق بخفة على طول المنحدر. وفي غضون عشر دقائق أصبح على مرأى من مبنى فوق المنحدر، ومحاط بسور عالٍ له باب خشبي كبير مزين بالمسامير. في ذلك الوقت وصل هيركيول بوارو إلى الباب وطرقه بالمطرقة المعدنية الهائلة المعلقة به، ثم سحب بحرص سلسلة صدئة، فرَنَّ جرس صغير حاد بداخل المكان.

انسحب لوح صغير في الباب جانبًا وظهر وجه، وكان وجهًا مريبًا، مغطى بالبودرة البيضاء. وكان هناك شارب ملحوظ فوق الشفة العليا، لكن الصوت كان صوت امرأة، صوت من يسميها هيركيول بوارو امرأة مخيفة.

حان وقت القيام بعمله.

قال بوارو: "هل هذا المبنى هو دار عبادة سانت ماري؟".

أجابت المرأة الرائعة بحدة:

"وماذا يكون غير ذلك؟".

لم يحاول هيركيول بوارو الإجابة، وقال للمرأة المخيفة:

"أود مقابلة كبيرة".

وقد عارضت ذلك المرأة المخيفة، ولكنها خضعت في النهاية. وسحبت القضبان، ثم

فتح الباب وقادته المرأة إلى غرفة صغيرة خاوية مخصصة لاستقبال الزائرين.

وفي الحال دخلت امرأة تضع حول عنقها مسبحة طويلة.

وكان هيركيول بوارو متدينًا بطبيعته؛ ما جعله يفهم الجو المحيط به.

قال لها: "أعتذر عن إزعاجي لكِ يا سيدتي، ولكن أعتقد أن لديك هنا سيدة تدعى كيت كاسي".

أومأت المرأة برأسها، وقالت:

"هذا صحيح. الزميلة ماري أورسولا في عزلة".

قال هيركيول بوارو: "هناك خطأ محدد يحتاج إلى تصحيح. أعتقد أن الآنسة ماري أورسولا يمكنها مساعدتي؛ فمن المؤكد أن لديها معلومات ربما لا تقدر بثمن".

هزت كبيرة المشرفات رأسها نفيًا، وكان وجهها ساكنًا وصوتها هادئًا ومتحفظًا، قالت:

"الزميلة ماري أورسولا لا يمكنها مساعدتك".

"لكني أؤكد لكِ...".

قاطعته الزميلة قائلة:

"الزميلة ماري أورسولا ماتت منذ شهرين".

5

وفي صالة فندق جيمي دونوفان، جلس هيركيول بوارو غير مرتاح في مواجهة الحائط. لم يرق الفندق بالنسبة له لما يجب أن تكون عليه الفنادق. كان سريره مكسورًا - وكذلك كان هناك لوحان زجاجيان مكسوران من نافذة غرفته - ما أعطى الفرصة لهواء الليل بالدخول وهو الشيء الذي لم يُرح هيركيول بوارو. وأصبح الماء الساخن الذي أحضر له فاترًا والوجبة التي أكلها، أثارت بداخله شعورًا مؤلمًا.

إن هناك خمسة رجال في الصالة وكانوا يتكلمون في السياسة. وأكثر جزئية لم يفهمها هيركيول بوارو هي كلماتهم ذات اللكنة الصعبة. على أية حال، هو لم يهتم كثيرًا.

وفي الحال وجد أحد الرجال جالسًا بجواره. وكان هذا الرجل من طبقة مختلفة

نسبيًا عن الآخرين؛ كان لديه طابع حضري رث.

قال بافتخار كبير:

"أقول لك يا سيدي إن بيجي لن يجد فرصة للنجاح، ليست لديه فرصة ... ستنتهي به الحال إلى المركز الأخير - المركز الأخير. خذ بنصيحتي ... الجميع يأخذ بنصيحتي. أتعرف من أنا يا سيدي، هل تعرف من أنا؟ أنا أطلس، أطلس دبلن صن ... أعط نصائح للفائزين كل موسم ... اتبع أطلس ولن تخسر أبدًا".

نظر إليه هيركيول بوارو باحترام غريب، وقال بصوت مرتجف:

"يا إلهي، إنه نذير شؤم!".

6

مضت بضع ساعات. وظهر القمر من وقت لآخر، يختلس النظر من خلف السحب. مشى بوارو بصحبة صديقه الجديد بضعة أميال. الأول كان أعرج. والفكرة التي انتابت بوارو هي أن هناك أحذية أنسب للمشي في البلدة من الحذاء الجلد. في الواقع كان جورج قد أوحى إليه بهذه الفكرة باحترام كبير، عندما قال له: "حذاء جلدي جميل".

لم يهتم هيركيول بوارو بالفكرة؛ حيث كان يحب أن تبدو قدماه أنيقتين وهو ينتعل حذاء جيدًا. لكن الآن، مع الطواف في هذا الممر الصخري، أدرك أنه كانت هناك أحذية أخرى ...

قال رفيقه فجأة:

"هل ما سنفعله معصية تستحق العقاب في الآخرة؟" لم أرتكب في حياتي خطيئة مميتة تشكل عبئًا على ضميري".

قال هيركيول بوارو: "أنت فقط تعيد إلى القيصر الأشياء التي تخص القيصر".

وصلا إلى سور دار العبادة، واستعد أطلس للقيام بدوره.

خرج منه أنين وتأوه بصوت منخفض حاد جدًا!

تحدث هيركيول بوارو بنبرة آمرة:

"اهدأ، أنت لن تضطر لحمل العالم - بل حمل هيركيول بوارو فقط".

7

إن أطلس كان يتأمل عملات جديدة بقيمة خمسة جنيهات، ثم قال:

"ربما لا أتذكر في الصباح الطريقة التي اكتسبت بها هذه النقود؛ فأنا قلق بشدة من أن رجل الدين أورايلي سيلاحقني".

"انسَ كل شيء يا صديقي. غداً سيكون العالم بين يديك".

همس أطلس:

"وعلى مَن سأراهن بهذه النقود؟ هناك ليد وركينج، وهو حصان كبير، وجميل! وهناك شيلا بوين. يمكن أن أجني مبلغًا كبيرًا من ورائها".

توقف، ثم قال:

"هل كنت أتخيل الآن أم أنني سمعتك تنطق اسم بطل إغريقي؟ أنت قلت هرقل، وسوف يتسابق الحصان هرقل غداً في الثالثة والنصف".

قال هيركيول بوارو "صديقي، ضع رهانك على ذلك الحصان، هرقل لا يخسر".

وفي اليوم التالي، فاز هرقل حصان السيد روسلين، بسباق بوينان على غير المتوقع.

8

إن هيركيول بوارو البارع فك الرزمة الملفوفة بعناية. أولًا الورق البني، ثم الحشو، وأخيرًا المناديل الورقية.

فوق المكتب المواجه لإميري باور، وضع كأسًا ذهبية لامعة، مزينة بشجرة تحمل تفاحًا مرصعًا بالزمرد الأخضر.

أخذ الرجل الرأسمالي نفسًا عميقًا وقال:

"أهنئك يا مسيو بوارو".

انحنى هيركيول بوارو.

فرد إميري باور يده، ولمس حافة الكأس، وأدار إصبعه حولها، وقال بصوت عميق:

"ملكي!".

وافق هيركيول بوارو.

"ملكك!".

تنهد الآخر, وأسند ظهره للخلف، وقال بصوت عملي:

"أين وجدتها؟".

قال هيركيول بوارو:

"وجدتها في إحدى دور العبادة".

ومضى بوارو يقول:

"كانت ابنة كاسي تخدم في دار عبادة. وكانت على وشك أن تنضم لدار العبادة وقت وفاة والدها؛ فقد كانت فتاة جاهلة ولكنها متدينة، وكانت الكأس مخبأة في منزل والدها في ليفربول. أعتقد أنها أخذتها إلى تبرعات دار العبادة لكي تكفر عن ذنب والدها؛ حيث وهبتها لدار العبادة، ولا أعتقد أيضاً أن مشرفات دار العبادة أنفسهن أدركن قيمتها. من المحتمل أن يكن أخذنها كموروث عائلي؛ فقد كانت في أعينهن كأساً ذهبية واستخدمنها على هذا النحو".

قال إميري باور:

"قصة غريبة! ولكن ما الذي جعلك تفكر في الذهاب إلى هناك؟".

هز بوارو كتفيه، وقال: "ربما - كنت أحاول استبعاد الأماكن المحتملة، ثم كانت الحقيقة الغريبة في أنه لم يحاول أحد التصرف في الكأس. وهذا بدا، مثلما ترى، كما لو أنه كان في مكان لا تعرف فيه القيمة المعتادة للأشياء المادية. وتذكرت أن ابنة باتريك كاسي تخدم في دار العبادة".

قال باور بحماس:

"حسنًا، مثلما قلت من قبل، أهنئك. دعني أعرف مقدار أتعابك وسأحرر لك شيكًا".

قال هيركيول بوارو:

"ليست هناك أتعاب".

حدق الآخر إليه بقوة.

وقال: "ماذا تعني؟".

"هل قرأت وأنت طفل القصص الخرافية؟ دائماً ما يقول فتى المصباح: اطلب مني ما

تشاء!".

"إذن تريد شيئًا؟".

"أجل، ولكن ليس مالًا. فقط طلبًا بسيطًا".

"حسنًا، ماذا يكون؟ هل تريد نصيحة في التسوق؟".

"إن هذا سيكون مجرد مال في صورة أخرى. لكن طلبي أبسط كثيراً من ذلك".

"ماذا يكون؟".

وضع هيركيول بوارو يديه فوق الكأس.

"أرسل هذه الكأس إلى دار العبادة".

سادت لحظة صمت، ثم قال إميري باور:

"هل أنت مجنون؟".

هز هيركيول بوارو رأسه.

"كلا، لست مجنونًا. سأبين لك بعض الأشياء".

رفع الكأس، وضغط بشدة بظفره على فك الثعبان الذي يحيط بالشجرة. بداخل الكأس كانت هناك قطعة ضئيلة من الذهب تزين شريحة داخلية جانبية تاركة فتحة في المقبض الأجوف.

قال بوارو:

"هل فهمت؟ كانت هذه كأس شراب بورجيا. بداخل هذه الفتحة الصغيرة، ينفذ السم إلى الشراب. إنك قلت بنفسك إن تاريخ هذه الكأس فاسد. الرغبة في العنف والدم والشر صاحبت اقتناء الكأس. ربما ينتقل الشر إليك أنت بدورك".

"مجرد خرافة!".

"محتمل. ولكن لماذا تهتم كثيراً باقتناء هذه الكأس؟ ليس لجمالها. ولا لقيمتها؛ فلديك مئات - وربما آلاف - من الأشياء الجميلة والنادرة. بل أردتها لكي تعزز كبرياءك؛ فأنت لم تشأ أن تهزم. حسنًا، أنت لم تهزم. أنت تفوز! الكأس في حوزتك. لكن الآن، لمَ لا تقوم بلفتة عظيمة؟ أعدها إلى حيث كانت تستقر في سلام لما يقرب من عشر سنواتَ. دعها تتخلص من شرها هناك. كان يخص دار العبادة في وقت ما - دعها تعد إليها. دعها ترجع إلى دار العبادة مرة أخرىحتى يتخلص البشر من شرورها".

مال إلى الأمام واستطرد يقول:

"دعني أصف لك المكان الذي وجدتها فيها - إنها حديقة السلام، تطل على البحر

الغربي المليء بالسكينة".

استرسل في حديثه عن وصف سحر إنيشوين بكلمات بسيطة.

أسند إميري باور ظهره، ثم وضع يده على عينيه، وأخيراً قال:

"وُلدت على الساحل الغربي لإيرلندا، وغادرتها وأنا صبي إلى أمريكا".

قال بوارو بلطف:

"سمعت بذلك".

اعتدل الرجل الرأسمالي في جلسته، وشردت عيناه مرة أخرى، وقال بابتسامة باهتة مرتسمة على شفتيه:

"أنت رجل غريب يا مسيو بوارو. لك ما تريد. خذ الكأس إلى دار العبادة كمنحة باسمي؛ منحة نفيسة جميلة, تقدر بثلاثة آلاف جنيه - وماذا سأحصل في المقابل؟".

قال بوارو بصوت أجش:

"ربما تكفر عن بعض ذنوبك".

اتسعت ابتسامة الرجل الغني - ابتسامة جائعة، جشعة، وقال:

"على كل، ربما يكون استثماراً! ربما يكون هذا أفضل شيء فعلته ...".

9

في قاعة دار العبادة الصغيرة، روى هيركيول بوارو قصته وأعاد الكأس إلى كبيرة المشرفات،

فهمست:

"أخبره بأننا نشكره وسندعو له بالخير".

قال هيركيول بوارو بلطف:

"إنه يحتاج إلى دعواتكن".

"هل هو رجل تعيس؟".

قال بوارو:

"تعيس جداً لدرجة أنه نسي معنى السعادة... تعيس لدرجة أنه لا يعرف أنه تعيس".

قالت المرأة برفق:

"آه، رجل غني ...".

لم يقل هيركيول بوارو شيئًا - لأنه يعرف أنه لا يوجد شيء يقوله ...

الفصل الثاني عشر

إحضار الكلب كروبيروس

1

ظل هيركيول بوارو يتمايل يميناً ويساراً في قطار الأنفاق، فيأتي تارة أمام جسد شخص، وتارة أمام جسد شخص آخر، وفكر في نفسه أن العالم مليء بالبشر! مؤكد أنه كان هناك كثيرون في عالم قطار أنفاق لندن في هذه اللحظة بالذات (6.30) من المساء. فهناك حرارة، وضوضاء، وزحام، وتلامس - ضغط غير مرحب به من الأيدي والأذرع والأجسام والأكتاف! حصار وضغط من مجموعة من الغرباء بسطاء وغير ممتعين! لم تكن رؤية البشرية جملة شيئاً جذاباً. كما أنه من النادر رؤية وجه يشع بالذكاء، ومن النادر أيضاً وجود امرأة متأنقة! ما هذا الشغف بشغل التريكو الذي اجتاح النساء في ظل هذه الظروف غير الملائمة بالمرة؟ امرأة لا تظهر أفضل شغل تريكو لها؛ فقط الانهماك، العيون الزجاجية، الضجر، الأصابع المشغولة! فالشخص يحتاج إلى خفة القطة البرية، وقوة إرادة نابليون للتحكم في شغل التريكو في قطار أنفاق مزدحم، ولكن النساء يفعلن ذلك دون عناء! فإذا نجحن في الحصول على مقعد، فسريعاً ما يخرجن لفة الخيط الضعيف متعدد الألوان ويبدأن شغل التريكو!

فكر بوارو: لا توجد راحة، لا يوجد جمال أنثوي! روحه المسنة اشمأزت من ضغط العالم الحديث وسرعته؛ فكل هؤلاء الشابات اللواتي يحطن به - متشابهات تماماً، متجردات من السحر، ويفتقرن إلى الأنوثة الطبيعية! فهو يحتاج إلى مزيد من الجاذبية الصارخة. آه! أن يرى سيدة أنيقة، وعطوفاً، وظريفة، امرأة جميلة القسمات، امرأة تلبس بتفاهة وإسراف! فيما مضى كانت توجد مثل هؤلاء السيدات. لكن الآن ...

توقف القطار في إحدى المحطات؛ وتدافع الناس في النزول، مجبرين بوارو على العودة إلى مواقع شغل التريكو؛ وتدافعوا في الصعود، ضاغطين عليه ليدخلوه ما يشبه علبة السردين مع رفاقه من الركاب، ثم انطلق القطار مرة أخرى، بهزة عنيفة، وهو ما رمى بوارو أمام امرأة بدينة متكتلة القسمات، فقال: "معذرة!"، ارتد مرة أخرى ليجد

نفسه أمام رجل طويل منزو، يحمل على ظهره حقيبة أوراق. قال: "معذرة!" مرة أخرى. شعر بأن شاربه أصبح مترهلاً ومسدلًا. يا له من جحيم! ولحسن الحظ كانت محطته هي القادمة!

كانت أيضًا محطة نزول ما يقرب من مائة وخمسين راكبًا، فالمحطة القادمة هي محطة ميدان بيكاديلي. ومثل موجة المد والجزر، يتدفقون إلى الرصيف. وحشر بوارو مرة أخرى فوق سلم متجه إلى أعلى نحو سطح الأرض.

إلى أعلى، فكر بوارو، من المناطق الشيطانية ... يا له من ألم تسببه حقيبة تحشر بين ركبتي الفرد من الخلف وهو يقف فوق سلم صعود.

في هذه اللحظة، نادى صوت باسمه، فتفاجأ ورفع عينيه إلى أعلى فوق السلم المقابل، رأت عيناه المتشككتان منظراً من الماضي؛ امرأة بكامل أناقتها وزينتها؛ توج شعرها الأحمر من صبغة الحناء، بقبعة من القش بداخلها مجموعة من الطيور الصغيرة مكسوة بالريش ببراعة. ويتدلى فرو غريب الشكل من فوق أكتافها.

اتسع فمها القرمزي، جلجل صوتها الأجنبي الجهوري بشكل مدوٍّ، فلديها حنجرة قوية.

صاحت: "إنه! إنه هو! عزيزي هيركيول بوارو! يجب أن نتقابل مرة أخرى! أنا مصرة!".

لكن القدر نفسه لا يمكن أن يكون متعنتًا مقارنة بسلوك مصعدين يتحركان في اتجاهين متعاكسين، فتحمل هيركيول بوارو برباطة جأش وبقسوة الصعود لأعلى، وتحملت الكونتيسة فيرا روساكوف الهبوط لأسفل.

أدار بوارو نفسه جانبًا، وانحنى فوق الدرابزين، وصاح بيأس:

"سيدتي العزيزة - أين يمكن أن أجدك؟".

جاءه ردها ضعيفًا من الأسفل. وكان ردًا غير متوقع، لكنه بدا في هذه اللحظة مناسبًا على غير العادة.

"في الجحيم ...".

طرفت عينا هيركيول بوارو وطرفت مرة أخرى، ثم فجأة تمايل على قدميه، ووصل القمة لا شعوريًا - غير مهتم أن يترجل كما ينبغي. واستقر الحشد من حوله فهناك عدد قليل من جانب واحد من الحشد الكثيف ضغط على مصعد الهبوط. هل عليه أن ينضم إليهم؟ هل كان هذا قصد الكونتيسة؟ لا شك أن السفر في أحشاء الأرض وقت الذروة كان جحيمًا. لو كان ذلك هو قصد الكونتيسة، فلن يستطيع أن يتفق معها كثيراً ...

لقد عبر بوارو بعزم، حاشراً نفسه في الحشد الهابط وتحمل العودة إلى الأعماق. وفي أسفل السلم لم يجد أثراً للكونتيسة. ثم غادر بوارو متتبعاً أضواء الإشارات الزرقاء والصفراء.

هل كانت الكونتيسة تفضل خط قطار باكيرلو أم بيكاديلي؟ ثم زار بوارو كل رصيف تباعاً، وارتد إلى الوراء وسط الحشود المتلاطمة التي تصعد إلى القطار أو تهبط منه، ولكنه لم يلمح تلك الروسية المبهرجة... الكونتيسة فيرا روساكوف.

مرهقاً ومحطماً ومغموماً لأقصى حدّ، صعد هيركيول بوارو مرة أخرى إلى الطابق الأرضي وترجل في صخب ميدان بيكاديلي، ووصل المنزل في جو من الإثارة الممتعة.

إنه سوء حظ الرجال الجيدين في ملاحقة السيدات المبهرجات. ولم يكن بوارو قادراً على أن يخلص نفسه من جاذبية الكونتيسة القاتلة التي شغلت تفكيره. بالرغم من أنه مر ما يقرب من عشرين سنة منذ أن رآها لأول مرة، فإن سحرها ما زال يسيطر عليه. ورغم أن مساحيق التجميل التي تضعها أصبحت الآن أشبه بمشهد مرسوم لغروب الشمس - بحيث صارت الموجودة تحت المساحيق خفية تماماً عن الأنظار - فإنها لا تزال في نظر بوارو تمثل السحر والفتنة. إن البرجوازي الضئيل ما زال متأثراً بالأرستقراطية؛ فذكرى طريقتها البارعة في سرقة المجوهرات أثارت إعجابه القديم. تذكر ثقتها المدهشة وهي تعترف بالحقيقة عندما ضبطت معها المجوهرات.
إنها امرأة لا تتكرر إلا مرة واحدة في الألف، بل في المليون! وقد قابلها مرة أخرى - وفقدها!

لقد قالت: "في الجحيم". مؤكد أن أذنيه لم تخدعاه! لقد قالت ذلك!

لكن ماذا كانت تعني بهذه الكلمة؟ هل قصدت قطار أنفاق لندن، أم يمكن أخذ كلماتها بمحمل ديني؟ مؤكد، حتى لو أن طريقتها في الحياة جعلت الجحيم أكثر مكان منطقي تذهب إليه بعد هذه الحياة، مؤكد أن أسلوبها الروسي المهذب لن يفترض أن هيركيول بوارو سيقصد حتماً المكان نفسه.

كلا، لا بد أنها قصدت شيئاً مختلفاً. لا بد أنها قصدت شيئاً آخر... وقع هيركيول بوارو في حيرة. يا له من أمر شاذ، يا لها من امرأة لا يمكن التكهن بتصرفاتها! امرأة متواضعة كان بإمكانها أن تصيح قائلة: "فندق ريتز" أو "فندق كلاريدج". لكن فيرا روساكوف صاحت بحدة وباستحالة: "الجحيم!".

تنهد بوارو، ولكنه لم يستسلم. وسط حيرته اتخذ أبسط المسارات وأكثرها استقامة. في الصباح التالي، سأل سكرتيرته، الآنسة ليمون.

وكانت الآنسة ليمون قبيحة بشكل لا يصدق وصاحبة كفاءة بشكل لا يمكن تصوره. لم يكن بوارو بالنسبة لها شخصاً مميزاً - بل كان مجرد رب عملها. لقد أعطته خدمة ممتازة، وكانت أفكارها وأحلامها مركزة في نظام جديد لحفظ الملفات التي كانت

تخزنها ببطء في خبايا عقلها.

قال بوارو: "يا آنسة ليمون هل لي أن أسألك سؤالًا؟".

"طبعا يا مسيو بوارو". رفعت الآنسة ليمون أصابعها من فوق مفاتيح الآلة الكاتبة وانتظرت بيقظة.

"لو طلبت منك صديقة مقابلتها... في الجحيم، ماذا تفعلين؟".

لم تتردد الآنسة ليمون كالعادة؛ فهي - مثلما كان بوارو يعتقد - تعرف كل الإجابات.

قالت: "أعتقد سيكون من الصواب أن أحجز مائدة".

حدق هيركيول بوارو إليها بنظرة بلهاء.

وقال بكلمات متقطعة: "أنت - سوف - تتصلين - لحجز - مائدة؟".

أومأت الآنسة ليمون وقربت التليفون منها.

وسألته "الليلة؟"، واعتبرت الموافقة أمرًا مفروغًا منه بما أنه لم يجب، واتصلت بسرعة.

"هل هذا الرقم 14578، فندق تمبل بار؟ هل هذا مطعم الجحيم؟ لو سمحت احجز مائدة لشخصين، باسم مسيو هيركيول بوارو. في الساعة الحادية عشرة".

وضعت السماعة وعادت أصابعها تحوم فوق مفاتيح الآلة الكاتبة، وظهرت على وجهها نظرة نفاد صبر؛ فقد أدت دورها، كأن تلك النظرة تقول، مؤكد أن رب عملها يجب أن يتركها الآن لكي يكمل ما بدأته هي.

لكن هيركيول بوارو أراد تفسيرًا.

وسأل "إذن ما هذا المكان المسمى بالجحيم؟".

بدت الآنسة ليمون متفاجئة قليلًا.

"أوه، ألا تعرفه يا مسيو بوارو؟ إنه نادٍ ليلي - حديث نسبيًا وهو حديث الساعة الآن - تديره بعض السيدات الروسيات، على ما أعتقد. ويمكنني أن أرتب لكي تصبح عضوًا فيه قبل حلول هذا المساء بكل سهولة".

عندئذ، بعد إهدار ما يكفي من الوقت على حد قولها، انفجرت الآنسة ليمون بسيل من الطباعة البارعة على الآلة الكاتبة.

وفي الساعة الحادية عشرة من تلك الأمسية، عبر هيركيول بوارو بابًا عليه لافتة بالمصباح النيون تظهر رسالة كل فترة زمنية. استقبله رجل مهذب يرتدي سترة حمراء

وأخذ منه معطفه.

وقد قادته إشارة من الرجل إلى سلم سطحي واسع يقود إلى أسفل، وفوق كل درج من السلم كتبت عبارة... كانت أول عبارة تقول:

"أحسنت النية ...".

والثانية:

"نظف الإردواز وابدأ من جديد ...".

والثالثة:

"يمكنني التخلي عنها وقتما أشاء ...".

تمتم هيركيول بوارو باستحسان: "الطريق إلى الجحيم، مفروش بالنيات الحسنة... هذا تصور حسن!".

هبط السلم، ووجد في نهاية السلم خزان مياه به بتلات الزنابق القرمزية. ويمر فوقه جسر على شكل قارب، فعبر بوارو الجسر.

على يساره يوجد كهف رخامي يجلس به أكبر وأقبح وأكثر الكلاب التي رآها في حياته سواداً! جلس معتدلًا تماماً ومجهداً وجامداً. وأخذ يفكر في نفسه: ربما يكون هذا الكلب غير حقيقي. لكن في تلك اللحظة، حرك الكلب رأسه المتوحش والقبيح وانبعثت من أعماق جسده الأسود زمجرة خافتة مخيفة.

ثم لاحظ بوارو سلة مزخرفة بها رقائق مستديرة صغيرة لإطعام الكلب مكتوباً عليها "ثريد من أجل كروبيروس!".

كانت عينا الكلب مركزتين عليها. ومرة أخرى سمع تلك الزمجرة المخيفة، فالتقط بوارو بسرعة رقاقة وألقاها بجوار الكلب الكبير.

تثاءب فم أحمر غائر؛ ثم أغلق الفك الكبير مرة أخرى. استساغ كروبيروس ثريده! ثم تحرك بوارو عبر باب مفتوح.

لم تكن القاعة كبيرة. وكانت المقاعد الصغيرة موزعة بها، وفي المنتصف مساحة للعروض الفنية. كانت القاعة مضاءة بمصابيح حمراء صغيرة، وهناك لوحات معلقة على الحوائط، وفي الركن البعيد توجد شواية كبيرة يقف عليها طهاة يتنكرون في زي وحوش.

لاحظ بوارو كل هذه الأمور قبل أن تتقدم نحوه الكونتيسة فيرا روساكوف - بطبيعتها الروسية المندفعة، وجمالها المتألق في زي المساء القرمزي - بيدين ممدودتين.

"آه، لقد أتيت! عزيزي... صديقي العزيز جدًا! يا لها من سعادة أن أراك مرة أخرى! بعد هذه السنوات الطويلة - كم من سنوات كثيرة قد مرت! كلا، لن نقول سنوات طويلة! فبالنسبة لي يبدو كأننا تقابلنا لأول مرة أمس فقط؛ فأنت لم تتغير... لم تتغير ولو قليلًا!".

قال بوارو وهو ينحني فوق يدها: "ولا أنتِ يا صديقتي العزيزة".

ومع ذلك أصبح مدركًا تمامًا أن العشرين عامًا كان لها تأثيرها. وربما لا توصف الكونتيسة روساكوف بأنها حطام؛ لكنها كانت على الأقل حطامًا مثيراً. فلا تزال المرأة تحتفظ بمرح الحياة وإثارتها، وهي تعرف، أفضل من أية امرأة أخرى كيف تجامل رجلًا.

بعد ذلك سحبت بوارو إلى مائدة يجلس إليها شخصان آخران.

وقالت معلنة: "أقدم لكما صديقي الشهير، المسيو هيركيول بوارو"، مرعب الأشرار! كنت أخاف منه في وقت ما، لكني الآن أعيش الحياة لأبعد مدى، تلك الحياة الأكثر استقامة ورتابة، أليس كذلك؟".

قال الرجل الطويل، الرفيع، كبير السن، الذي تخاطبه بكلامها: "لا تقولي حياة رتيبة أيتها الكونتيسة".

قالت الكونتيسة وهذا هو "البروفيسور ليسكارد، الذي يعرف كل شيء عن الماضي والذي يعطيني توجيهات قيمة لعمل ديكورات هذا المكان".

ارتجف عالم الآثار قليلًا.

وتمتم: "لو أنني أعرف ماذا تريدين فعله! النتيجة ستكون مروعة".

وقد ميز بوارو اللوحات عن قرب أكثر؛ فاللوحة المعلقة على الحائط المواجه له تجسد أورفيوس وهو يعزف موسيقى الجاز مع فرقته، بينما تنظر يوريديس بسعادة باتجاه الشواية. وفوق الحائط المقابل توجد لوحة تجسد أوزيريس وإيزيس، كأنهما يقيمان حفلا مصريًا على متن مركب في العالم الآخر. أما لوحة الحائط الثالث فهي تعرض بعض الشباب المتألقين يستمتعون بالاستحمام في أجواء الطبيعة.

قالت الكونتيسة مفسرة: "إنها بلد الشباب" ثم أضافت تقديمها للحضور: "وهذه أليس الصغيرة".

انحنى بوارو إلى الفتاة الجالسة فوق المائدة، وهي فتاة ذات مظهر صارم، ترتدي معطفًا وتنورة مختارين بعناية، ونظارة لها إطار مصنوع من العاج أو مادة مماثلة.

قالت الكونتيسة روساكوف: "إنها ماهرة جدًا جدًا؛ فهي حاصلة على درجة علمية وهي إخصائية نفسية، وتعرف كل أسباب الجنون! فالسبب ليس وراثيًا، مثلما قد تظن!

كلا، هناك أسباب كثيرة أخرى! أجده أمرًا غريبًا جدًا".

فابتسمت الفتاة التي تدعى أليس بلطف ولكن بقليل من التكبر. سألت البروفيسور بصوت صارم إن كان يود أن يرقص. بدا شاعراً بالإطراء مع قدر من التشكك.

وقال: "سيدتي العزيزة، أخشى أنني لا أجيد غير رقصة الفالس".

قالت أليس بصبر :"إنها بالفعل رقصة الفالس".

ثم نهضا وبدءا يرقصان، ولكن لم يرقصا جيداً.

وتنهدت الكونتيسة روساكوف، واستغرقت في سلسلة من الأفكار، وتمتمت: "على أية حال، إنها ليست قبيحة بالفعل ...".

قال بوارو بإنصاف "هي لا تبرز أجمل ما عندها".

صاحت الكونتيسة: "في الواقع، لا يمكنني فهم شباب اليوم. إنهم لا يجربون الأشياء التي تزيدهم أناقة - فكثيراً ما جربت، وأنا في شبابي، الألوان التي تناسبني - وبطانة الفساتين - ومشد الخصر - ومشد الشعر، ربما ظلال جفون أكثر إثارة...".

وقد أزاحت خصلة شعر عن جبهتها... وبدا واضحاً أنها، على الأقل، ما زالت تحاول، وتحاول بشدة!

"إن رضاها بالسمات التي ولدت بها مجرد غباء! وتكبر أيضًا! تؤلف أليس الصغيرة صفحات وصفحات عن الحب، ولكني أسألك: أتظن أن فتاة كهذه لديها استعداد لأن تقابل شابًا جيداً وترتبط به وتبني معه حياة؟ إن حياتها تدور حول التأليف والعمل، وحقوق العاملين، ومستقبل العالم. وهذه أشياء جيدة بلا شك، ولكني أسألك: هل في ذلك سعادة؟ انتبه لسؤالي، كم جعل هؤلاء الشباب العالم رتيبًا! في كل مكان لوائح ومحظورات! لم يكن الوضع كذلك عندما كنت شابة".

"هذا يذكرني، كيف حال ابنك يا سيدتي؟" في اللحظة الأخيرة استبدل بوارو كلمة "الولد الصغير" بكلمة "ابن"، ذلك أنه تذكر أنه قد مر عشرون عاماً.

توهج وجه الكونتيسة بحماسة الأمومة.

وقالت: "الطفل المحبوب! كم أصبح كبيراً الآن، عريض الكتفين، شديد الوسامة! هو في أمريكا، ويبني هناك جسوراً وبنوكًا وفنادق ومتاجر متعددة الأقسام وطرق سكك حديدية، أي شيء يحتاج إليه الشعب الأمريكي!".

بدا بوارو متحيراً بعض الشيء.

فسألها: "إنه مهندس إذن؟ هل هو مهندس معماري؟".

سألت الكونتيسة: "وماذا يهم في ذلك؟ إنه رائع! غارق في العوارض الحديدية

والماكينات، وأشياء تسمى ضغوطًا. وهي أشياء لم أفهمها على الإطلاق. ولكننا نحب بعضنا - لقد كنا محبين لبعضنا! ومن أجله، أحببت أليس الصغيرة. أجل، إنهما مخطوبان. لقد تقابلا على متن طائرة أو مركب أو قطار، ووقعا في حب بعضهما عندما انخرطا في الحديث عن حقوق العاملين. وعندما وصلت لندن، جاءت لزيارتي وقد أحببتها". لقد شبكت الكونتيسة ذراعيها حول صدرها وهي تقول: "قلت لها: أنت ونيك أحببتما بعضكما - لذا أحبك أنا أيضًا - ولكن إن كنت تحبينه، فلماذا تركته في أمريكا؟ وحدثتني عن "وظيفتها" والكتاب الذي تؤلفه، وحياتها العملية، ولم أفهم صراحة ولكني كنت دائمًا أقول: يجب أن يكون المرء حليمًا". وأضافت في اللحظة نفسها: "وما رأيك يا صديقي العزيز في لمساتي هنا؟".

قال بوارو وهو ينظر حوله مستحسنًا: "ذوق رفيع جدًا. ديكور أنيق!".

كان المكان مكتظًا وبه جو واضح من التوفيق لا يمكن تزييفه؛ فهذان زوجان كسولان يرتديان زي المساء الكامل، وهذان بوهيميان بسراويل قصيرة، وهناك رجلان بدينان يرتديان البذل الرسمية. أما أعضاء الفرقة الموسيقية فكانوا يتنكرون بزي الشياطين، يعزفون الموسيقى المثيرة للحماس. ولا ريب في ذلك، فالجحيم هو شعار المكان.

قالت الكونتيسة: "يرتاد هذا المكان كل أنواع البشر. هذا ما يجب أن يكون، أليس كذلك؟ أليست أبواب الجحيم مفتوحة للجميع؟".

اقترح بوارو: "ربما نستثني الفقراء!".

ضحكت الكونتيسة وقالت: "حسنًا، لا أنكر أن الأغنياء لهم الأولوية هنا".

عاد البروفيسور برفقة أليس إلى المائدة؛ فنهضت الكونتيسة وقالت: "يجب أن أتكلم مع أريستيد".

تبادلت بعض الكلمات مع كبير الندل، المتنكر في زي غريب، ثم راحت تنتقل من مائدة إلى أخرى، تتحدث إلى الرواد.

قال البروفيسور وهو يمسح جبهته ويرتشف من كوب العصير:

"إنها شخصية جذابة، أليس كذلك؟ الناس يشعرون بذلك".

استأذن في أن يذهب للتحدث إلى شخص يجلس إلى مائدة أخرى. ترك بوارو وحده مع أليس الماهرة، وشعر بوارو بالحرج قليلًا عندما تقابلت عيناه مع عينيها الزرقاوين الباردتين. اعترف بأنها جميلة حقًا، ولكنه وجدها مزعجة بوضوح.

همس: "لم أعرف بعد اسم عائلتك".

"كانينجهام... الدكتورة أليس كانينجهام. أستنتج أنك تعرف فيرا منذ زمن

طويل؟".

"أجل، منذ عشرين عامًا".

قالت الدكتورة أليس كانينجهام: "أجدها مادة مثيرة جدًا للدراسة. بالطبع أهتم بها لأنها والدة زوجي المستقبلي، لكني أهتم بها أيضًا من الناحية المهنية".

"حقًا؟".

"أجل، إنني أؤلف كتابًا عن علم النفس الجنائي. وأجد الحياة الليلية في هذا المكان تثقيفية؛ فلدينا أنماط متعددة من المجرمين يأتون هنا بانتظام. وقد تناقشت مع بعضهم حول حياتهم السابقة. ومن المؤكد أنك تعرف كل شيء عن ميول فيرا الإجرامية - أعني أنها تسرق!".

قال بوارو وقد تفاجأ بعض الشيء: "أجل... أعرف".

"أطلق على هذه الحالة عقدة العقعق. تعرف أنها دائمًا تسرق أشياء متلألئة؛ فهي لا تسرق مالًا أبدًا. ودائمًا تسرق مجوهرات. تخميني أنها كانت في طفولتها مدللة ورغباتها مجابة، ولكنها كانت تحظى بحماية كبيرة؛ فالحياة كانت رتيبة بشكل لا يطاق بالنسبة لها - رتيبة وآمنة. إلا أن طبيعتها تطلبت أحداثًا مثيرة - تاقت نفسها إلى العقاب. وهذا هو السبب الجذري لانغماسها في السرقة. لقد أرادت الأهمية، والشهرة من وراء تلقيها للعقوبة!".

اعترض بوارو: "من المؤكد أن حياتها لم تكن رتيبة ولا آمنة لكونها أحد أعضاء النظام القديم في روسيا في أثناء الثورة!".

ظهرت نظرة استمتاع باهتة في عينيها الزرقاوين الشاحبتين.

وقالت: "آه. عضوة في النظام القديم؟ هل أخبرتك بذلك؟".

قال بوارو بثبات: "لا شك في أنها أرستقراطية" - كان يحاول جاهدًا الرجوع إلى ذكريات غير مستقرة عن حكايات مختلفة كثيرة روتها له الكونتيسة حول حياتها الأولى.

رمقته الآنسة كانينجهام بنظرة متخصصة وهي تعلق "الفرد يصدق ما يتمنى أن يصدقه".

انزعج بوارو. وفي لحظة شعر بأنها على وشك أن تخبره بعقدته الشخصية. وقرر أن يشن الحرب على معسكر العدو. فقد استمتع بصحبة الكونتيسة روساكوف جزئيًا بسبب نشأتها الأرستقراطية، ولم يكن يعتزم أن يفسد متعته بسبب فتاة صغيرة ترتدي نظارة فوق عينين أشبه بعنب الثعلب المسلوق، وحاصلة على شهادة في علم النفس!

سألها: "هل تعلمين ما أجده مدهشًا؟".

اعترفت أليس كانينجهام في كلمات قليلة بأنها لا تعرف. فقد أقنعت نفسها بأن تظهر الضجر مع التسامح.

مضى بوارو يقول:

"ما أدهشني هو أنت - أنت شابة صغيرة، ويمكنك أن تبدي جميلة لو اعتنيت بنفسك... يدهشني أنك لا تهتمين بذلك! فأنت ترتدين معطفًا ثقيلًا وتنورة لها جيوب كبيرة كما لو أنك تستعدين للعب مباراة جولف. ولكن هنا ليس ملعب جولف، هنا سرداب سفلي بدرجة حرارة 21 درجة مئوية، وكذلك أنفك دهني ولامع، ورغم ذلك لا تضعين بودرة عليها، كما أنك تضعين محدد شفاه بدون عناية، فهو لا يحدد منحنى الشفتين! أنت امرأة ولكنك لا تهتمين بحقيقة كونك امرأة. وأقول لك: لماذا لا تهتمين؟ يا للحسرة!".

عندئذ شعر بالرضا لمدة دقيقة من رؤيته أليس كانينجهام تبدو آدمية. حتى إنه رأى لمحة غضب في عينيها، ثم استعادت سلوكها في الابتسام باحتقار.

بدأت تقول: "عزيزي المسيو بوارو، أخشى أنك لا تعرف شيئًا عن الأيديولوجية الحديثة؛ فالجوهر هو المهم - وليس المظهر".

نظرت لأعلى بينما كان هناك شاب أسمر مقبل عليهما.

تمتمت بتلذذ: "هذا نموذج ممتع كثيرًا. اسمه بول فاريسكو! متعدد العلاقات ولديه ميول غريبة للانحراف! أريده أن يخبرني بالمزيد عن المربية التي اعتنت به عندما كان في الثالثة من عمره".

وبعد دقيقة أو دقيقتين، كانت ترقص مع ذلك الشاب الماهر بالرقص. وبينما يقتربان من مائدة بوارو، سمعها بوارو تقول: "وبعد قضاء الصيف في بوجنور، أعطتك رافعة لعبة؟ رافعة - نعم، هذا مثير للعواطف".

سمح بوارو لنفسه لمدة دقيقة بأن يسرح مع تخمين أن اهتمام الآنسة كانينجهام بأنماط المجرمين ربما يؤدي يومًا ما إلى العثور على جثتها المشوهة ملقاة في زقاق مظلم؛ فهو لم يحب أليس كانينجهام، ولكنه كان أمينًا بدرجة تكفي لأن يدرك أن سبب كرهه لها هوعدم إعجابها الواضح بشخصية هيركيول بوارو! ولذلك جُرح غروره!

ثم رأى شيئًا وضع أليس كانينجهام مؤقتًا خارج تفكيره. فإلى مائدة في الجانب المواجه كان يجلس شاب أشقر في زي المساء، كان سلوكه يدل على أنه شخص يعيش حياة مليئة بالملذات. وتجلس أمامه فتاة من ذوات المظهر المتكلف، كان يحدق إليها بطريقة سخيفة وحمقاء. حتى إن أي شخص يراهما لا بد أنه همس: "الغني العاطل!" ومع ذلك كان بوارو يعرف جيدًا أن ذلك الشاب لم يكن غنيًا ولا عاطلًا. كان في الواقع مفتش المباحث تشارلز ستيفن الذي كان هنا في مهمة عمل ...

2

وفي صباح اليوم التالي، قام بوارو بزيارة إلى سكوتلاند يارد لمقابلة صديقه جاب، كبير المفتشين.

كان استقبال جاب لتحريات بوارو المقترحة غير متوقع.

قال جاب بود: "يا لك من ثعلب عجوز! كيف تصل إلى هذه الأفكار التي تتغلب بها عليّ؟!".

"ولكنني أؤكد لك أنني لا أعرف شيئًا على الإطلاق! هذا مجرد فضول".

قال جاب إن بوارو لن يستطيع أن يخدعه بهذه السهولة!

وأضاف: "أنت تريد أن تعرف كل شيء عن هذا المكان المسمى الجحيم؟ حسنًا، توجد أماكن أخرى مشهورة على الساحة غير هذا المكان. إنها أماكن منتشرة! لا بد أنهم كسبوا مالًا كثيرًا؛ لذا مؤكد أن النفقات باهظة. وتوجد سيدة روسية تديره من الظاهر، تسمي نفسها الكونتيسة أو غير ذلك...".

قال بوارو ببرود: "أنا أعرف الكونتيسة روساكوف. إننا صديقان قديمان".

مضى جاب يقول: "لكنها مجرد دمية؛ فهي لا تشارك بالمال. ربما يكون كبير الندل أريستيد بابوبولوس له دورٍ في الأمر ولكننا لا نصدق أنه العقل المدبر لما يحدث هناك. وفي الواقع نحن لا نعرف مَن يملك هذا النادي!".

"وهل يذهب المفتش ستيفن إلى هناك لكي يكتشف شخصية المالك؟".

"حصل على هذه المهمة الخطيرة على حساب أموال دافعي الضرائب، وحتى الآن لم يكتشف شيئًا على الإطلاق".

"ماذا تتوقع أن يكتشف هناك؟".

"مخدرات! تهريب مخدرات على نطاق واسع. وثمن المخدرات لا يدفع مالًا، وإنما أحجار نفيسة".

"آها!".

"هكذا يتم الأمر. الليدي بلانك - أو الكونتيسة واتنوت - تجد صعوبة في الحصول على مال نقدي. وعلى أية حال، هي لا تريد أن تسحب مبالغ كبيرة من البنك. ولكنها تملك مجوهرات - أحيانًا يكون موروثًا عائليًا! يتم أخذ المجوهرات إلى مكان من أجل "التنظيف" أو "إعادة التشكيل" - وهناك تؤخذ الأحجار الأصلية وتحل محلها أحجار مقلدة؛ فالأحجار غير الصلدة تباع هنا أو في أوروبا. والأمر كله مجرد تهريب -

فليست هناك سرقة، ولا يوجد من يحتج أو يحدث ضجة بسبب المجوهرات. ولو اكتُشف آجلًا أو عاجلًا وجود تاج أو عقد مزيف، فماذا يحدث؟ ستكون الليدي بلانك بريئة تمامًا - فهي لا تستطيع أن تتخيل كيف أو متى حدثت واقعة الاستبدال - فالعقد لم يغب عنها مطلقًا! ويتم إرسال رجال الشرطة المساكين في حملات عقيمة لمطاردة الخادمات التي سبق طردهن من المكان، أو كبير الخدم المثير للشكوك، أو منظفي النوافذ المشكوك فيهم.

"لكننا لسنا كسالى ولا مغفلين كما تفكر تلك الطيور الاجتماعية! فلدينا قضايا عديدة تأتي إلينا الواحدة تلو الأخرى - واكتشفنا عاملًا مشتركًا - كل السيدات تظهر علامات على تعاطي المخدرات - مثل العصبية وحدة الطبع - والارتعاش، واتساع مقلة العين، إلى آخره. والسؤال هو: من أين حصلن على المخدرات، ومن يدير عملية التهريب؟".

"والإجابة، كما تظن، هو هذا المكان المسمى بالجحيم؟".

"نحن نعتقد أن هذا المكان هو المقر الرئيسي لكل عمليات التهريب. لقد اكتشفنا أين يتم العمل على المجوهرات - إنها شركة تدعى جولكوندا - وهو مكان محترم بدرجة كافية من الظاهر، وبه مجوهرات مقلدة بجودة عالية. ويعمل به شخص بغيض يدعى بول فاريسكو... آه، أرى أنك تعرفه؟".

"لقد رأيته... في الجحيم".

"هذا هو المكان الذي أود أن أراه فيه - في الجحيم الحقيقي! إنه شخص سيئ جدًا - لكن السيدات - حتى السيدات المحتشمات منهن - يخضعن لسيطرته! لقد كون علاقة بشكل ما مع شركة جولكوندا، وأنا متأكد تمامًا أنه المالك الحقيقي للجحيم؛ فهو مكان مثالي لتحقيق أهدافه - مكان يذهب إليه من كل شكل ولون، من سيدات مجتمع، ومحتالين محترفين - إنه مكان المقابلات المثالي".

"أنت تظن أن المجوهرات المستبدلة مقابل المخدرات موجودة هناك؟".

"أجل. نحن نعلم دورِ جولكوندا في العملية ونريد معرفة الجانب الآخر ... المخدرات. نريد أن نعرف مَن ينقل المخدرات ومن أين تأتي".

"أليست لديك فكرة على الإطلاق؟".

"أعتقد أنها السيدة الروسية، لكن ليس لدينا دليل. فمنذ بضعة أسابيع مضت اعتقدنا أننا تقريبًا عثرنا على دليل؛ فقد ذهب فاريسكو إلى مقر جولكوندا، وتسلم بعض الأحجار ثم عاد مباشرة إلى الجحيم. وكان ستيفن يراقبه، ولكنه لم يره فعليًا يهرب المخدرات. عندما غادر فاريسكو، قبضنا عليه - ولم تكن الأحجار بحوزته. هاجمنا المطعم، وفتشنا جميع مَن بالمكان! والنتيجة، لا أحجار، ولا مخدرات!".

"إذن إخفاق تام؟".

جفل جاب، وقال: "أخبرني أنت ربما تعرضنا لموقف صعب، لكن لحسن الحظ وجدنا بيفيرال في المكان (القاتل المعروف). مجرد حظ، كان يفترض به أن يكون مقبوضاً عليه في سكوتلاند؛ فقد تَعَرّف رقيب حاذق من رجالنا على صوره. لذا انتهى الأمر نهاية سارة - فقد نلنا قدراً من الإشادات، وحظي الملهى بدعاية كبيرة - وصار مزدحماً أكثر من أي وقت مضى؟".

قال بوارو:

"ولكنكم لم تحرزوا أي تقدم في تحريات المخدرات. وقد يكون مكان إخفاء المخدرات موجوداً داخل المبنى؟".

"ربما، ولكننا لم نستطع العثور عليه. لقد مشطنا المكان كله. وبيني وبينك، جرى بحث غير رسمي أيضاً..." طرف بعينه ومضى يقول: "تم البحث في صمت تام... مجرد اقتحام وتفتيش سري، ولكننا لم نحرز نجاحاً؛ فقد مزق ذلك الكلب الضخم مرشدنا "غير الرسمي" إلى أشلاء! هذا الكلب ينام بداخل المبنى".

"أها، كروبيروس؟".

"أجل. إنه اسم سخيف لكلب - مَن يسمي كلبه على اسم نوع من أكياس الملح؟".

تمتم بوارو متدبراً: "كروبيروس".

قال جاب: "أفترض أنك ستخاطر بمحاولة في القضية يا بوارو. إنها مشكلة جسيمة وتستحق المحاولة؛ فأنا أكره تهريب المخدرات؛ لأنها تدمر أجساد البشر وأرواحهم. إنه حقاً جحيم بمعنى الكلمة!".

همس بوارو متأملاً: "هذا سيختم الأعمال... نعم. هل تعلم ماذا كانت المهمة الثانية عشرة من أعمال هرقل؟".

"ليست لديّ فكرة".

"إحضار الكلب كروبيروس. إنها ملائمة، أليس كذلك؟".

"لا أعرف عما تتحدث أيها الرجل العجوز، لكن تذكر: ذكرت الأخبار نبأ كلب يلتهم رجلاً"، ومال جاب للخلف وهو يطلق ضحكة عالية.

قال بوارو: "أتمنى أن أتحدث إليك في شأن شديد الجدية".

كانت الساعة مبكرة، والنادي خاو تقريبا، وجلست الكونتيسة مع بوارو إلى مائدة صغيرة بالقرب من الباب.

واحتجت قائلة: "ولكني لا أشعر بالجدية. أليس الصغيرة دائمًا جادة. وبيني وبينك، أجد هذا مملًا جدًا. نيكي المسكين، أي متعة سوف يحصل عليها؟ لا شيء".

استكمل بوارو حديثه بثبات: "أكنُّ لكِ كثيراً من المودة ولا أريد أن أراكِ تقعين في مشكلة".

"ولكن ما تقوله مناف للعقل! أنا في قمة النجاح، وأربح مالًا وفيراً!".

"هل تمتلكين هذا المكان؟".

أصبحت عين الكونتيسة مراوغة نوعًا ما.

وأجابت: "بالتأكيد".

"ولكن، هل لديك شريك؟".

سألت الكونتيسة بحدة: "من أخبرك بذلك؟".

"هل شريكك هو بول فاريسكو؟".

"أوه! بول فاريسكو! يا لها من فكرة!".

"إن لديه سجلًا إجراميًا. هل لاحظت تردد مجرمين على المكان؟".

انفجرت الكونتيسة بالضحك.

"ها قد تحدث البرجوازي الذي بداخلك! بديهي أن ألاحظ! ألا ترى أن هذا يشكل نصف جاذبية المكان؟ هؤلاء الشباب من مايفير تعبوا من رؤية أشخاص يشبهونهم في غرب إنجلترا. إنهم يأتون هنا، ويرون المجرمين؛ اللص، والمبتز، والمحتال - وربما حتى القاتل - الرجل الذي سوف تنشر صورته في صحف يوم الأحد في الأسبوع المقبل! هناك شيء مثير، هم يعتقدون أنهم يرون الحياة! وهكذا يفعل الرجل المتأنق الذي يبيع ملابس داخلية نسائية وجوارب ومشدات الخصر! إن ما يراه هنا مختلف تماماً عن حياته المحترمة وأصدقائه المحترمين! ومن ثم، مزيد من الإثارة... فهناك يجلس إلى إحدى الموائد - يجلس مفتش من سكوتلاند يارد يداعب شاربه... مفتش في مهمة سرية!".

قال بوارو برفق "إذن أنتِ تعرفين؟".

قابلت عيناها عينيه وابتسمت قائلة:

"يا صديقي العزيز، أنا لست سهلة مثلما تظن!".

"هل أنتِ أيضًا متورطة في تجارة المخدرات هنا؟".

قالت الكونتيسة بحدة: "آه، كلا! هذا عمل بغيض!".

نظر بوارو إليها لدقيقة أو اثنتين، ثم تنهد.

وقال لها: "إنني أصدقك، لكن في هذه الحالة أهم شيء أن تخبريني باسم مالك هذا المكان".

ردت بعنف: "إنه ملكي".

"على الورق، نعم. لكنّ هناك شخصًا آخر مختفيًا وراءك".

"هل تعرفه يا صديقي، أجدك فضوليًا تمامًا! أليس فضوليًا جدًا يا دودو؟".

تردد صوتها كهديل الحمام في آخر كلماتها وألقت عظمة من طبقها إلى الكلب الأسود الكبير الذي أمسكها بفك متوحش.

فسأل بوارو بسخرية: "ما هذا الاسم الذي تنادين به ذلك الحيوان؟".

"إنه صغيري دودو!".

"لكن هذا اسم سخيف!".

"ولكنه رائع! إنه كلب شرطة! يمكنه عمل أي شيء - أي شيء - انتظر!".

نهضت ونظرت حولها، وفجأة أمسكت طبقًا به شريحة لحم نضرة كبيرة تم إعدادها من أجل وجبة عشاء على مائدة مجاورة. دخلت الشرفة الرخامية ووضعت الطبق بالأسفل أمام الكلب، وفي الوقت نفسه نطقت ببعض الكلمات الروسية.

وقف كروبيروس محدقًا أمامه، كأن قطعة اللحم ليست موجودة بالطبق.

"هل تفهم؟ إنها ليست مسألة دقائق! كلا، بل سوف يبقى على هذا الوضع لساعات لو احتاج الأمر لذلك!".

ثم همست بكلمة، وفي لمح البصر أمال كروبيروس رقبته الطويلة واختفت قطعة اللحم في ثوانٍ.

ثم لفت فيرا روساكوف ذراعيها حول رقبة الكلب وعانقته بحب، وهي تشب على أطراف أصابعها لكي تفعل ذلك.

صاحت: "أترى كم يمكنه أن يكون لطيفًا؟! بالنسبة لي، وبالنسبة إلى أليس، وبالنسبة إلى أصدقائه - يمكنهم أن يفعلوا ما يحلو لهم! كل ما على المرء فعله هو أن يلقي عليه الأمر وهو ينفذ بسرعة البرق! يمكنني أن أؤكد لك أنه سوف يمزق مفتش الشرطة، في الحال ... إلى قطع صغيرة! نعم، إلى قطع صغيرة!".

وانفجرت في الضحك.

وقالت: "عليّ فقط أن ألقي إليه الأمر...".

قاطعها بوارو بسرعة - فهو يرتاب في روح الدعابة عند الكونتيسة. ربما يكون المفتش ستيفن في خطر محدق:

"يريد البروفيسور ليسكارد أن يتحدث إليك".

وكان البروفيسور يقف عند مرفقها بتأنيب.

وتذمر قائلًا: "أخذتِ قطعة اللحم الخاصة بي لماذا فعلت ذلك؟ لقد كانت قطعة طيبة!".

4

قال جاب: "ليلة الخميس، أيها الرجل العجوز. وكان ذلك ميعاد إقلاع المنطاد. بالطبع، قائد المهمة هو أندرو - من قسم مكافحة المخدرات - ولكن يسعده التعاون معك. كلا، شكراً لك، لا أريد مشروبك الخيالي. عليّ أن أحافظ على معدتي. أليس هذا عصير فاكهة الذي أراه هناك؟ هذا أفضل بكثير!".

مضى يقول وهو يضع كأسه:

"أعتقد أننا وجدنا حلًا للمشكلة؛ فهناك مخرج آخر في النادي - وقد اكتشفناه!".

"أين؟".

"خلف الشواية. جزء منها يتأرجح بشكل دائري".

"ولكن من المؤكد أنك رأيت...".

"كلا، أيها الولد الكبير. فعندما بدأ الهجوم، انقطع النور - فصل التيار من المصدر - واستغرق الأمر منا دقيقة أو اثنتين لإعادة تشغيله مرة أخرى. لم يخرج أحد من الطريق الأمامي لأنه كان مراقباً، لكن يتضح الآن أن شخصاً ما استطاع الانطلاق برشاقة عبر الطريق السري. وقد فتشنا المنزل الموجود خلف النادي - وهكذا عثرنا على المخرج السري".

"وماذا ستفعل بعد ذلك؟".

غمز جاب.

وقال: "دع الأمر يمش وفق الخطة - يظهر رجل الشرطة، وينقطع النور - وهناك شخص ينتظر في الجانب الآخر من الباب السري لكي يرى مَن يأتي من خلاله، وهذه المرة سنوقع به!".

"لماذا يوم الخميس؟".

غمز جاب مرة أخرى.

وأجاب "لدينا الآن تسجيل من شركة جولكوندا. وسوف تهرب أشياء من هناك يوم الخميس؛ مجوهرات الليدي كارينجتون".

قال بوارو: "هل تسمح لي بأن أقوم أنا أيضًا ببعض الترتيبات البسيطة؟".

5

جلس بوارو إلى مائدته الصغيرة المعتادة بجوار المدخل ليلة الخميس، يدرس الأجواء المحيطة. وكالعادة كان الجحيم ممتلئًا عن آخره!

وكانت الكونتيسة أكثر توهجًا من المعتاد - إن كان هذا ممكنًا. بدت الليلة روسية بدرجة كبيرة، تصفق بيديها وتقهقه من الضحك. وكان بول فاريسكو قد وصل. في بعض الأوقات، اعتاد أن يرتدي ثياب مساء مثالية، وفي ليالٍ أخرى، مثل الليلة، اختار أن يظهر نفسه بمظهر قاطع طريق، يرتدي معطفًا به أزرار مُحكمة، ويضع وشاحًا حول عنقه. وقد بدا شريرًا وجذابًا. بعد أن حرر نفسه من امرأة بدينة في منتصف العمر مزينة بالجواهر، مال على أليس كانينجهام التي كانت جالسة إلى مائدة تكتب بنشاط في مفكرة صغيرة، وطلب منها أن ترقص معه. عبست المرأة البدينة في وجه أليس ونظرت إلى فاريسكو بعينين والهتين.

لم يكن هناك أي إعجاب أو وله في أعين الآنسة كانينجهام، بل تألقت عيناها باهتمام علمي بحت بينما كانت ترقص معه. وقد تقدمت معه إلى أبعد من مربية الحضانة، وكانت تبحث عن معلومات حول مدرسته في المدرسة الإعدادية.

قالت: "شيء مثير جدًا. فاريسكو سيكون من أهم الحالات التي سأكتب عنها في كتابي؛ فالرمزية لا يمكن أن تخطئ. فالطريقة التي يختار بها ملابسه، وتفضيله للملابس التي تعبر عن الشخصيات الإجرامية، لها مدلول واضح على طبيعته النفسية. ربما تقول إنه نمط إجرامي واضح لكن العلاج يمكن أن يطبق...".

قال بوارو: "دائمًا تكون القدرة على إصلاح الشخص الفاسد، من أحب أوهام

المرأة!".

نظرت أليس كانينجهام إليه ببرود.

وقالت: "ليس هناك جانب شخصي في الموضوع يا مسيو بوارو".

قال بوارو "ليس الأمر شخصيًا، بل هو دائمًا يكون مجرد اهتمام بريء - لكن الشخص محل الاهتمام يكون عادة فردًا جذابًا من الجنس الآخر. هل أنت مهتمة، على سبيل المثال، أين ذهبت إلى المدرسة، أو ماذا كان سلوك العاملة معي؟".

قالت الآنسة كانينجهام: "أنت لست نمطًا إجراميًا".

"هل تتعرفين على أي نمط إجرامي بمجرد رؤيته؟".

"بالتأكيد".

انضم إليهما البروفيسور ليسكارد، وجلس بجوار بوارو.

"هل تتحدث عن المجرمين؟ يجب أن تدرس القانون الجنائي لـ حمورابي يا مسيو بوارو... ففترة 1800 قبل الميلاد هي الأكثر إثارة. إن الرجل الذي قبض عليه وهو يسرق في أثناء اندلاع حريق سوف يلقى به في النار".

وأمعن النظر أمامه باستمتاع، ناظرًا نحو الشواية الكهربائية.

وأردف قائلًا: "وهناك قوانين أقدم وهي القوانين السومرية. لو كرهت امرأة زوجها وصاحت به "أنت لست زوجي"، سوف يلقون بها في النهر. وهذا أرخص وأسهل من محكمة الطلاق. ولكن إن قال أحد الأزواج الكلام نفسه لزوجته، فعليه فقط أن يدفع لها مقدارًا محددًا من الفضة. ولا يلقي به أحد في النهر".

قالت أليس كانينجهام: "القصة القديمة نفسها، هناك قانون للرجل وقانون للمرأة".

قال البروفيسور مفكرًا: "من المؤكد أن النساء يقدرن بشكل كبير القيمة النقدية. تعرفان؟ إنني أحب هذا المكان، وأقضي هنا أغلب أوقات المساء. لست مضطرًا للدفع؛ فقد رتبت الكونتيسة لذلك - وهذا لطف كبير منها - تقول إن ذلك تقدير منها لنصائحي لها في الديكورات. إلا أنني لا أفعل شيئًا في الحقيقة - وليست لديّ فكرة عما كانت تسألني عنه - وقد قامت هي والرسام بكل شيء خطأ تمامًا. آمل ألا يعرف أي شخص أن لي صلة ولو من بعيد بتلك الأشياء البشعة. ولا يجب أن أعيش هذه اللحظة. لكنها امرأة رائعة - دائمًا أفكر أنها تشبه البابليين نوعًا ما. تعرف أن المرأة البابلية كانت جيدة في العمل...؟".

غرقت كلمات البروفيسور وسط أصوات مفاجئة. سمعت كلمة "شرطة" وهبت السيدات واقفات، ثم كان هناك ضجيج، وبعدها انقطعت الأنوار وكذلك توقفت المشواة

الكهربائية.

كصوت خفيض وسط الفوضى، مضى صوت البروفيسور يتلو بهدوء مقتطفات متنوعة من قانون حمورابي.

وعندما عادت الأنوار مرة أخرى كان هيركيول بوارو في منتصف درجات السلم السطحي. وقد حياه ضباط الشرطة الواقفون عند الباب، ثم خرج إلى الشارع وتمشى حتى وصل للزاوية. وعند الزاوية، كان هناك رجل ذو رائحة ذكية وله أنف ملتهب يسند ظهره إلى الحائط. همس بصوت أجش قلق:

"أنا هنا يا سيدي. هل حان الوقت لكي أقوم بعملي؟".

"أجل، انطلق".

"هناك عدد كبير من رجال الشرطة!".

"لا بأس؛ فهم يعرفون بأمرك".

"آمل ألا يتدخلوا!".

"لن يتدخلوا. هل أنت واثق بأنه بإمكانك إنجاز ما خططت لعمله؟ فالحيوان المعني بالمراقبة ضخم ومتوحش".

قال الرجل الضئيل بثقة: "لن يكون متوحشًا معي. لن يفعل بسبب ما لديّ هنا! أي كلب سيتبعني إلى الجحيم من أجله!".

همس هيركيول بوارو: "في هذه الحالة، عليه أن يتبعك خارج الجحيم!".

6

في ساعات الصباح المبكرة رن الهاتف والتقط بوارو السماعة.

انطلق صوت المفتش جاب:

"طلبت مني أن أحادثك تليفونيًا".

"أجل، بالفعل. ماذا حدث؟".

"لا وجود للمخدرات، لكننا وجدنا المجوهرات".

"أين؟".

"في جيب البروفيسور ليسكارد".

"البروفيسور ليسكارد؟".

"هل تفاجأت أيضًا؟ صراحة، لا أعلم ما يجب أن أفكر فيه! بدا مندهشًا مثل الطفل الرضيع، قال وهو يحدق إليها إنه ليست لديه أدنى فكرة كيف دخلت هذه المجوهرات جيبه، وأعتقد أنه يقول الحقيقة! ربما وضعهم فاريسكو في جيبه بسهولة وسط الظلام. فلا يمكنني استيعاب أن رجلًا مثل ليسكارد العجوز يتورط في مثل هذه الأعمال. إنه ينتمي إلى كل هذه المجتمعات العلمية الراقية، بل إن لديه صلات حتى بالمتحف الإنجليزي! الشيء الوحيد الذي يصرف فيه ماله هو الكتب، فقط المستعملة البالية منها. كلا، لا يمكن أن يكون الشخص المطلوب. بدأت أفكر في أننا مخطئون في القضية برمتها - لا توجد أية مخدرات في النادي".

"أوه، بل توجد يا صديقي، كانت هناك الليلة. أخبرني، ألم يخرج أحد من مخرجك السري؟".

"أجل، الأمير هنري أمير سكاندنبيرج وحرسه الخاص...لقد وصل إنجلترا أمس. وكذلك فيتاميان إيفانز، وزير العمل (أصعب مهمة يمكن توليها هي أن تكون وزيرًا للعمل، عليك أن تكون حذرًا! لا أحد يمانع في أن ينفق سياسي من حزب المحافظين أموالًا على حياة الملذات لأن دافعي الضرائب يعتقدون أن هذه هي أمواله الخاصة - لكن عندما يتعلق الأمر بوزير العمل، سوف يشعرون بأنه ينفق من مالهم). وأخيرًا كانت الليدي بياتريك فينر - التي سوف تتزوج بعد غد من بريجيش الصغير، دوق ليومينستر. لا أعتقد أن أيًا من هؤلاء تورطوا في مثل هذا العمل".

"أنت على حق. إلا أن المخدرات كانت في النادي، وأخرجها شخص ما من هناك".

"من فعل ذلك؟".

قال بوارو برفق: "أنا فعلت يا صديقي".

لقد وضع السماعة، مقاطعًا صراخ جاب غير المحتمل بينما كان جرس الباب يرن؛ فذهب وفتح الباب الأمامي. عندها دخلت الكونتيسة روساكوف.

صاحت: "إذا لم نكن ما نحن عليه، واحسرتاه! لقد كبرنا كثيرًا، كيف ستتم تسوية هذا الأمر! لقد جئت بناء على طلبك الذي أرسلته لي. وأعتقد أن رجل شرطة كان يراقبني، لكن يمكنه البقاء في الشارع. والآن، يا صديقي، ما الأمر؟".

رفع بوارو بأناقة فرو الثعلب من فوق كتفيها.

وسألها: "لماذا وضعت المجوهرات في جيب البروفيسور ليسكارد؟ ليس من الأخلاق ما فعلته!".

اتسعت عينا الكونتيسة.

وقالت: "طبيعي، كان جيبك الذي أقصده لوضع المجوهرات فيه!".

"أوه، في جيبي؟".

"بالتأكيد. مررت سريعًا إلى مائدتك التي تجلس إليها عادة - لكنهم قطعوا الأنوار وأفترض أنني وضعتهم خطأ في جيب البروفيسور".

"ولماذا رغبت في وضع مجوهرات مسروقة في جيبي؟".

"كان عليّ أن أفكر سريعًا، وبدا الأمر بالنسبة لي أفضل شيء يمكن عمله!".

"حقًا يا فيرا، أنت مضحكة!".

"لكن يا صديقي، فكر مليًا! يصل رجال الشرطة، وتنقطع الأنوار (وهذه هي خطتنا الخاصة الصغيرة لحماية الزبائن الراقين الذين يجب عدم مضايقتهم) وتمتد يد لتأخذ حقيبة يدي من فوق المائدة... مددت يدي لكي أستعيدها، ولكنني شعرت داخل بطانتها المخملية بشيء صلب في الداخل، فأدخلت يدي في الحقيبة، فوجدت ما أعرفه باللمس أنه مجوهرات، فهمت في الحال من وضعهم بالداخل!".

"أوه، عرفتِه إذن؟".

"بالطبع فعلت! إنه ذلك الحقير! ذلك السحلية، ذلك الوحش، ذو الوجهين... ذلك المخادع، الأفعى المراوغة، بول فاريسكو".

"شريكك في الجحيم؟".

"أجل، أجل، مالك المكان، صاحب رأس المال. حتى الآن لم أفضح سره - يمكنني أن أفي بالوعد! لكن الآن بعد أن خدعني، وحاول أن يورطني مع الشرطة - آه! الآن سوف أبوح باسمه - نعم، سوف أبوح به!".

قال بوارو: "هدئي من روعك، وتعالي معي إلى الغرفة المجاورة".

فتح الباب، وكانت غرفة صغيرة وبدا لدقيقة أن الكلب يملأ حيزها. وكان كروبيروس يبدو هائل الحجم حتى في مبنى الجحيم الفسيح. أما في غرفة الطعام الضئيلة في شقة بوارو، فتبدو الغرفة خالية من أي شيء عدا الكلب، إلا أنه كان هناك أيضًا الرجل الضئيل طيب الرائحة.

قال الرجل الضئيل بصوت أجش: "حضرنا إلى هنا طبقًا للخطة يا سيدي".

صاحت الكونتيسة: "دودو! ملاكي دودو!".

ضرب كروبيروس الأرض بذيله - لكنه لم يتحرك.

صاح بوارو من وراء ذيل كروبيروس: "دعيني أقدم لك السيد ويليام هيجس، فهو خبير في مجاله. وسط جلبة الليل "السيد هيجس أغرى كروبيروس لكي يتبعه خارج الجحيم".

حدقت الكونتيسة بارتياب إلى الجسم الصغير الذي يشبه الفأر، قائلة: "أنت أغريته؟ لكن كيف؟ كيف؟".

خفض السيد هيجس عينيه خجلًا.

وقال:"هناك أشياء يصعب قولها أمام السيدات، ولكن هناك أشياء لا تقاومها الكلاب. تتبعني إلى أي مكان إن أردت. مؤكد أنكِ تفهمين أن الأمر نفسه لا يفلح مع أنثى الكلب - كلا، الأمر مختلف".

استدارت الكونتيسة روساكوف إلى بوارو وقالت:

"لكن لماذا؟ لماذا؟".

قال بوارو ببطء:

"إنه كلب مدرب على مهمة محددة، وهي أن يحمل أغراضًا في فمه حتى يؤمر بتركها. وسوف يحملها حتى لو امتد الأمر لساعات. هلا أخبرت كلبك بأن يسقط ما يحمله في فمه!".

حدقت فيرا روساكوف واستدارت ونطقت كلمتين واضحتين وحادتين.

ثم فتح كروبيروس فمه الكبير عن آخره في مشهد مرعب، حتى بدا كأن لسان كروبيروس سقط من فمه ...

عندئذ تقدم بوارو، والتقط عبوة صغيرة ملفوفة بمطاط وردي، ثم فك اللفافة، فوجد بداخلها علبة بودرة بيضاء.

سألت الكونتيسة بحدة: "ما هذا؟".

قال بوارو برفق:

"كوكايين. فقط كمية صغيرة، لكنها تساوي آلافًا من الجنيهات لمن يرغب في الدفع ... وتكفي لأن تجلب الخراب والبؤس لآلاف من البشر ...".

ثم حبست أنفاسها. وصاحت:

"وتعتقد أنني... لكن الأمر ليس كذلك! أقسم لك أن هذا غير صحيح! في الماضي متعت نفسي بالمجوهرات، التحف الفنية، الأشياء النادرة - فهذه الأشياء تساعد المرء على الحياة، فهمت. ولماذا لا أمتع نفسي؟ ولماذا يمتلك شخص ما شيئًا أكثر من غيره؟".

قاطعها السيد هيجس معربًا عن موافقته: "هذا ما أحسه بالضبط نحو الكلاب".

قال بوارو للكونتيسة بحزن: "ليس لديك أي إحساس بالصواب والخطأ".

ردت قائلة:

"لكن مخدرات - هذا مرفوض! لأنها تسبب للمرء الشقاء والألم والفساد! ليست لديّ فكرة - ولا أدنى فكرة - أن الجحيم الساحر والبريء والمحبوب كان يستخدم لهذا الغرض!".

قال السيد هيجس: "أوافقك في رأيك عن المخدرات. فتناول كلب الصيد للمخدرات أمر قذر! لن تكون لي علاقة بشيء من هذا القبيل، ولم تكن لي علاقة به من قبل!".

توسلت الكونتيسة لـ بوارو قائلة: "ولكنك تقول إنك تصدقني يا صديقي".

"بالطبع أصدقك! ألم أستثمر وقتي وجهدي في إدانة المنظم الحقيقي لتجارة المخدرات؟ ألم أحقق المهمة الثانية عشرة من أعمال هرقل وأحضرت كروبيروس من الجحيم لكي أبحث قضيتي؟ وأقول لك هذا، لقد فعلت كل ذلك لأنني لا أحب أن أرى أصدقائي متورطين في جريمة - أجل، متورطين في جريمة - لأنك كنت أنت المقصودة بتحمل المسئولية إذا ساءت الأمور! كانت حقيبتك هي التي من المفترض أن يعثر على المجوهرات بداخلها وإن وجد شخص حاذق بدرجة كافية (مثلي أنا) لكي يتوقع المخبأ بداخل فم الكلب المتوحش - عجبًا، إنه كلبك، أليس كذلك؟ حتى لو أنه تقبل أليس الصغيرة إلى حد طاعة أوامرها هي أيضًا! أجل، ربما تنتبهين جيدًا! من اللحظة الأولى لم أحب تلك السيدة الشابة بمجالها العلمي ومعطفها وتنورتها ذات الجيوب الكبيرة. أجل، جيوب. فمن غير المعتاد ألا تهتم امرأة بمظهرها! وماذا قالت لي - بأن الجوهر هو المهم! أها! الجوهر هو الجيوب. الجيوب التي يمكنها أن تحمل بداخلها المخدرات وتهرب المجوهرات - تبديل بسيط يمكن عمله بسهولة بينما ترقص مع مرافقها الذي تتظاهر بأنها تهتم به كحالة في علم النفس. آه، لكن يا له من غطاء! لا أحد يشك في الإخصائية النفسية العلمية التي تحمل درجة علمية في الطب وترتدي النظارات. يمكنها تهريب المخدرات، واستمالة مرضاها الأغنياء إلى الإدمان، واستخدام المال في تشييد نادٍ وترتيب أن يديره شخصية - يمكننا القول، لديها بعض نقاط الضعف في ماضيها! لكنها تكره هيركيول بوارو، تعتقد أن بإمكانها خداعه بحديثها عن مربيات مدرسات الحضانات! عجبًا! أنا جاهز لها. أطفأت الأنوار. قفزت بسرعة من على مائدتي وذهبت للوقوف بجانب كروبيروس. سمعتها قادمة في الظلام. فتحت فمه ووضعت به العبوة، وأنا قصصت بخفة - دون أن تشعر بي، مستخدمًا مقصًا صغيرًا - قطعة صغيرة من كمها".

وبسرعة أخرج قطعة من القماش.

"أتلاحظين. النسيج الصوفي ذا المربعات المتجانسة؟ سوف أعطيه لـ جاب حتى يحدد لمن تكون - ويلقي القبض عليها - ويبرهن مرة أخرى على كفاءة سكوتلاند يارد".

حدقت إليه الكونتيسة روساكوف باندهاش، وفجأة أطلقت عويلًا كصفير السفن.

وقالت:"لكن ابني نيكي... ابني نيكي. سيحزنه هذ الأمر..." وأردفت: "ألا تعتقد ذلك؟".

قال هيركيول بوارو: "هناك فتيات أخريات كثيرات في أمريكا".

"ولكن لولاك أنت لسجنت أمه... وسيقص شعري... وتمكث في زنزانة... وأشم رائحة مطهر الجراثيم! آه، لكنك رائع - رائع".

اندفعت بقوة وسلمت بوارو بالحماسة الروسية، فنظر السيد هيجس بامتنان، وضرب الكلب ذيله بالأرض.

في منتصف هذا المشهد المبهج رن جرس الباب.

قال بوارو وهو يخلص نفسه من ذراعي الكونتيسة "جاب!".

قالت الكونتيسة: "ربما يكون من الأفضل لو ذهبت إلى الغرفة الأخرى".

وانزلقت عبر الباب الموصل بين الغرفتين، وتوجه بوارو نحو باب الردهة.

صاح السيد هيجس بقلق: "يا سيدي، الأفضل أن تنظر لنفسك في المرآة، أليس كذلك؟".

ارتد بوارو وفعل مثلما قال هيجس ليجد مساحيق التجميل تلطخ وجهه في مزيج مدهش.

قال السيد هيجس: "إن كان هذا هو السيد جاب من سكوتلاند يارد، فأنا متأكد من أنه سيظن ظنًا سيئًا".

وأضاف، والجرس يرن مرة أخرى، وبوارو يجاهد بانفعال لكي يزيل الصبغة القرمزية من شاربه: "ماذا تريدني أن أفعل - أصطاده أيضًا؟ ماذا عن كلب الحراسة الموجود هنا؟".

قال هيركيول بوارو: "إن كنت أتذكر بشكل صحيح، فقد عاد كروبيروس إلى الجحيم".

قال السيد هيجس: "مثلما تريد. الواقع أنه يعجبني نوعًا ما... لكنه ليس النوع الذي أود سرقته - لا يمكن أن أمتلكه بشكل دائم - فهو يحتاج لملاحظة شديدة، إن كنت تعلم ماذا أقصد. وفكر كم سيكلفني لكي أحضر له ساقًا من لحم بقري أو لحم خيل! أتوقع

أنه يأكل مقدار ما يأكله صغير الأسد".

همس بوارو: "من أسد نيميا إلى إحضار الكلب كروبيروس...تمت المهام الاثنتا عشرة".

7

بعد أسبوع أحضرت الآنسة ليمون فاتورة إلى مسيو بوارو.

وقالت:"معذرة يا مسيو بوارو. هل مطلوب مني دفع هذه الفاتورة؟ ورود حمراء من بائع ورود في يونورا، أحد عشر جنيهًا، وثمانية شلنات وستة بنسات. مرسلة إلى الكونتيسة فيرا روساكوف، الجحيم، 13 نهاية شارع دبليو سي 1".

كانت وجنتا هيركيول بوارو محمرتين بدرجة ألوان الورود الحمراء؛ فقد تورد وتورد حتى مقلة عينيه.

وقال: "لا بأس يا آنسة ليمون, إنها تحية صغيرة من أجل مناسبة ما. لقد خطب ابن الكونتيسة في أمريكا ابنة رب عمله... رجل صناعي كبير. أتذكر أن الورود الحمراء هي المفضلة لديها".

قالت الآنسة ليمون: "حقًا، إنها غالية جدًا في هذا الوقت من العام".

وقف هيركيول بوارو.

وقال: "توجد لحظات لا يقتصد فيها المرء".

ثم خرج من الباب وهو يدندن. وكانت خطواته خفيفة ومفعمة بالحيوية. وحدقت إليه الآنسة ليمون. ونسيت نظام حفظ الملفات. فقد استيقظت كل غرائزها الأنثوية.

وتمتمت "يا إلهي. أتساءل إن كان ... حقًا... في عمره هذا! قطعًا لا ...".

جدول المحتويات

تمهيد
إهداء
مقدمة
الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس
الفصل السادس
الفصل السابع
الفصل الثامن
الفصل التاسع
الفصل العاشر
الفصل الحادي عشر
الفصل الثاني عشر